الكتاب الاول من ربع المهلكات كتاب شرح عجائب القلب من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله العقول والخواطر وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر
العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلاة
على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين **اما بعد** فشرف الانسان
وفضيلته التي فاق بها جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره
وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو المكاشف
بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع له وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبيد واستخدام الراعي للرعية والصانع
للآلة والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمخاطب والمعاتب
وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع لله بالحقيقة وانما الذي ينتشر على
الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته تظهر
محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي
اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد
حيل بينهم وبين انفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان لا يوفقه لمشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين
من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل سافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة
المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه ولا تكونوا كالذين نسوا الله
فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر
الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري
على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد ان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب
واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب
القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه
اكثر الافهام وبالله التوفيق **بيان** معاني النفس والروح والعقل والقلب وما هو المراد بهذه الاسامي اعلم ان هذه الاسامي الاربعة تستعمل في هذه
الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعرفة هذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشأها الجهل بمعنى هذه
الاسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا **الاسم الاول** لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين
احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص في باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود هو منبع الروح

ومعدنه

ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته اذ يتعلق به الاغراض الطبية ولا يتعلق به الاغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو
موجود للميت ونحن اذا اطلقنا اسم القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه
البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان
وهو المدرك العارف العالم من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاتب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه
علاقته فان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح
ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح
ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها
واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها **الاسم الثاني** الروح وهو ايضا يطلق فيما
يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانه
في البدن وفيضان انوار الحياة وحس السمع والبصر والشم منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا الدار فانه لا ينتهي الى
جزء من البيت الا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال
حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا اسم الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب
وليس شرحه من غرضنا اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون مرض الابدان فاما غرض اطباء الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار
رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح اصلا المعنى الثاني هو اللطيفة الربانية العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معاني القلب
وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر العقول والافهام عن درك حقيقته
الاسم الثالث النفس وهو ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان
على ما سيأتي بيانه وهذا الاستعمال هو الغالب على اهل التصوف لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة
النفس وكسرها واليه الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وآله اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان
في حقيقته وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب
بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور
رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة
عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت
الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذن النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية
الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان او ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات **الاسم الرابع** العقل وهو ايضا يطلق

مشترك المعاني مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة
عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو
أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعني المدرك وهو
المراد بقوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله العقل فإن العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لا بد وأن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه ولأنه لا يمكن الخطاب معه
وفي الخبر أنه قال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر الحديث فإذن قد انكشف لك أن معاني هذه الأسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية
والعقل العلمي وهذه أربعة معان يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان والألفاظ الأربعة بجملتها تتوارد
عليها فالمعاني خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا
خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء فلأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح
هذه الأسامي وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في
الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول
بالقلب فكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن
به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه فإن ذلك محال بل أراد به أنه مملكته والمجرى الأول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى فلا
يستقيم هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه **بيان** جنود القلب قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو فلله
سبحانه في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعلم حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق
بغرضنا وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده
المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة فإنها خادمة للقلب ومسخرة له فهو
المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت وإذا أمر
الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة
لله تعالى فإنهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفترقان في شيء وهو أن الملائكة عليهم السلام عالمة
بطاعتها وامتثالها والأجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب
وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزاد لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله وقطع المنازل إلى لقائه فلأجله
خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وإنما مركبه البدن وزاده العلم وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد
وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله تعالى ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فإن المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول
إلى المنزل الأقصى فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلتين فاضطر الإنسان إلى أن يتزود من
هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه

ما ينافيه

وما ينافيه ويهلكه من أسباب الهلاك فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء
فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوة وافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع
المهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد والرجل اللذين بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور خارجة عن البدن كالأسلحة وغيرها ثم المحتاج إلى الغذاء
ما لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإلفه فافتقر للمعرفة إلى جندين باطن وهو إدراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر
وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ذكره ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في كتاب الشكر
فليقتنع بها فجنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى جلب الموافق النافع كالشهوة وإما إلى دفع المضار المنافي كالغضب
وقد يعبر عن هذا الباعث بالإرادة والثاني هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر
الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس
وهي مبثوثة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من الشحم واللحم
والعصب والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فإن قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى
ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فإنها من عالم الملك والشهادة وإنما نتكلم الآن فيما أيد به من جنود لم تروها وهذا الصنف
الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن المنازل
الباطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة فإن الإنسان بعد رؤية الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة
معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات
في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر
والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى أيضا جنود باطنة وأماكنها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح
ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب
الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم **بيان** أمثلة القلب مع جنوده الباطنة اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد ينقادان
للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد
حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي
شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فإنه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فإنهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فإن ترك الاستعانة وسلط على
نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فإن عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء
الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة **المثال الأول**
أن نقول مثل نفس الإنسان في بدنه وأعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته فإن البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها
وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة

والغضب والحمية كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل وديدنه منازعة الوزير
الناصح في آرائه وتدبيراته حتى إنه لا يخلو من منازعته ومعارضته في آرائه ساعة واحدة فكما أن الوالي في مملكته متى استغنى في تدبيراته بوزيره ومعرضا
عن إشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا بإشارته على أن الصواب في نقيض رأيه وأدب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من
جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه
فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت بإحداهما على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب
وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها
ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه وكان أمره فرطا وقال
تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال فيمن نهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض
في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى **المثال الثاني** أن البدن كالمدينة والعقل أعني المدرك من الإنسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس
الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك
رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فإن جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة كما قال
الله تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيامة
يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك كما ورد في الخبر وإلى هذه المجاهدة الإشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر **المثال الثالث** مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه
ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جموحا
والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعا فهو خليق بأن يعطب فضلا عن أن ينال ما طلب وإنما خرق الفارس
مثل جهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه
بيان خاصية القلب الإنسان اعلم أن جميع ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمي إذ للحيوانات الشهوة والغضب
والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فلنذكر
ما يختص به قلب الإنسان ولأجله عظم شرفه وقدره واستأهل القرب من الله سبحانه وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية
والأخروية والحقائق العقلية فإن هذه أمور وراء المحسوسات لا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم
الإنسان بأن الفرس الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأفراس
فحكمه على جميع الأفراس زائد على ما أدركه الحس وإذا فهمت هذا في هذا العلم الضروري الظاهر فهو في سائر النظريات أظهر وأما الإرادة
فإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة وإلى تعاطي أسبابها وإرادة لها وذلك
غير إرادة الشهوة وغير إرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فإن الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل

المال

المال عليها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في وقت المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب
الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فإذا اختص قلب الإنسان بعلوم وإرادات
ينفك عنها سائر الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه عند البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة
والباطنة فإنها موجودة في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان إحداهما أن يشتمل قلبه على جملة من العلوم الضرورية الأولية
كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الإمكان والحصول
فيكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة
ولم يبلغها بعد الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة
إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الإنسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق
فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي على سبيل المبادأة والمكاشفة
ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون ذلك سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأولياء
والأنبياء فدرجات الترقي فيه غير محصورة إذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها وأقصى الرتب رتبة النبي صلى الله عليه وسلم الذي تنكشف له كل
الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا
بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه
فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا بالغيب كما أنا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق
بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز
حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب
المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلوب وتزكيتها من الخبث
والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول
هل من داع فأستجيب له وبقوله عليه السلام حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم لأشد شوقا وبقوله من تقرب إلي شبرا
تقربت إليه ذراعا وكل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا
ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فإن القلوب كالأواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله تعالى
لا تدخلها المعرفة بجلال الله وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات ومن هذه الجملة
يتبين أن خاصية الإنسان العلم والحكمة وأن أشرف أنواع العلوم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله وفيه كمال الإنسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة
الكمال والجلال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الإنسان وخاصيته التي لأجلها خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص

بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس
في امور ويفارقهما في امور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين الملائكة والبهائم
فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط
وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير
بان يسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق
البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضريا ككلب او سنور او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان عقورا
مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سياتي بيان طرف منه في كتاب الشكر
فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا طريقه
والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في
مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان
مجرى ترجمانه ويجري الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه ويوكل كل واحد منها باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم
الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة
الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهي القوة الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما
يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا
سعيدا شاكرا نعمة الله عليه واذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن في مراعاة اعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة او في
عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا لانعم الله مضيعا
لجنود الله ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذي ضربناه
اشار كعب الاحبار وقال دخلت على عائشة فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان
والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب
ان لله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها الى الله ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين
وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قيل معناه
مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقيل في قوله تعالى في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب
والصدر مثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب **بيان** مجامع اوصاف القلب وامثلته اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه
وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث
سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى

افعال

افعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء
والاستعلاء والتخصيص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي
لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بحقائق الاشياء والاستيلاء بالقهر على
جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه
شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير
وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان فيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب
فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وصورته بل لجشعه
وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية
الضراوة والعداوة والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع
يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه
والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر
شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته
فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال
في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم همتهم
البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله
ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم او في اليقظة لراى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا
لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته او راى نفسه ماثلا بين يدي كلب عقور
عابدا له مطيعا لما يلتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير
الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده
ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا
والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من
طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة
والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب فينتشر
منها الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق
وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء

وبجربزة وتلبيس والتضريب والغش بحيث يظن وإن هو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات
الربانية العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق
التقدم على الخلق لكمال العلم وجلالته ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال
صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها
ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو
والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل
واصلة إلى القلب أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فإنها تزيد مرآة القلب جلاء وإشراقاً ونوراً وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه
حقيقة الأمر المطلوب في الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً في قلبه وبقوله
صلى الله عليه وآله من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن
القلوب وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية
محجوباً عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله تعالى أن لو نشاء أصبناهم
بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال الله تعالى واتقوا الله
واسمعوا واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق
وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل
من أذن وخرج من الأخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من
أصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة **أقول** وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال ما من عبد
إلا وفي قلبه نكتة بيضاء فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء فإن تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد
حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً وهو قول الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وعنه عليه السلام
إن القلوب ثلاثة قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشر فيه يختلجان فأيهما كانت منه غلب
عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر وقلب الكافر أسود منكوس فطاعة الله تعالى لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة وهو قلب المؤمن
لأن القلب بعد المعرفة لا يخرب بخراب البدن **قال** أبو حامد وقال النبي صلى الله عليه وآله قلب المؤمن أجرد وفيه سراج يزهر وقلب الكافر
أسود منكوس فطاعة الله بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعصيته مسودات له فمن أقبل على المعاصي اسود قلبه ومن أتبع
السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ثم يتنفس ثم تمسح فإنها لا تخلو عن كدورة وقال الله تعالى
إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه
إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى

بيان مثال القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة اعلم أن محل العلم هو القلب أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة
من جميع الأعضاء وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلونات فكما أن للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في
المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما أن المرآة غير وصورة الأشخاص غير و
حصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الأشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول
العلوم في القلب كحصول المثال في المرآة فكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لخمسة أمور أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن
يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثه وصدئه وكدورته وإن كان تام الشكل والثالث لكونه معدولاً به عن جهة الصورة إلى غيرها
كما إذا كانت الصورة وراء المرآة والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة أو بجهتها
حتى يتعذر بسببه أن يحاذي بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت
القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها النقصان في ذات القلب كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه
الثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته
وتراكمه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله من قارف ذنباً فارقه عقل لا يعود إليه أبداً أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثرها أبداً إذ غايته أن يتبع السيئة
حسنة يمحوها فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة لازداد لا محالة إشراق نور القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى
ما كان عليه قبل السيئة وإن لم يزد بها نوراً وهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التي تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي لم تتدنس
وتمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والإقبال على طاعة الله والإعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك
قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال النبي صلى الله عليه وآله من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **الثالث** أن يكون معدولاً به
عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن قلب المطيع الصالح وإن كان صافياً فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذياً بمرآته شطر المطلوب
بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق
الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكراً فيها أو مصالح المعيشة إن كان متفكراً فيها
وإذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعاً عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم إلى الشهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها
فكيف لا يمنع من الكشف الحقيقي **الرابع** الحجاب فإن المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه
محجوباً عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فإن ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف
ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضاً حجاب عظيم به قد حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين في خلق السماوات والأرض
لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين درك الحقائق **الخامس** الجهل بالجهة التي
منها يقع العثور على المطلوب فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيباً
مخصوصاً يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلي حقيقة المطلوب لقلبه فإن العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص

لا يستثبله العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال
ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج
يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلوم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها
بل مثاله ان يريد الانسان ان يرى قفاه في المرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيه القفا وان رفعها
وراء القفا وبازائه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة اخرى ينصبها وراء القفا وهذه
في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة
الاخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما ذكرناه
في المرآة يعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور
والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة
بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا اشارة الى
ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد
لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا
الى ملكوت السموات اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روي انه قيل يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اين الله في الارض او في السماء قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني ارضي ولا سمائي ولكن
وسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم
القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب
بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين ربه تجلت صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها كعرض السموات والارض اما جملتها
فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد
الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهي الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له
نعم الذي يلوح منه للقلب مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله سبحانه لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة
تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك
للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله
تعالى وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد افلح من زكاها ومراد تزكيته
حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح الله صدره

للاسلام

للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض الثانية
ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان العوام والثالثة ايمان العارفين وهو المشاهد بنور
اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلث درجات الاولى ان يخبرك من جربته بالصدق
ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان
العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول
وصدقه وما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان
سبب النجاة في الآخرة واهله من اوائل مراتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ
الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وامهاتهم
الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم القي اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه لكن لانه القي اليهم كلمة الحق الثانية
ان تسمع كلام زيد وصوته في الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار
اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الاصوات تدل على الشكل والصورة عند
من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ ايضا ممكن ان يتطرق اليه
اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا في قلبه ولا
يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا الدرجة الثالثة ان تدخل الدار وتنظر اليه بعينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة
اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل
معها امكان الخطأ وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن
قرب وفي صحن الدار وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن
انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان
يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغيرهم وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حالة القلب بالاضافة الى العلوم

بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات
كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية والى شرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني
بها ما تقضي به غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدرى من اين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص
الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه
منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ومن اين حصل اعني انه لا يدري له سببا قريبا والا فليس يخفى عليه ان الله تعالى هو الذي خلقه وهداه
والى مستفادة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي كرم الله وجهه رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم

يك مطبوع

كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه
اذا تقرب الناس الى الله تعالى بانواع البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي رضي الله عنه
هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتباس العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل جارية فيه مجرى قوة
البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض العين او جن عليه الليل والعلم الحاصل منه في القلب جار مجرى قوة ادراك البصر
ورؤيته اعيان الاشياء وتأخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا الى اوان التمييز يضاهي تأخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس
وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان
لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى علم بالقلم علم
الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه تعالى ليس من جوهر ولا عرض
فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة
وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الاخر ولموازنة البصيرة الباطنة البصر الظاهر سماه الله تعالى
باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وما اراد
الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام حتى يعرض في معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العقل اما العلوم الشرعية فمأخوذة
بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيها بعد السماع وبها يكمل صفة القلب
وسلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة صحة اسباب البدن
بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى
بالعقل عن السماع ولا بالسماع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور
فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء
مهما فاته الدواء فكذلك امراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم
لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن
ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض
عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك
لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل دار قوم فتعثر فيها باواني الدار فقال لهم ما بال هذه
الاواني تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك فالعجب منك
انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العلوم العقلية فتنقسم الى دنيوية واخروية

فالدنيوية

فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته
وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما وتعمق فيه قصرت بصيرته عن الاخر على الاكثر ولذلك
ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والاخرة ثلاثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احداهما اسخطت الاخرى ولذلك
ترى الاكياس في علم امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والفلسفة جهالا في امور الاخرة والاكياس في دقائق علوم الاخرة جهالا في اكثر العلوم الدنيا
لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان اكثر اهل الجنة البله اي البله في امور
الدنيا وقال بعض السلف لقد ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة
في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري امر الدنيا والاخرة ولذلك قال الله تعالى
ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الاية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال تعالى
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله
لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها
واما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الاخرة وقصرت عن الاستكمال فيها **بيان** الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق
الصوفية في استكشاف الحق وبين طريق النظار اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في
حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما
والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل له ومن اين حصل والى
ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص به الانبياء
والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق
في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله
به الى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة
يزال باليد واخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الالطاف وتنكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ
ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فبه ينكشف الغطاء وينكشف ايضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب
بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور
فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في
شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل المجاهدة الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا
على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق

كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم فإذا تولى الله
أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة
وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على المريد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد
بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل
بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن
الطريق في ذلك أولاً بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه
بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا
يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله تعالى ولا يزال بعد جلوسه في الخلوة
قائلاً بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب إلى أن ينتهي إلى حالة يترك فيها تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان
ثم يصبر عليه إلى أن يمحى أثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظباً على الذكر ثم يواظب عليه إلى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة
الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع
الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء
والأولياء بهذا الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق
الدنيا فتلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفاً و
إن ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصر كما لا يحصى
تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط وأما النظار وذوو الاعتبار
فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضاءه إلى هذا المقصد على الندور فإنه أكثر أحوال الأنبياء عليهم السلام والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق
واستبطؤوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا أن محو العلائق إلى ذلك الحد كالمتعذر وإن حصل في حالة فثباته أبعد منه إذ أدنى وسواس
وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن أشد تقلباً من القدر في غليانها وقال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن
بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن وإذا لم يتقدم رياضة
النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن تزول وينقضي العمر دون النجاح فيها
فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم قبله لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال
بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار فقيهاً
بالوحي والإلهام من غير تكرار وتعليق وأنا أيضاً ربما انتهى بي الرياضة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء
العثور على كنز من الكنوز فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جداً فكذلك هذا فقالوا لا بد أولاً من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار

لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس اعلم أن عجائب القلب خارجة
عن مدركات الحواس لأن القلب أيضاً خارج عن إدراك الحواس وما ليس مدركاً بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك إلى
الأفهام الضعيفة بمثالين أحدهما أنا لو فرضنا حوضاً محفوراً في الأرض احتمل أن يساق الماء إليه من فوقه بأنهار تفتح إليه ويحتمل أن يحفر أسفل
الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل
الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثل الأنهار وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علماً ويمكن أن
تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله فإن قلت كيف يتفجر العلم
من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في
اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين فكما أن المهندس يسطر صورة أبنية الدار في بياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة
فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى
منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليهما ولو انعدمت
السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر إليهما ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت
في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجاً عن خيال الإنسان وقلبه والعالم الموجود
موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده
الحقيقي ويتبعه وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال ويتبعه وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبعض
هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من بعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية إذ جعل حدقتك على
صغر حجمها بحيث تنطبع فيها صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها ثم يسري من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود
في القلب فإنك أبداً لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالاً في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه
العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن إدراكها القلوب والأبصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها ولنرجع إلى المقصود فنقول
القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس
تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الصافي الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء
فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات
كان ذلك حجاباً له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع من الأنهار منع ذلك من التفجر من الأرض وكما أن من نظر إلى الماء
الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظراً إلى نفس الشمس فإذاً للقلب بابان باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب
مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك أيضاً يحاكي عالم الملكوت نوعاً من المحاكاة فأما انفتاح باب
القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علماً يقيناً بالتأمل

في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او ما كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس انما ينفتح ذلك الباب في
الفرد ذكر الله تعالى ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم
فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم حكاية عن الله تعالى ثم اقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شيء اريد ان اعطيه ثم قال تعالى اول
ما اعطيهم ان اقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الانبياء والاولياء
عليهم السلام وبين علوم الحكماء والعلماء هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكمة ياتي من ابواب الحواس المفتوحة
الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العالمين

المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين اعني عمل الاولياء وعمل العلماء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب
والاولياء يعملون في جلاء القلب وتطهيره وتزكيته وتصفيته وتصقيله فقط فقد حكي ان اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدي بعض
الملوك بحسن صنعة النقش والصور فاستقر راي الملك على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم منها جانبا ويرخى بينهما
ستر يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من غير صبغ واقبلوا
يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين انهم قد فرغوا ايضا فتعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من غير صبغ فقيل
كيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا الحجاب فاذا جانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق و
بريق اذ صار ذلك كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصفية فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه
حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلماء والحكماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل اهل الروم فكيف
ما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن رحمه الله بقوله التراب لا ياكل محل الايمان بل يكون وسيلة
وقربة الى الله تعالى واما ما حصله من نفس العلم او ما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات
اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب خزائن المال غني وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة
والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف انوار ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا بانوارهم قال
الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى نورا اصغر منه حتى يكون آخرهم رجلا
يعطى نورا على ابهام قدميه فيضيء مرة وينطفئ اخرى فاذا اضاء قدم قدميه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم
من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه
يحبو حبوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى ويجر رجلا ويعلق اخرى ويصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا
يظهر تفاوت الناس في الايمان فان ايمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره مثل نور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم
وايمان الانبياء كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس الآفاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت صورة م
فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيامة اخرجوا من

النار

النار من كان في قلبه مثقال من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان فان هذه المقادير
من الايمان لا يمنع دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه يربي على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا
يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان او المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف بالله
فانه خير من قلب الف من عوام الناس وقال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد
وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين
اوتوا العلم ويدل على ذلك ان اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات
قال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى
رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم الكواكب وقال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت
درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران فالمحروم يرى فوق
درجته درجات كثيرة عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق
بينهما وما اعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك والآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان

شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف في اكتساب
المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد اعلم ان من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق
ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر في القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل يحتسب
له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر
في دعائه سؤال النور فقال اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل لي في قلبي نورا وفي قبري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قول الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر
وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء اسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا
ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما
انكشف باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض السلف
ظن المؤمن كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين
وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل
بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله تعالى يقذفه الله في قلوب احبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم

ان من امتي محدثين ومكلمين وقرأ ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم
هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من
غير تعلم وقال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا انما العالم الذي يأخذ علمه من ربه اي وقت
شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العلم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم
من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني هو الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه
شواهد الشرع والنقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج
عن الحصر وقد ظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم **أقول** وقد ظهر على الائمة المعصومين من اهل البيت عليهم السلام من ذلك شيء
كثير كما هو مذكور في كتاب الحجة من الكافي وفي كتاب بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار وكتاب الخرائج والجرائح للراوندي
وكتاب كشف الغمة للاربلي وغيرها من الكتب المصنفة في ذلك من اخبارهم عليهم السلام واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم ومشاهدتهم
الخضر عليه السلام ومحادثتهم معه وصحبتهم للملائكة وتحدثهم معهم وتسخيرهم الجن وتبعيتهم اياهم في حوائجهم الى غير ذلك من فنون الكرامات وقد ذكرنا
نبذا منها في كتاب اخلاق الامامة من ربع العادات ومن الاخبار النبوية في هذا المقام العلم ليس بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه الله في
قلب من يريد الله ان يهديه العلم نور يقذفه الله في قلوب اوليائه وينطق به على لسانه نعم العلم علم الله لا يعطيه الا لاوليائه جوامع
سماء الحكمة واذا جاع العبد سكنت الحكمة من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ما من عبد الا ولقلبه
عينان وهما غيب يدرك بهما الغيب فاذا اراد الله بعبد خيرا فتح عيني قلبه فيرى ما هو غائب عن بصره **قال** ابو حامد والحكايات
لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما
عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود
الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله
عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك ~~...~~ للنبي صلى الله عليه وآله جاز لغيره اذ النبي عبارة
عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص كوشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح
الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء عليهم السلام وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى خارج وهو باب الى
الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة
الاسباب المألوفة بل يجوز ان تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت
واما السبب في انكشاف الامر في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق
ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها **بيان** تسلط الشيطان على القلب بالوسواس

جحده

ومعنى

ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها اعلم ان مثال القلب مثال قبة لها ابواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب او هو
مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار
مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق
المركبة من مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوات مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة في المزاج
حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال
الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به
ادراكات وعلوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر
المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك
العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في
الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا
ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث فلا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله
تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد
غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا
واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا
فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق
والوعد بالمعروف وقد خلقه الله وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء
والتخويف عند الهم بالخير بالفقر والوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه
الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه فرد لا مقابل
له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في القلب لمتان
لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله تعالى ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي
عن الخير فمن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر الآية وقال بعض السلف انما هما همان يجولان في القلب
هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان للعدو جاهده ولتجاذب القلب بين
اللمتين قال رسول الله صلى الله عليه وآله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه منزه عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم ودم
وعظم منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب
والترديد وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب

القلوب كلها لان القلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشياطين صلاحاً
متساوياً ليس يترجح أحدهما على الآخر وانما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والاعراض عنها ومخالفتها فان
اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو
مرعى الشيطان ومرتعه فان جاهد الشيطان ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم و
لما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المنشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب
عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول
الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يأمر الا بالخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن
اعانه الله على شهوته حتى صار لا ينبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها
لا يأمر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى
ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب
لاحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاساً واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وملكوها فامتلأت بالوساوس
الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان
وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح اثر الملائكة وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في
صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب
الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده
فهو عبد الهوى لا عبد الله وقال عثمان بن ابي العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلوتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب
فاذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً قال ففعلت فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاستعيذوا
بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شيء سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن
كل شيء سوى ذكر الله وسوى ما يتعلق به يجوز ان يكون فيه ايضاً مجال للشيطان فذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال فلا يعالج
الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله والاستعاذة به والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف عليهم في
اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال
مجاهد في قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد
بين ذكر الله وبين وسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتطاردهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان
فانسيهم ذكر الله وفي الحديث ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس واذا نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في

حديث

حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح **فصل** وكما ان الشهوات
ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضاً سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله ان الشيطان
ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب
من جوانبه قال الله تعالى اخباراً عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وآله
ان الشيطان قعد لابن آدم في طرق فقعد له بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة
فقال اتهاجر وتدع ارضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له اتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل وتنكح نساؤك و
تقسم اموالك فعصاه فجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله ان يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه وآله
معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد فهذه الخواطر معلومة فاذاً الوسواس معلوم بالمشاهدة
وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله
ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر
من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف او ليس بجسم وان كان جسماً فكيف يدخل في بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم
المعاملة فمثال الباحث عن هذا كمثال من دخل في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن طولها ولونها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادفة
الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على انه عن سبب وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو فينبغي
ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً انما
يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال الله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو
عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي للعبد ان يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك
كاف للعاملين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في علم المعاملة
الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعاً انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه
الهاماً والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من مكائد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض
واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر في صورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر
الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك
بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم فلا يزال
يقرر ذلك في قلبه ويستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل
ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة
الاتباع والعلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم ويظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك

بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله من الممقوتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله
ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق لكن لا اقولها بقولك لان
له تحت الخير ايضا تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها هلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق
ممن كرهوا ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور من آخر هذا الربع ولعلنا
ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد وفي المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات
الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان
وان يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي ينكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه
بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل اعمال ظنوها حسنات
فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم
تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها
من خارج الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الاهل والمال يقلل مداخل الوسواس من
الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه
عن ذكر الله فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد من الشيطان في بدنه ما دام حيا فابواب الشيطان مفتوحة اليه
نعم قد يقوى الانسان بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم في بدنه فانه ما دام حيا فابواب
الشيطان مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو
غير غافل لم يندفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن البصري يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فاذا لا خلاص للمؤمن منه نعم
له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن لينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود اي يهزل
شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور قلت ولم ذلك قال تذيبني
بذكر الله عز وجل فاهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشيطان وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية المفضية
الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان
الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الكثيرة والعبد فيها كالمسافر
الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هو القلب
المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يهدي الى غوامض طرقه
والا فطرقه كثيرة غامضة قال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين

الخط وعن شماله فقال وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله لتلك الخطوط فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو
الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الآدمي
وذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند
الراهب فاتوا بها الى الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها
فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه فوسوس اليه فقال الآن تفتضح يأتيك اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى
الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسألوه عنها فقال ماتت فقال لهم الشيطان انه قتلها ودفنها فالقى اليهم
عنده فنبشوا فوجدوها مقتولة فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي خنقتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج وتخلص
منهم فقال بماذا قال تسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان اني بريء منك فانظر الآن الى حيلته واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك
لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك
عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى
يوشك ان يقع فيه **بيان** تفصيل مداخل الشيطان الى القلب اعلم ان مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه و
يستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابواب الحصن من العدو من لا يعرف
ابوابه وحماية القلب عن افساد الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان
الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية
مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه العظيمة الحرص والحسد فمهما كان العبد حريصا على كل شيء اعماه حرصه واصمه اذ قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة
فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا او فاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلام لما ركب البحر وحمل في السفينة من كل زوجين
اثنين كما امر فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي
وابدانهم معك فقال له نوح عليه السلام اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلاث
ولا احدثك باثنتين فاوحى الله الى نوح لا حاجة بك الى الثلاث مره فليحدثك بالاثنتين فقال الاثنتان قال هما اللتان
لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما اهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما واما الحرص فانه ابيح
لآدم عليه السلام الجنة كلها الا الشجرة فاصبت منه حاجتي بالحرص ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل فاذا ضعف
جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى عليه السلام
فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا خلق من خلق الله اذنبت واريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي

ليتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال الله تعالى يا موسى قد قضيت حاجتك فمر ابليس يسجد لقبر آدم فيتوب عليه
فلقي موسى ابليس فقال له قد امرت ان تسجد لقبر آدم عليه السلام ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا فكيف اسجد له ميتا ثم قال
ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلث لا اهلكك فيهن اذكرني عند غضبك فان روحي في قلبك وعيني حين تغضب
في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ولد آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى
يولي واياك ان تجالس امراة ليست لك بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار في هذا الى الشهوة والغضب
والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من سجوده لآدم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله وقال بعض الاولياء
لابليس ارني كيف تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس لراهب فقال له اي اخلاق بني آدم اعون لك قال الحدة فان
العبد اذا كان حديدا قلبناه كما تقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون
في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه ومن ابوابه العظيمة حب التزين بالثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا
راى ذلك غالبا على قلب ابن آدم باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها و
يدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره فاذا اوقعه في ذلك فقد استغنى عن ان يعود اليه ثانية فان بعض ذلك
يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى فيخشى من ذلك سوء
الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات
اسلحة الشيطان روي ان ابليس لعنه الله ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فراى عليه معاليق من كل شيء فقال يا ابليس ما هذه المعاليق
قال هذه الشهوات التي اصيب بها ابن آدم قال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير
ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا فقال ابليس لله علي ان لا انصح مسلما ابدا ومن ابوابه العظيمة الطمع
في الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الريا والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه
معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل في الوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة
معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا
اعلمكه قال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا قبلت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل احدا غير الله شيئا
سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العظيمة العجلة وترك التثبت في الامور قال رسول الله صلى الله عليه وآله
العجلة من الشيطان والتأني من الله وقال الله تبارك وتعالى خلق الانسان من عجل وقال تعالى وكان الانسان عجولا وقال لنبيه
صلى الله عليه وآله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة
يحتاج الى تأمل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري وروي انه لما ولد عيسى عليه السلام
اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث فطار حتى جاء خافقي الارض

فلم يجد

فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة وما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها
الا هذا فايسوا ان يعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وساير
اصناف الاموال من العروض والاثاث والدواب والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ
القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات يحتاج كل واحدة الى مائة دينار فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الى تسعمائة
اخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن وجد مائة وظن انه صار غنيا به وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشتري دارا
يعمرها وليشتري جارية وليشتري اثاث البيت وليشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية
آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه وآله قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤه وقالوا ما
ندري قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وآله فينصرفون
خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلوتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فنصيب
منهم حاجتنا منهم وروي ان عيسى عليه السلام توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه عيسى فرمى به من تحت راسه وقال هذا لك مع
الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون الشيطان عدة عليه فان القائم بالليل مثلا للصلوة مهما
كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر بباله ولا تتحرك رغبته الى النوم هذا
في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ومن ابوابه العظيمة البخل وخوف الفقر
فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم هو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العظيم
قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم فلن يغلبني على ثلث ان آمره باخذ المال من غير حقه وانفاقه
في غير حقه ومنعه من حقه وقيل ليس للشيطان سلاح على الانسان مثل خوف الفقر فاذا قبل منه ذلك اخذ في الباطل ومنع
من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشياطين روى ابو امامة
ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان ابليس لما انزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال
فاجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال
اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي
مصايد قال النساء ومن ابوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك
مما يهلك الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا
خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه
يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الهوى والشيطان ترى الواحد منهم يتعصب لعلي عليه السلام وكان من زهد علي عليه السلام وسيرته انه لبس في خلافته
ثوبا اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ وترى الفاسق لابس الثياب الحرير ومتجملا بالاموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي عليه السلام

ويدعي حبه وهو اول خصمائه يوم القيمة فليت شعري من اخذ ولد الرجل الانسان وقرة عينه وحشوة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقرضه
بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاءه كيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى علي عليه السلم من الاهل
والولد بل من نفسه والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى ابليس عدو الله
وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيمة عند علي عليه السلم وعند اولياء الله لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه اولياء الله في
امة محمد صلى الله عليه وآله لاستحيوا ان يجروا على السنتهم ذكرهم مع قبح افعالهم ثم ان الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لعلي عليه السلم
فالنار لا تحوم حوله كل من اراد [illegible] مع [illegible] فذلك الامام هو خصمه اذ يقول لو كان ينفع الحب دون العمل لما كان الحديث باللسان
ولكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فيا لك من غافل مغتر في اعماله وسيرته عن سلوك مذهب من سلكه وذهبت
فيه الى الله تعالى ثم رغبت عن مذهب اوليائه اقول ومما ورد في ذلك من طرق الخاصة ما رواه في الكافي باسناده عن جابر عن ابي جعفر عليه السلم
قال قال لي يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيع ان يقول بحبنا اهل البيت فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه وما كانوا يعرفون
يا جابر الا بالتواضع والتخشع والامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلوة والبر بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء واهل المسكنة
والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الالسن عن الناس الا من خير وكانوا امناء عشائرهم في الاشياء قال
جابر يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم احدا بهذه الصفة فقال يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل ان يقول احب عليا
واتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالا فلو قال اني احب رسول الله صلى الله عليه وآله فرسول الله خير من علي ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته
ما نفعه حبه اياه شيئا فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين احد قرابة احب العباد الى الله واكرمهم عليه اتقاهم
واعملهم بطاعته يا جابر والله ما يتقرب الى الله تعالى الا بالطاعة وما معنا براءة من النار ولا على الله لاحد من حجة من
كان لله مطيعا فهو لنا ولي ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو وما تنال ولايتنا الا بالعمل والورع وقد ذكرنا
هذا الحديث في كتاب العلم من ربع العبادات وفي كتاب اخلاق الامامة وآداب الصحبة من ربع العادات ايضا وانما اعدنا ذكره
هنا لشدة مناسبته لهذا المقام وشدة احتياج اكثر الناس اليه وباسناده عن حنان بن سدير قال قال ابو الصباح الكناني لابي عبد الله
عليه السلم ما نلقى من الناس فيك فقال ابو عبد الله عليه السلم وما الذي تلقى من الناس في فقال لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول
جعفري خبيث فقال يعيركم الناس بي فقال ابو الصباح نعم قال فما اقل والله من يتبع جعفرا منكم انما اصحابي من اشتد ورعه
وعمل لخالقه ورجا ثوابه هؤلاء اصحابي وباسناده عن ابي الحسن الاول عليه السلم قال كثيرا ما كنت اسمع ابي يقول ليس من شيعتنا من لا تتحدث
المخدرات بورعه في خدورهن وليس من اوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق لله اورع منه قال ابو حامد
فهذا امر عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت البلاد لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم
وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد الى الاتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك
في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان في ذلك بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا امهات

دينهم

دينهم فقد هلكوا واهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال بعض السلف بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وآله المعاصي
فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب
التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن اعظم حيل الشيطان الشغل عن النفس بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات
ما حكي عن عبد الله بن مسعود رضه فقد قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون
بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم و
ذلك مراد الشيطان منهم ومن ابوابه العظيمة حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله وفي صفاته وفي امور
لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في اصل الدين او يخيل اليهم في الله خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور
مبتهج بما وقع في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا
في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه واكثرهم سؤالا من العلماء روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال
ان الشيطان يأتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله
فان ذلك يذهب عنه ولم يأمر صلى الله عليه وآله بالبحث في علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق
العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامي لو يزني او يسرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم فانه من
تكلم من غير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق
بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه العظيمة سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن ان بعض الظن اثم ومن حكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او
يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وآله
اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول الله صلى الله عليه وآله احترز منه وروي عن علي بن الحسين عليهما السلم ان صفية بنت حيي بن اخطب اخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وآله
كان معتكفا في المسجد فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال انها صفية
بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق
رسول الله صلى الله عليه وآله على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين
في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا
بعضهم وبعين السخط بعضهم • وعين الرضا عن كل عيب كليلة • ولكن عين السخط تبدي المساويا • فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار
فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك
خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه
بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة الا

وهو سلاح للشيطان ومدخل من مداخله فصل فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان فهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الانسان
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك
يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من هذا الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي نعم
اصولها اذا قطعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز
ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا يتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث
النفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا
هم مبصرون خصص ذلك بالمتقين ومثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن في يدك لحم او خبز فانه ينزجر عنك بان
تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك شيء من ذلك وهو جائع فانه يهجم عليك ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن
قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر
الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة
عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليله قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الآيات والاخبار الواردة
في الذكر فهل طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عنهم كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دواء
قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة فيطمع ان ينفعه الدواء كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فان الذكر دواء
والتقوى احتماء يخلي القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما يندفع العلة بنزول الدواء
في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال الله تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى
عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان
ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك
صلاتك فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك
في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت فالصلوة
محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساويها فالصلوة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان
بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان اردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم
اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر
اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما قال الله تعالى ادعوني استجب لكم
وانت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا
وقد قال الله تعالى ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله فلم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن فلم تعملوا بحدوده

وقلتم

وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وآله وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال الله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه
على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس
امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فصل فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفة فاعلم انه لا حاجة لك الى معرفة
ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى به ولا تسأل عن المنبت ولكن الذي يستضيء بنور الاستبصار
وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يختص به ويدعو اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه
وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من
الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ان اسماءهم ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب
الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فانه صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب
واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان
الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد وردت في ذلك اخبار كثيرة فكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة و
قد ذكرنا في كتاب الصبر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف
ولو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يديه فاغر فاه ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال ايوب
بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤون معهم وقال جابر بن عبد الله ان آدم لما اهبط قال يا رب هذا العبد
الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال الله عز وجل لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال يا رب
زدني قال الله عز وجل اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال يا رب زدني قال الله عز وجل باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح
قال ابليس يا رب هذا العبد الذي كرمته علي الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال الله تعالى لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى
الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان
الا غرورا وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب وحشرات الارض وصنف
كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم
اعين لا يبصرون بها الآية وصنف اجسادهم اجساد بني آدم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال
وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام فقال له انصحك قال لا اريد ذلك ولكن اخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة اصناف
اما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل على احدهم حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء ادركنا منه
ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء واما الصنف الآخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم
نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الآخر فهم معصومون منك لا نقدر منهم على شيء فصل فان قلت كيف يتمثل

دون بعض وإذا رأى صورته فهي صورة حقيقية أو مثال وإن كان صورة حقيقية فكيف يتصور أن يرى في وقت واحد في مكانين
وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا تدرك حقيقة صورتهما إلا ب
الأنوار النبوة فما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في صورته إلا مرتين وذلك أنه صلى الله عليه وسلم سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده
ذلك بحراء فطلع له جبريل عليه السلام فسد الأفق من المشرق إلى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه
في صورة الآدمي غالبا فكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب
بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما
المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم
كما روي أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في
صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس ومثل
هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا
يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا بد أن يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه
الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن للقلب وجهين وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الإلهام والوحي
ووجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات
إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن
قبيح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا تكون إلا محاكية للصفة
وموافقة لها لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع
وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على
إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار عجيبة وهي من أسرار عجائب القلب ولا يليق
ذكرها بعلم المعاملة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما في النوم وتارة
بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف
دون من حوله كالنائم

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم أن هذا أمر غامض وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سماسرة العلماء بالشرع فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله
أنه قال عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل به وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله تعالى يقول للحفظة إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها فإن عملها فاكتبوها
سيئة وإذا هم بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرا وقد أخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب
وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة ولم يعملها

لم تكتب

لم تكتب عليه وإن عملها كتبت سيئة وفي لفظ آخر وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو **أقول** ومن طريق الخاصة
ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشرا
ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ومن هم بها وعملها كتبت عليه سيئة **قال** وأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه وإن تبدوا ما في أنفسكم أو
تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا فدل
على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وقال تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا في هذه المسألة أنه لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح
فنقول أول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها والثاني هيجان الرغبة إلى النظر و
هو حركة الشهوة في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسميه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن
ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما
يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العقد على الالتفات وجزم النية فيه وهذا
نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا
الهم وصار إرادة مجزومة فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه و
ربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول أما الخاطر
فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذا الميل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وآله عفي عن أمتي
ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما
روي عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وآله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا إن من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي قال مهلا
خصاء أمتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني أن أترهب قال مهلا رهبانية أمتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم قال مهلا فإني أحبه
ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله
صلى الله عليه وآله إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا مردد بين أن يكون اضطرارا
أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به وأما الرابع وهو الهم بالفعل فإنه مؤاخذ به إلا أنه إن لم يفعل
نظر فإن تركه خوفا من الله عز وجل وندما على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل
على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى وهو أشد من موافقته
الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لأنه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وإن تعوق الفعل بعائق أو ترك بعذر لا خوفا
من الله تعالى كتبت عليه سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله
قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فإن هو عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له

حسنة فاما ان تركها من اجل وجبت فلم يعملها اراده او تركها لله تعالى فاما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف تكتب حسنة
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ليقتل مسلما او يزني بامرأة فمات تلك الليلة
مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار بمجرد الارادة من اهل النار
مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم داخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم
حسنة فلذلك كتبت حسنة فاما فوات المراد بعائق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يؤاخذ به لانه لا يدخل
تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء اناس من
الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله تعالى الفرج بقوله
لا يكلف الله نفسا الا وسعها **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل ان هذه
الآية عرضت على الانبياء والامم السالفة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وعرضها على امته فقبلوها
فلما رأى الله عز وجل منهم القبول علم انهم لا يطيقونها قال اما اذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم
فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها **قال** ابو حامد فظهر به
ان كل ما لا يدخل تحت الاختيار من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على
القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد ان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلوب من الكبر والعجب والرياء والنفاق
والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر
من غير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لانه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى
بل القلب اولى بالمؤاخذة لانه الاصل قال صلى الله عليه وآله التقوى هاهنا واشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم وقال صلى الله عليه وآله الاثم حزاز القلب وقال صلى الله عليه وآله البر ما اطمأن اليه القلب وان افتوك
وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من ظن انه تطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر
كان له ثواب بفعله وان تركه ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت اجنبية
وان ظن انها اجنبية عصى بوطئها وان كانت زوجته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح **بيان** ان الوسواس هل يتصور
ان ينقطع عند الذكر بالكلية ام لا اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس
فرق فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله لان النبي صلى الله عليه وآله قال فاذا ذكر الله خنس والخنس هو السكوت فكأنه
يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصلها ولكن يجري في القلب ولا يكون لها اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة

فالمشغول

كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان
في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانها اذا ادرت بسرعة رايت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة
واستدل هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام
تساوقا لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى بعينيه شيئين في حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من عبد الا وله
اربعة اعين عينان في رأسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا ان كل هذه المذاهب صحيحة
ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد منهم الى صنف واحد من الوسواس فاخبر عنه والوسواس ثلثة اصناف
الصنف الاول ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن
الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد
منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه خنس الشيطان وهرب اذ لا يقدر ان يقول ليس الصبر على النار اشد من الصبر
عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في علمه وعمله فيقول
اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد حينئذ ان معرفته وقلبه واعضاءه التي بها علمه وعمله كل ذلك
من خلق الله تعالى فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسوسة ينقطع بالكلية
عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والمعرفة **الصنف الثاني** ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعرف
العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا
فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة **الصنف الثالث** ان يكون وسواسه بمجرد
الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود
فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب
وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه
بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر
فانا قد نرى القلب المستوعب بعدو تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غيره وكذا المستغرق في
الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه
احد لكان كأنه لا يراه فاذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على مال وجاه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز
لضعف الايمان بالله واليوم الآخر فاذا تأملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها
ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه ابدا بعيد جدا ومحال ولا ينقطع وسواس
الدنيا ونعدها الآباد مع المفارقة فادام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان في صلاته عن الفكر في ديناره

دانه كيف يحفظه وفيما ذا يحفظه وكيف يحفظه من العلم باحد وكيف يظهره حتى يقبحه الا بخير ذلك من الوسواس فمن الشر محال في
الدنيا طمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن اغنى في العبادة وظن انه لا يقع عليه وهو فرح فالدنيا باب عظيم لدخول الشيطان
وليس ما بقي احد من ابواب القلب عليهم من علماء الشيطان فذلك آدم من قبل المعصية فان القنيع انما هو من وجه الخصوص من تعدية بوجه
فان ابى امره بالمخرج والشدة حتى يترحم عليه فليس كلامه فان ادخله في وسكة ومعونة وصلواته حتى يخرجه عن العلم فان اذا ضعف عليه احوال
حتى يراه الناس صار ضعيفا بحيث قلوبهم اليه ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد حاجة فانه آخر درجة العلماء لو جاوزها افلت منها
الى الجنة **بيان** سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه
الآثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتأثر به اصابه من جانب آخر ما يضاده
فيتغير وصفه فان نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى والتفت القلب اليه نزل الملك به وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه
شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه ملك آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة
بين ملك وشيطان ولا يكون مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وآله
على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به ويقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على
دينك قالوا او تخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان
يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة
وقال صلى الله عليه وآله مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال صلى الله عليه وآله مثل القلب كريشة بارض فلاة تقلبها
الرياح ظهرا لبطن وهذه التقليبات وعجائب صنع الله وعجيب صنع الله من حيث لا تهتدي اليه المعرفة لا يعرفها الا المراقبون لاحوالهم والمراعون
لاحوالهم مع الله عز وجل والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلثة قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق
ينقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده
فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا
بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر
الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء
في الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف عليه الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا
لا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجاء
والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة والمراقبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عليه بوجهه وهو القلب المطمئن
المراد بقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب والمراد بقوله يا ايتها النفس المطمئنة القلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث

المفتوح

المدنس بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى
حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي
النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وينبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى
فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرف القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخمد نور اليقين لخوف الآخرة
اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى يطفئ انواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل
غلبة الشهوات بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة
وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة
بقوله عز وجل افرأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
وبقوله عز وجل لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى
جميع الشهوات ورب قلب حاله كذلك بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله
وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما
استحقر او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة
والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان **القلب الثالث** قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير
فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح
فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل
ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك
ملاذ الدنيا لهم يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان افتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان
وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني لا يحترز عن مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه ليس
فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الآباد ام
تستثقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب
النار لا يخففه عنك معصية غيرك ارأيت لو كنت في صيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس
او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال القلب
يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات
الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا عن حزب الله واوليائه مساعدا لحزب الشيطان
واوليائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله وان كان الغالب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء

الشيطان وتحريضه ايّاه على العاجل وتهوينه امر الآجل بل كل ما هو من الله فظهور الطاعة موجب سبق من القضاء على جوارحه وقلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن [illegible] القلب بين التقلّب [illegible] الى ان يثبت مع
الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشيطان فهذه الخاطرات من جانبين هذه الخاطرات الصادرة تظهر من خزائن الغيب لعالم الشهادة بواسطة
خزائن القلب فانه من خزائن الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرّف ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسّرت
له الطاعة واسبابها ومن خلق للنار يسّرت له اسباب المعاصي وسلّط عليه اقران السوء والقى في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغرّ
الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما
يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسّع قلبه لقبول الغرور
ويضيّقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيّقا
حرجا كانّما يصّعّد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضلّ يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد لا رادّ لحكمه ولا معقّب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعصية
وعرّفهم علامات اهل الجنة واهل النار فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فتعالى الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون ولنقتصر الآن على هذا القدر اليسير من عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه
لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع به من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشور عن اللباب بل يتشوّق الى [illegible]
وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله. هذا آخر كتاب شرح عجائب القلب من المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب
الاخلاق ومعالجة امراض القلب والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلّم تسليما كثيرا ١٠ محرم سنه [illegible]

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي صرّف الامور بتدبيره وعدّل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزيّن صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره
وفوّض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثّه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهّل على خواصّ عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره و
امتنّ عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلوة على محمّد عبده ونبيّه وحبيبه وصفيّه وبشيره الذي كان يلوح انوار النبوة من اساريره ويستشرف حقيقة الحقّ
من مخايله وتباشيره وعلى آله واصحابه الذين طهّروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادّة الباطل ولم يتدنّسوا بقليله ولا بكثيره
امّا بعد فانّ الخلق الحسن صفة سيّد المرسلين وافضل اعمال الصدّيقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتّقين ورياضة
المتعبّدين والاخلاق السيّئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار
ربّ العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب المفتوحة من القلب الى نار الله الموقدة التي تطّلع على الافئدة كما ان
الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن فالاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انّه مرض يفوّت
حيوة الابد واين منه المرض الذي لا يفوّت الا حيوة الجسد ومهما اشتدّت عناية الاطبّاء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت
حيوة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفي مرضها فوت حيوة باقية اولى وهذا النوع من الطبّ واجب تعلّمه على كل ذي لبّ
اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنّق في معرفة عللها واسبابها ثمّ الى
تشمير في علاجها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله سبحانه قد افلح من زكّيها واهمالها هو المراد بقوله عزّ وجلّ وقد خاب من دسّيها ونحن نشير في هذا
الكتاب الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل للعلاج لخصوص الامراض فانّ ذلك يأتي في بقيّة الكتب من هذا
الربع وغرضنا الآن النظر الكلّي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتّضح
ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغيير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطرق
الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد
النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشوء ثم بيان شروط
الارادة ومقدّمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا يجمع مقاصدها الكتاب ان شاء الله. **بيان** فضيلة حسن الخلق ومذمّة سوء الخلق قال الله تعالى لنبيّه
وحبيبه صلّى الله عليه وآله مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانّك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة كان خلق رسول الله صلّى الله عليه وآله القرآن وسأل
رجل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن حسن الخلق فتلا قوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثمّ قال صلّى الله عليه وآله هو ان تصل من
قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمّن ظلمك وقال صلّى الله عليه وآله بعثت لاتمّم مكارم الاخلاق وقال صلّى الله عليه وآله اثقل ما يوضع في الميزان
تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلّى الله عليه وآله من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثمّ اتاه من قبل يمينه فقال
يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثمّ اتاه من قبل شماله فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثمّ اتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه فقال

اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم فقال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع
السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله اي الاعمال افضل قال حسن الخلق وقال صلى الله عليه وآله ما
حسن الله خلق امرء وخلقه فيطعمه النار وقيل يا رسول الله ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق
تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اول ما يوضع في الميزان
حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء
الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المؤمنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وآله انكم
لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله احسن
الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول حسنتم
الله صلى الله عليه وآله يكثر الدعاء فيقول اللهم اني اسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال كرم المرء
دينه ومروته عقله وحسبه خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وآله يقولون ما خير ما اعطي العبد قال
حسن الخلق وقال صلى الله عليه وآله ثلث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به
في الناس وكان من دعائه عليه السلام في افتتاح الصلوة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف
عني سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال
صلى الله عليه وآله من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وآله اليمن حسن الخلق وقال صلى الله عليه وآله لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير
ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة لرسول الله ارأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما
هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وآله ان المسلم المسدد ليدرك
درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية اخرى درجة الظمآن في الهواجر وقال النبي صلى الله عليه وآله ان العبد ليبلغ بحسن القائم
خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وقال صلى الله عليه وآله سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة
تفوح وقال صلى الله عليه وآله ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم **اقول** وقد ذكرنا الاخبار في فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء
الخلق من طرق الخاصة في اول كتاب آداب الصحبة والمعاشرة من ربع العادات فلا نطول الكلام باعادتها **قال** الآثار قال ابن
لقمان الحكيم لابيه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثا قال الدين
والمال والحياء قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء
قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس فهو نقي تقي ولله ولي ومن الشيطان بريء وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه

وقال

وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال
الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيئ الخلق وصحب ابن المبارك رجلا سيئ الخلق في سفره فكان يحتمل منه ويداريه
فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات وان
قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق
حسنة لا يضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل له فما الحسب قال احسنكم خلقا
افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس الايمان حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا
المصطفى محمد صلى الله عليه وآله فاقرب الخلق الى الله السالكون آثاره بحسن الخلق **بيان** حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق اعلم ان الناس
قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له
وكان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق
بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله وقال بعضهم هو ان يكون من الناس
قريبا وفيما بينهم غريبا وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات
ايضا وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الباطن والظاهر
فيراد بالخلق الصورة الظاهرة وبالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة
ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والروح المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره باضافته
اليه اذ قال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى والمراد
بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية
فان كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة
سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا هي هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه
بثرت السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان يصدر عنه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند
الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة
بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن او القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص
خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل اما لباعث او رياء وليس هو عبارة عن القدرة لان
نسبة القدرة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحدة وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق
البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة
التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا

لا يتم حسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا
استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى
الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات
وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا انصلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في ان تكون تحت
اشارة العقل والشرع الحكمة اعني اشارة العقل والدين واما قوة العدل فهو ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع
فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة
ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس
الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا
ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها
يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان
مالت الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت الى النقصان
تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد
وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة
فاذن امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الافعال
الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على
حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن
اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن
لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون
واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده
صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل اختياره وايثاره
فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها
وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة
والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة
والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث

والتبذير

والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات
محاسن الاخلاق هذه الصفات الفضائل الاربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع
الا رسول الله صلى الله عليه وآله والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله
صلى الله عليه وآله وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن
جميع هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان
الاول قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال وقد اشار القرآن
الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى
ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله الصحابة فقال
اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق
وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه **بيان** قبول الاخلاق للتغير بطريق الرياضة اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة
والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها
وان الطباع لا تتغير فاستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها
فالطويل لا يقدر على ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر على ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى
والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع
عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق
لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير
خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من شره الاكل الى التأدب والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد
وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للآدمي واختياره في اصله وتفصيله كالسماء
والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد
وجودا ناقصا وجعل فيه قوة قبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت
خلقة يمكن ان تصير نخلة اذا انضاف التربية اليها ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل
بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه ولو اردنا سلاستهما وانقيادهما
بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها
بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان

ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا فى الصبى وفى مبدأ الفطرة تخلق الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما تخلق الغضب
وبعد ذلك تخلق قوة التمييز والسبب الثانى لم يتحقق تأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له اعتقادا كونه حسنا ومرضيا والناس فيه
على اربع مراتب الاولى هو الانسان الغافل الذى لا يتميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقى كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم
تستتم شهوته ايضا باتباع اللذات فهو سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم مرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه فى اقرب زمان
الثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهوته واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء
الشهوة عليه لكن علم تقصيره فى عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ فى نفسه من كثرة التعود للفساد والاخر ان
يغرس فى نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه المحل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم الثالثة ان يعتقد فى الاخلاق القبيحة انها الواجبة
المستحسنة وانها حق وجميل وتربى عليها فهذا لا يكاد يمكن معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندرة وذلك لتضاعف اسباب الضلال
الرابعة ان يكون مع [illegible] نشوه على الرأى الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة فى كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهى به ويظن ان ذلك
يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفى مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثانى
جاهل وضال فقط والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما ما يظن اكثر الناس [illegible]
ما دام حيا فلا ينقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع
الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهى ضرورية فى الجبلة فلو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع
شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقى اصل الشهوة فيبقى لا محالة
حب المال الذى يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط والتفريط
والمطلوب فى صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون فى نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال
الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد
قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك قال سيد الرسل صلى الله عليه وآله انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر
وكان اذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال الله تعالى والكاظمين الغيظ
ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب
عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة يعود الى
حد الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذى يدل على ان المطلوب هو الوسط فى الاخلاق
دون الطرفين ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفى التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام
الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال فى الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال [illegible]

خير الامور

خير الامور اوسطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض
الدنيا والتبذير ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما عنهما اى لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على انفاقه ولا على امساكه
فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه وكان كمال القلب ان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم
يمكن ذلك فى الدنيا طلبنا ما هو اشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن
الوصفين وكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفى قصد الامور ذميم فهذا هو
وهو ممكن [illegible] الرشد [illegible] الغضب [illegible]
اتخذ ذلك عذرا فى استبقاء بخله [illegible] ان القدر المرخص فيه [illegible] الاكثر [illegible] الاعتدال
فالصواب [illegible] قلع الاصل [illegible] الغضب [illegible] **بيان**
السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة
وللشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب
بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم ولا يبعد ان يكون
فى الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبى خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه
الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثانى اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعنى به حمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب
فمن اراد ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك
طبعا ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة
وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته ان يصير الفعل الصادر
منه لذيذا فالسخى هو الذى يستلذ ببذل المال دون الذى يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذى يستلذ بالتواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية فى النفس
ما لم تتعود جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال
القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله جعلت قرة عينى فى الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو
النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة
الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وآله اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفى فى نيل السعادة الموعودة على
حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية فى زمان دون زمان بل ينبغى ان يكون ذلك على الدوام وفى جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت
الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن السعادة فقال طول العمر فى طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء عليهم السلام الموت فان
الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات
تأثيرها فى القلب وانما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شئ احب اليه

من الكسل ومن لقاء الله لا يتم مع الالتفات الى غير الوجه الذي يرضى الله به وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذي ينبغي
وذلك لان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به ومتلذذا ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلوة قرة عين ومصير العبادات
لذيذا فان العادة تقتضي في النفس عجائب اغرب من ذلك فانك ترى الملوك والمتنعمين في احزان دائمة وترى القمار المفلس قد يغلب عليه من اللذة
والفرح بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلب ماله واخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك
لطول الفه وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها
وتحليقها في جو السماء بل ترى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به للصلب وهو مع ذلك
متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار
ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس
واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه
حتى يتباهى مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهات كما يجري بين الملوك والعلماء وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة
على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل اليه والى القبائح
فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين
وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميلها الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فانه مقتضى
طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته عارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى
لكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال الى حب شيء سوى الله
فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت
بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين
القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح
فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق
له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن
فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الاخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء
تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انخفض من النفس الى الجارحة فصار
يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى ينعطف منه على
قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك له
طبعا فلا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية

النفس

النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة
المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تانس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا فتفوتها فضيلة الفقه فكذلك صغائر
المعاصي يجر بعضها بعضا حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا
فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تاثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان
بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحدة منها تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فله لا محالة ثواب
لان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه
فكذا من يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه التوبة على التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ
القليل يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو في القلب لمعة بيضاء فكلما ازداد الايمان ازداد ذلك
البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل
النفاق اسود القلب كله فاذن قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب
الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا
فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعوده فهو
في غاية البعد عن الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق
قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن
الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الردية عنها وكسب الفضائل والاخلاق
الجميلة لها وجلبها اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري
العلل المغيرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه
او يمجسانه اي بالتعود والتعلم تكتسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك
النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد
القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشأنه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي
ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي
ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة
وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض

الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفاً وكما أنه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة
فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله
يحصل منه عذاب يدوم بعد الموت أبد الآباد ومهما كان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف
والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض
التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى إن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة
وإن كان من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أو قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه
وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف
في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار
على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي سنه وحاله ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة
ويبني على ذلك رياضته **أقول** ثم ذكر أبو حامد في ذكر جزئيات طرق تشيخ المريد ما كان بناء أكثره على الخطأ غير مقبول عنده
الخطأ ومبنياً على أمور تخالف طريقة أهل البيت عليهم السلام كما يأتي بيانه طويناها إذ لا بأس بما زاد لكان ما نذكره في كلام بقا تعليم
ولا حق **بيان** علامات مرض القلب وعلامات عوده إلى الصحة اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وإنما
مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش ومرض العين
أن يتعذر عليها الإبصار وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى
وعبادته والتلذذ بذكره وإيثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز به عن البهائم فإنه لم يتميز
عنها بالقوة على الأكل والوقاع والإبصار وغيرها بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدها ومخترعها هو الله تعالى الذي جعلها
أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله تعالى فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة
أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم إلى قوله أحب إليكم من الله ورسوله الآية
فمن كان عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز
والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرفه
صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة
الشهوات وهو نزع الروح من البدن وإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه فإن الأطباء هم العلماء وقد
استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه فلهذا صار الداء عضالاً والمرض مزمناً واندرس هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب
وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءات فهذه علامة أصل المرض وأما علامة

عوده

عوده إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها فإن كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله تعالى فإنما علاجه ببذل المال وإنفاقه ولكنه
قد يبذل المال إلى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء فيكون كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة وهو أيضاً داء بل المطلوب الاعتدال
بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فإن أردت أن تعرف الوسط
فانظر إلى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون إمساك المال
وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله للمستحق فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فإن صار البذل على غير المستحق
ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة على الإمساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك
بتيسير الأفعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة
محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله بقلب سليم عن هذا
المقام خاصة ويجب أن يكون سليماً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير
ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله المقربين من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد
من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط
المستقيم أعني الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقاً بالجانب الذي مال إليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن
كان مثل البرق قال الله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا أي الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من
بعدهم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم إذ وجبت قراءة فاتحة
الكتاب في كل ركعة فروي أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك قال صلى الله عليه وآله
لقوله تعالى فاستقم كما أمرت فالاستقامة على سواء الطريق في غاية الغموض ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر
على حقيقة الاستقامة فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد
صفاته وأخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد على الترتيب **بيان** الطرق التي بها يعرف الإنسان عيوب نفسه اعلم أن
الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون
بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يقف على عيوب نفسه فله أربع طرق **الأول** أن يجلس بين يدي
الثاني شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده
أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً فينصبه رقيباً على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة
ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين كان بعضهم يقول رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي وكل من كان أوفر عقلاً وأعلى منصباً
كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه إلا أن هذا أيضاً قد عز فقل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر

الواجب فلا تخلو اصدقاؤك من حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل
عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وما اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فلقد كانت شهوة ذوي الدين ان ينتبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم
وقد آل الامر في امثالنا الى ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا ان يكون مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات
وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما نكايتها على البدن
ولا يدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديئة على صميم القلب اخشى ان تدوم بعد الموت ابدا او آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا
عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه
ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا
بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله **الطريق الثالث** ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من لسان
اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه
ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد
ان تنتشر على السنتهم **الطريق الرابع** ان يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مرآة
المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران
لا ينفك القرن الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس
كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد
شيخا زكيا عارفا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك
فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده **بيان** شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع
على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات اعلم ان ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار
انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق
والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه
قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هي الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه
وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات اسرارا فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي
الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وآله المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق
يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدته وروي ان الله عز وجل اوحى الى داود عليه السلام
يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة

لموعود غائب لم يره وقال صلى الله عليه وآله لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا يا رسول الله وما الجهاد الاكبر
فقال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وآله المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل وقال صلى الله عليه وآله كف اذاك عن نفسك لا تتبع هواها في معصية الله
اذن تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر برحمته وقال يحيى بن معاذ جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه
القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات
ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى فاذا تحركت
من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها
بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها في سائر الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها
فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورانية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك
المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن
النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد
وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد
غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد من اراد شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى ان امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام
بعد ما ملك خزائن الارض ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف عليه السلام انه من يتق
ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال صلى الله عليه وآله من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا فاذن قد اتفق العلماء والحكماء
ان الطريق الى سعادة الآخرة لا يتم الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك
فينكشف مما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح
واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به والفه فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه
ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الآخرة ولا خلاص منه الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه
ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه فالناس فيه اربعة رجل مستغرق
ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات
مدة مديدة والثاني رجل استغرق في الدنيا قلبه ولم يبق لله عز وجل ذكر في قلبه الا من حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين
والثالث رجل يشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة
ذكر الله على قلبه والرابع رجل يشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله في قلبه
وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما يقول بعض ارباب العقول الغافلين ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سببا للبعد من الله فهذا خيال
ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة والمباح الخارج عن قدر الحاجة من الدنيا وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا فاذن لا يمكن اصلاح القلب

سلوك طريق الله تعالى منع النفس من التنعم بالمباح فان من لم يمنع نفسه بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول
فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي
البصر الى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل له وكذلك سائر الشهوات لان الذي يشتهى به الحلال هو الذي يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة
وقد وجب على العبد منعها من الحرام وان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى آفات المباحات ووراء
هذه آفات عظيمة وهو ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذي لا يفيق من اعظم من هذه
سكره وذلك لان الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الحزن والخوف وذكر الموت واهوال القيامة وهذا هو موت القلب
قال الله تعالى فرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله تعالى الا متاع الغرور
فاولو الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية بعيدة من التأثر عن ذكر الله تعالى واليوم الآخر وجربوها
في حال الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها
وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش في الحساب في عرصات القيامة فقد عذب
فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله تعالى والاشتغال
بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تأديبه ونقله من التوحش الى الالف فانه يحبس اولا في بيت مظلم وتخاط عيناه
حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما قد كان الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه
اجاب ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر
عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات
وذلك يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يكثر بكاؤه وجزعه
عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع
تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويالف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء
تنفر من السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السرح الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث تترك في موضعها فتقف
فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتاديبها بان تمنع من البطر والانس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت
فيقال له احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم انه من احب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى
فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلائل فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال
المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به سنة وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة
فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب
الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا

ما به

ما به فرحه فانه ان منع عن شيء من ذلك وقيل ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك
في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل عن الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة
ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا يزول الا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت
والسلام

بيان علامات حسن الخلق اعلم ان كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه انه
قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامات حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه
صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون وقال التائبون
العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق
وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا
احسنهم اخلاقا وقال اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل لمؤمن ان يشير الى
اخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره وجمع بعضهم
علامات حسن الخلق فقال هو ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح قليل الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول
برا وصولا وقورا شكورا صبورا رضيا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا
يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال
ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق
مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن آمن من كل احد الا من الله والمنافق خائف
من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب
الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملاء والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق
يامر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه لان
حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذب برداءه صلى الله عليه وسلم جذبا شديدا
وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من
مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر بالعطاء ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
فلذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وروي ان عليا عليه السلام دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال الا تسمع يا غلام قال نعم

قال في حكمه على ترك جوابه الا انت عنه بحبك فلما سكت فقال من ما انت عمر لا جابه قد **اقول** ثم ذكر ابو حامد رحمه الله بابا في ... زعم انها
من محاسن اخلاقهم بتذليل انفسهم للناس وهو غرض عظيم في طريق اهل البيت عليهم السلام لكن القدماء ان العبد لم يترك نفسه فلا حاجة هنا الى الاقتصار و
قد ذكرنا في كتاب الطاف الامور وآداب الصحبة من ربع العادات من اخلاق اهل البيت عليهم السلام كلماتهم في محاسن الاخلاق وصفات المؤمنين فيه
بلاغ لقوم عابدين وكذا في كتاب آداب الصحبة والمعاشرة من هذا الربع افعال اهل البيت في الامر علمهم من الحكمة والقدرة في كل باب والله الموفق

قال اعلم ان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشوء ووجه تأديبهم وتحسين اخلاقهم من اهم الامور واوكدها والصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه عن نار الآخرة اولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا يأخذ الطعام الا بيمينه وان يقول عليه بسم الله عند اخذه وان يأكل مما يليه وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره وان لا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل وان لا يسرع في الاكل وان يجيد المضغ وان لا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وان يعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه كثير الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي مهما اهمل في ابتداء نشوئه خرج في الاغلب رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن واحاديث الاخيار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ من مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله ولا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك ان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له

اياك

اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا وان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والداه او بشيء من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من ان يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة ودناءة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الطمع والاخذ مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه يتبصبص في انتظار لقمة والطمع فيها وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اضر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه فعل ابناء اللئام ويمنع اليمين اصلا صادقا كان او كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع ان يبتدئ بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء واصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر له ان ذلك دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر منه سنا من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من شهر رمضان ويجنب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشؤه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان بها على طاعة الله تعالى وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الآخرة دار مستقر لا دار ممر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا كان النشؤ صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشؤ بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه

ومنفراته وتبيانه **بيان** شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة اعلم ان من شاهد الاخرة بقلبه مشاهدة
يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الاخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان عنده خرزة فراى جوهرة نفيسة
لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الاخرة ولا طالبا للقاء الله فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الاخر
ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا
انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذن المانع من الوصول
عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة المذكرين والعلماء بالله الهادين
الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الاخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم و
ليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق
فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا
والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعث له ارادة في حرث الاخرة وتجارتها
فينبغي ان يعلم ان لها شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع
لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق فاما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فيرجع حاصلها الى رفع السد والحجاب
الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية والسد بين
المريد والحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه
فهو مقيد به محجوب عن الله وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق عنه
وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قولك لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق
صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب
كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد
الانتماء الى مذهب معين اصلا **اقول** هذا انما يصح على مذهب العامة حيث يتعصبون في الاصول للاشعري والمعتزلي ونحوهما من اهل الاراء وفي الفروع
للحنفي والشافعي ونحوهما من اصحاب الاهواء واما على مذهب الحق من حب اهل البيت عليهم السلام الذين امرنا بالتمسك بهم فالانتماء اليهم
شرط الاهتداء لاعلام الدين والتعصب لهم يزيد السالك في سلوكه بصيرة ويقينا **قال** واما المعصية فهي حجاب لا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم
وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين
بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منها الى اسرار معانيه
فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا واخرا ثم الترقي الى اغوارها واسرارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ
ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان

كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كـ
الشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على
شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض امره اليه بالكلية ولا يخالفه في وروده ولا صدوره ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطأ شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه
في صواب نفسه لو اصاب **اقول** اذا جاز على الشيخ الخطأ فربما يكون فساده اكثر من اصلاحه والحق انه لا يجوز الاعتماد في الاعتقاد والعمل الا على
معصوم من الخطأ والزلل او من يعتصم من الله عز وجل بحبل الله المتين ائمتنا المعصومين ثم من اخذ عنهم من شيعتهم الاخذين عنهم ممن حكى امرهم قال
الصادق عليه السلام اياكم ان تنصبوا رجلا دون الحجة فتصدقوه في كل ما قال وقد ورد عنهم عليهم السلام في الاداب والسنن وكيفية السلوك في كل امر من الامور ما
سيره والحمد لله **قال** فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو اربعة امور
الخلوة والصمت والسهر والجوع وهذه تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي
بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو
فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع
خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في
كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك الى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة
فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها فتتم به رغبته عن الدنيا واقباله على الاخرة والسهر نتيجة الجوع
فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب الكشف لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال
ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص اجمع رأي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه تسهله العزلة
ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير امره فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلب الى
الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل
وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من
تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه
فيتجدد في كل حال اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في بيت مظلم فليلف رأسه في جيبه او
يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وآله
بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق
فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله الا صفات القلب التي سببها الالتفات
الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي تلك الصفات اسرار
العلائق التي قطعها في اول الارادة واثارها اعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوق الى المعاصي فلا بد من

ومن تخلية الباطن عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص يكفيه قليل
الصفات فلا يطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة هو مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد
كما سبق ذكره واذا كفى ذلك او ضعفت بالمجاهدة فلم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير
الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب
لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر بقلبك من الجمعة الى الجمعة التي
تأتيني شيء غير الله فحرام عليك ان تأتيني وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله على القلب حتى يكون في صورة
العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت
الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله او الله
الله او سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب
ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ القلب عن كل ما
سواه لان القلب اذا شغل بشيء خلا عن غيره اي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا عن غيره لا محالة وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس
القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك
اللحظة وكان ذلك ايضا نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة انها
ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان
ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه
ولكن الشيطان يلقي ذلك في القلب ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى
ما يشك فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات الى علقة او صدق في ارادة فينبغي ان
يظهر ذلك لشيخه وان يستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فان علم انه ان تركه وامره بالفكر
تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه رده
الى الاعتقاد الصحيح القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي ان يتأنى الشيخ ويتلطف به فان هذه من مهالك الطريق
ومواقع اخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه واشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة
وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة خطرة فان سلم كان من ملوك
الدين وان اخطأ كان من الهالكين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد
والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من الاعتقاد الظ

شيخه

لم يشغله

لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال
ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من
العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا
بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم على ذلك وراس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السياحين
قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق قال ان تكون في الدنيا كانك عابر طريق وقال لي مرة قلت له دلني على عمل اجد قلبي فيه مع الله
في كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي منهم قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال
فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم فلا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا اتنظر الى
الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله على الدوام هذا ما لا يكون ابدا اقول قد اطلع في كلام ابو حامد
من وقع في اودية الضلال واخر جاوز حد الاعتدال [illegible] واحدثت بدعتهم [illegible] على الهوى كالفاسقين الذين يخرجون
من الدين [illegible] ولو كان طريق الى الحق احسن من السبيل الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لجاء به دونه لان شريعته خير الشرائع كما انه خير الانبياء وقد
ورد في التنزيل وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فلا [illegible] فيما جاء به كفاية [illegible] بل
اما ورد النصوص [illegible] فقد ورد الحث الاكيد على طلب الحلال والاحتراز [illegible]
[illegible] حب المال والجاه لا احترازا [illegible] الضرورة [illegible] التعصب
فقد ورد ان فضل القربات الحب في الله والبغض في الله [illegible] فقد ورد ذم الشيطان
[illegible] والاقتصاد [illegible] فقد ورد في فضل تلاوة القرآن و
الدعاء ما ورد [illegible] في الكتب المتفق عليه
بين خاصة [illegible] لا رهبانية في الاسلام [illegible] رهبانية امتي [illegible] في المساجد [illegible] طريقة
[illegible] رسول الله [illegible]
[illegible]
[illegible] رسول الله [illegible]
صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]

[illegible]

... وهذا احد معاني قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

الاحياء، ويتلوه كتاب كسر الشهوتين من شهوة البطن والفرج والحمد لله اولاً وآخراً والصلوة على محمد وآله الطاهرين الطيبين

كتاب كسر الشهوتين من شهوة البطن والفرج وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من المحجة البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه، المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه، القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه، المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه، المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه، المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بامانيه، فهو الذي يرشده ويهديه، وهو الذي يميته ويحييه، واذا مرض فهو يشفيه، واذا ضعف فهو يقويه، وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه، وهو الذي يطعمه ويسقيه، وهو الذي يحفظه من الهلاك ويحميه، ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه، ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه، حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه، ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه، فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه، هذا بعد ان يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه، ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤاتيه، كل ذلك ليمتحنه ويبتليه، فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه، وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه، ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه، والصلوة على محمد عبده النبيه، ورسوله الوجيه، صلوة تزلفه وتحظيه، وترفع منزلته وتعليه، وعلى الابرار من عترته واقربيه، والاخيار من صحابته وتابعيه. اما بعد فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن، فبها اخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار، اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما، والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات، اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات، ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات، ثم يتولد من بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء، وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء، ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان، ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى، ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا، واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيراً منها، ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيباً فيها، وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها، ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير، ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس، ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة، ثم القول في شهوة الفرج، ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله، ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين.

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله، وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش. وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه. وقيل يا رسول الله اي الناس افضل؟ قال: من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته. وقال صلى الله عليه وآله: سيد الاعمال الجوع، وذل النفس لباس الصوف. وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وآله: البسوا الصوف واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة. وقال الحسن قال صلى الله عليه وآله: الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة. وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعاً وتفكراً، وابغضكم الى الله كل نؤوم اكول شروب. وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يجوع من غير عوز اي مختاراً لذلك. وقال صلى الله عليه وآله: ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول: انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما لاجلي، اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة. وقال صلى الله عليه وآله: لا تميتوا القلوب

بكثرة

بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء. وقال صلى الله عليه وآله: ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فان كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه. وفي حديث اسامة بن زيد: ان اقرب الناس الى الله يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا، الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا، تعرفهم بقاع الارض، تحف بهم ملائكة السماء، نعم الناس بالدنيا ونعموا بالآخرة بطاعة الله، افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب، ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم، تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله على كل بلد ليس فيه منهم احد، لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف، اكلوا العلق ولبسوا الخرق، شعثاً غبراً يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء، ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولا خولطوا، ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر الله الذي اذهب عنهم الدنيا، فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول، عقلوا حين ذهبت عقول الناس، لهم الشرف في الدنيا ولهم الشرف في الآخرة. يا اسامة اذا رأيتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة، لا يعذب الله قوماً هم فيهم، الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض، اتخذهم لنفسك اخواناً عسى ان تنجو بهم، وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل، فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار. وقال عيسى عليه السلام: اجيعوا اقلوبكم واعروا اجسادكم فلعل كبادكم قلوبكم ترى الله عز وجل. وروي ذلك عن نبينا صلى الله عليه وآله. وفي التورية مكتوب: ان الله ليبغض الحبر السمين، لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصاً بالحبر، ولاجله قال ابن مسعود: ان الله يبغض القارئ السمين. وفي خبر مرسل: ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش. وفي الخبر: ان الاكل على الشبع يورث البرص. وقال صلى الله عليه وآله: المؤمن ياكل في معى واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء، اي ياكل سبعة اضعاف ما ياكل المؤمن او تكون شهوته سبعة اضعاف شهوته، ويكون المعى كناية عن الشهوة، لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذ المعى، وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن. وعنه صلى الله عليه وآله: ادموا قرع باب الجنة يفتح لكم، قيل: وكيف نديم قرع باب الجنة؟ قال: بالجوع والظمأ. وروي ان ابا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعاً يوم القيمة اكثرهم شبعاً في الدنيا. وكانت عائشة تقول: ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يمتلئ قط شبعاً، وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع، فيقول: يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم، فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم، فاصبر اياماً يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غداً في الآخرة، وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي. قالت: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله. وعن انس قال: جاءت فاطمة بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما هذه الكسرة؟ قالت: قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك منه بهذه الكسرة، فقال: اما والله انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام. وقال صلى الله عليه وآله: ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة، وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملأى، وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة.

اقول: روى في الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال: كثرة الاكل مكروه. وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس شيء ابغض الى الله من بطن ملآن. وعنه عليه السلام قال: ان البطن ليطغى من اكله، واقرب ما يكون العبد من الله اذا خف بطنه، وابغض ما يكون العبد الى الله

اذا امتلأ بطنه وعنه عليه السلام قال قال ابو ذر رحمه الله اطولكم جشأ في الدنيا اطولكم جوعا في الآخرة او قال يوم القيمة وعنه عليه السلام
ان الاكل على الشبع يورث البرص وعنه عليه السلام قال كل داء من التخمة ما خلا الحمى فانها ترد ورودا وعنه عليه السلام قال ليس لابن آدم بد
من اكلة يقيم بها صلبه فاذا اكل احدكم طعاما فليجعل ثلث بطنه للطعام وثلث بطنه للشراب وثلثه للنفس ولا تسمنوا تسمن الخنازير
للذبح وعن ابي جعفر عليه السلام قال اذا شبع البطن طغى وعنه عليه السلام قال ما من شيء ابغض الى الله من بطن مملوء وفي مصباح الشريعة عن
الصادق عليه السلام قال قلة الاكل محمودة في كل حال وعند كل قوم لان فيه المصلحة للظاهر والباطن والمحمود من المأكول اربعة ضرورة
وعدة وفتوح وقوت فالضرورة للاصفياء والعدة لقوام الاتقياء والفتوح للمتوكلين والقوت للمؤمنين وليس شيء اضر
لقلب المؤمن من كثرة الاكل وهي مورثة شيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة والجوع ادام للمؤمن وغذاء للروح وطعام للقلب
وصحة للبدن قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه وقال داود عليه السلام ترك اكل لقمة مع الضرورة
اليها احب الي من قيام عشرين ليلة قال النبي صلى الله عليه وآله المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق يأكل في سبعة امعاء وقال صلى الله
عليه وآله ويل للناس من القبقبين فقيل وما هما يا رسول الله قال الحلق والفرج وقال عيسى بن مريم عليهما السلام ما مرض القلب باشد من القسوة
وما اعتقت نفس بصعب من بغض الجوع وهما زماما الطرد والخذلان قال ابو حامد واما الآثار فقال لقمان لابنه يا بني اذا
امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها
المجاعة وقال الفضيل لي جعفر راجعت نفسك ان كنت في طلب العلم الا بالاصابع وانما تفعل ذلك وانك فيها من زلة هذا
سنك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين
حكمة وفي التورية اتق الله واذا شبعت فاذكر الجائع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال
ايضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا من احبه وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان
يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي يوم القيمة عمل بر اكبر من ترك فضل الطعام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله في اكله وقال لم ير الاكياس
شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الآخرة من الاكل الكثير وقال وضعت الحكمة في الجوع وجعل المعصية والعلم
في الشبع وقال ما عبد الله بشيء افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما يأكل من حسناته
وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاكل فيكون اذا جاع ليلة سأل الله ان يجعلها ليلتين فاذا كان
ذلك وجد الزيادة وقال ايضا ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء الى الارض الجوع
ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله
وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالصبر والجوع والجهد وقال ما طلع احد على وجه الارض شرب الماء حتى
يروى فسلم من المعصية وان شكر الله تعالى يشبع من الطعام وسئل حكيم باي قيد اقيد نفسي قال بالجوع والعطش وذللها باخماد الذكر وترك العز
وصغرها بوضعها تحت ارجل ابناء الآخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها

وكان

وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى ان الله ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت
لهم الارض الا بالجوع ولا تولاهم الله الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير
ممتلئ فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال ابو بكر بن عبد الله ثلثة يحبهم الله رجل قليل الاكل قليل النوم
قليل الراحة وروي ان عيسى عليه السلام مكث ستين صباحا يناجي ربه لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع
فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا هو بشيخ قد اظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني
فقال الشيخ اللهم ان كان خطر الخبز ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان اذا حضرني شيء اكلته من غير فكر وخاطر وروي ان موسى عليه السلام لما قربه نجيا
كان قد ترك الاكل اربعين يوما ثلثين ثم عشرة على ما ورد في القرآن لانه امسك بغير تبييت يوما فزيد عشرة لاجل ذلك بيان
فوائد الجوع وآفات الشبع لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك
فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتأذى به الانسان من ضرب نفسه وقطع لحمه وتناول الاشياء الكريهة وما يجري مجراها فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب
دواء فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهيته فاخذ يتناول كل ما يكره مذاقه وهو غلط منه بل النفع في خاصية في الدواء
وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على سبب نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح
الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع به وان لم يعرف وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك
ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد الاولى
صفاء القلب وايقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن
الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك وقال ابو سليمان
عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وآله احيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق
ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة مثل السحاب والحكمة مثل المطر وقال صلى الله عليه وآله من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله
من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكوة وزكوة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله يوما الا رأيت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط
وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان
يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال
ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وآله نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم
لا تشبعوا فيطفئ نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور العين حوله حتى يصبح الفائدة الثانية رقة القلب وصفاؤه
الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كان
بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان
احلى ما يكون الي العبادة اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو

القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع رين وغلظ فاذن اثر القلب بلذة المناجاة امر وراء صفاء الفكر واقتناص المعرفة فهذه فايدة ثانية

الفايدة الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها و اظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سعادته في ان يكون دايما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دايما جايعا ذليلا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزاينها قال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر

الفايدة الرابعة ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجايعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر بلاء الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع اهل النار حتى انهم يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه هو الذي يهيج الخوف فمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا فقر ولا بلاء نسي عذاب الاخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في مقاساة بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوايد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة وهو احد الاسباب التي اقتضت اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك لما قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايعين والمحتاجين احدى فوايد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله والشبعان في غفلة عن الم الجايع

الفايدة الخامسة وهي من اكبر الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشا المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة كلها في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت كذلك النفس وقيل لبعضهم ما لك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني فلان احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا وعصيت او هممت بمعصية وقالت عايشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فايدة واحدة بل هي خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزاين الله تعالى واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والفحش والنميمة والكذب وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصايد السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى غايلتها والجوع يكفي شرها فاذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه فالعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف لم يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية ومن حديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في اثناء الصلاة وانما

ذكرنا

ذكرنا افة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فيصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط معه شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء

الفايدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولاجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع رأي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فوتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ايضا ذلك من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته صلاة الليل ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما يقع بصره على عورة في الحمام فان فيه اخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له

الفايدة السابعة تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر ترداده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر وساير العبادات لكثر ربحه قال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفي منه خزانة باقية في الاخرة لا اخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته وفيه ضرر ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة فيها ارباح عظيمة وانما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست افات من الشبع فقال من شبع دخل عليه ست افات فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل

الفايدة الثامنة يستفيد من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الفكر والذكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع من كل ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي فقال ليصف لي كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي الاهليلج الاسود وقال العراقي هو حب الرشاد الابيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك قال الدواء

ويحوج

الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل حتى تشتهيه وان ترفع يدك وانت تشتهيه فلو صدقت في ذلك لعجب العلماء من اطباء اهل الكتاب
قول النبي صلى الله عليه وآله ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم
وقال صلى الله عليه وآله البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب من هذا الخبر لا من ذلك
وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة مادوما بادب لم يعتل الا علة الموت قيل وما الادب قال تاكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال
بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار من الاكل ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان وان اضر ما ادخل معدته المالح ولان
يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وقلة الاكل صحة الاجسام من الاسقام
وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما **الفايدة التاسعة** خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من
المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له اخذا بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل
المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما يحتاج الى ان يمد اعين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والمؤمن خفيف
المؤنة قال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك اروح لنفسي وقال اخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة
او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الزيادة فهو خير غريم لي وكان ابراهيم بن ادهم يسال اصحابه عن سعر الشيء من الماكول فيقال
انه غال فيقول ارخصوه بالترك قال سهل الاكول مذموم في ثلث خصال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا
فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا و
سبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي ابواب النار
وفي حسمها ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وآله ادمنوا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات
ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه لا تلهيهم لاستغنائهم عنهما بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة **الفايدة العاشرة**
ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيمة في ظل صدقته كما جاء في الخبر فما ياكله
فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق
بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله الى رجل سمين البطن فاوما باصبعه الى بطنه وقال
لو كان هذا في غير هذا المكان لكان خيرا لك اي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركت رجالا كان الرجل
منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله لبطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد
للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا تنحصر ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولهذا قال بعض
السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك مصرح في الاخبار التي رويناها و
بالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك بصيرة وعلم واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل

الجوع

الجوع كانت له رتبة المقلدين في الايمان **بيان** طريق الرياضة في كسر شهوة البطن اعلم ان على المريد في ماكوله وطعامه اربع وظائف
الاولى ان لا ياكل الا حلالا فان العبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام
ويبقى ثلث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول
المشتهيات وتركها **اما الوظيفة الاولى** في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير وانتقل دفعة الى
الاكل القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل
رغيفين مثلا واراد ان يرد نفسه الى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من ثلثين جزءا
فيرجع الى رغيف في شهر ولا يستضر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله امس
ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد
الخلق بثلث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي الحيوة والعقل اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان
كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع افضل
من صلوته قائما مع كثرة الاكل **اقول** هذا ليس بشيء لانه خلاف ما يظهر من آثار اهل البيت عليهم السلام فالصواب ان يحافظ السالك على
قوته كما يحافظ على حيوته وعقله كما قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة وقد مضى تمام الكلام فيه **قال الدرجة الثانية** ان يرد نفسه بالرياضة
في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا المقدار ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله
صلى الله عليه وآله وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في جمع القلة فهو لما دون العشرة **الدرجة الثالثة** ان يرد نفسه الى مقدار المد
وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي
بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله ثلث للنفس **الدرجة الرابعة** ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا
لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه
ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده عن الطعام وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر لنفسه رغيفا او
رغيفين فانه لا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احدها ان لا تطلب النفس الادام بل
تاكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلبت خبزا بعينه او طلبت اداما فليس ذلك بالجوع وقيل ان يبصق فلا يقع الذباب عليه اي لم يبق
فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو
بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة
من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون في كل يوم قريبا من نصف
مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع

من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله والله لا أزيد عليه حتى ألقاه فإني سمعته صلى الله عليه وآله يقول أقربكم مني مجلساً يوم القيامة وأحبكم إلي
من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في إنكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين إدامين
واختلف عليكم بألوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان قوت أهل
الصفة مد من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وقال بعض السلف المؤمن مثل العنزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة
من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعاً بلعاً سرطاً سرطاً لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله وجهوا هذه الفضول
أمامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دماً عبيطاً لكان قوت المؤمن منها حلالاً لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط

الوظيفة الثانية

في وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أيضاً أربع درجات الدرجة العليا أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة إلى الطي
لا إلى المقدار حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوماً وأربعين يوماً وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم كانوا يستعينون بالجوع على
طريق الآخرة وقد ذكر بعض العلماء أن من طوى أربعين يوماً من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية وقد
حكي أن بعض هذه الطائفة مر على راهب فذاكره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك كلاماً كثيراً إلى أن قال له الراهب
إن المسيح كان يطوي أربعين يوماً وأن ذلك معجزة لا تكون إلا لنبي أو صديق فقال له الصوفي فإن طويت خمسين يوماً تترك ما أنت عليه وتدخل
في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنك على باطل قال نعم فقعد لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوماً ثم قال وأزيدك أيضاً فطوى تمام الستين
فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحداً يجاوز المسيح وكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها إلا مكاشف محمول
شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته الدرجة الثانية أن يطوي يومين إلى ثلاثة وليس
ذلك خارجاً عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة الدرجة الثالثة وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة
وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك فهو إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة فقد روى
أبو سعيد الخدري أنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة
وقال صلى الله عليه وآله لعائشة إياك والإسراف فإن أكلتين في يوم من الإسراف وأكلة واحدة في كل يومين إقتار وأكلة في يوم واحد
سرفاً والأكلة الواحدة في يومين إقتار وأكلة في يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له
أن يأكلها في السحر قبل طلوع الصبح فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام بخلو القلب
لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله كان
يواصل إلى السحر **أقول** وذلك بشرط أن لا يعقب ذلك صوم وصال بل أفطر بعد المغرب فإن الوصال من خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو حرام على أمته كما رويناه عن أهل البيت عليهم السلام **قال** وإن كان يخفف قلب الصائم إلى الطعام بعد المغرب ولا يخلو
عن حضور القلب في التهجد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان رغيفين مثلاً أكل رغيفاً عند الفطر ورغيفاً عند السحر لتسكن نفسه
ويخف عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغيف الأول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوماً ويفطر يوماً

فلا بأس

فلا بأس أن يأكل يوم فطره قبل الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في مراقبة وقت الأكل وتباعده وتقاربه **أقول** ورد في
بأسانيده عن أبي الشهاب بن عبد ربه قال شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من الأوجاع والتخم فقال تغد وتعش ولا تأكل بينهما شيئاً فإن
فيه فساد البدن أما سمعت الله عز وجل يقول لهم رزقهم فيها بكرة وعشياً وعنه عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام عشاء الأنبياء عليهم السلام بعد العتمة
فلا تدعوه فإن ترك العشاء خراب البدن وعنه عليه السلام قال ترك العشاء مهرمة وينبغي للرجل إذا أسن أن لا يبيت إلا وجوفه من
الطعام ممتلئ وعنه عليه السلام في حديث قال إن أبي كان لا يدع العشاء فإذا ترك الرجل العشاء ولو بلقمة من خبز أو شربة من ماء وعن النبي صلى الله عليه وآله
قال لأصحابه ما بالكم لا تأكلون اللحم ولا تشتهون الطيب ولا تقربون النساء أما إني آكل اللحم وأشم الطيب وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني و
قال صلى الله عليه وآله من أتى عليه أربعون يوماً ولم يأكل اللحم فليستقرض على الله وليأكله والقول في ذلك على الوجه في التنقيف في هذا الباب سابقاً ولاحقاً
ولم يفرض ذلك كله من أقوال أهل الكتاب بما ذكرنا وقد ذكرنا بعض حكاياتهم من الصوفية مما تمجه الطباع السليمة كما حكي عن سهل أنه كان يطوي الأكل في
البقل ثلاث سنين ثم أقتات ثلاث سنين دراهم في ثلاث سنين ابن الخبز **قال الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام وترك الإدام
وأعلى الطعام مخ البر فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الإدام اللحم والحلاوة وأدناه الملح والخل وأوسطه
المزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فإن كل لذيذ يشتهيه
الإنسان فأكله اقتضى ذلك بطراً في نفسه وقسوة في قلبه وأنساً له بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا
جنة في حقه ويكون الموت سجناً له وإذا منع نفسه من شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا عليه سجناً ومضيقاً
واشتهت نفسه الانفلات منه فيكون الموت إطلاقها وإليه الإشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال يا معشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس
فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فإنه يجري في أكل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول بإعادته فلذلك عظم ثواب
في ترك الشهوات من المباحات وعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة وليس هذا تحريماً بل هو مباح
على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يعص ومن داوم عليه أيضاً فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى في طلبها فيجره ذلك
إلى المعاصي فهم شرار الأمة لأن مخ الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور وتلك الأمور معاصي وقال صلى الله عليه وآله شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت
عليه أجسامهم وإنما همتهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في الكلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فإن ذلك يمنعك
من كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع
الله تعالى منه غاية السعادة حتى روي أن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين قال أمرت
بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على أن
تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير وقال النبي صلى الله عليه وآله أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له
وعنه صلى الله عليه وآله إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار وأشار به إلى أن المقصود رد ألم
الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وقد امتنع السلف من أكل الشهوات ومن الشبع من الأقوات [illegible]

ذكرنا ما في بعض الأوقات لأنه كان لا يعيقه عن حلال فلم يحتجوا إليه إلا في قدر الضرورة والشهوات سببه القربات حتى قال
بعضهم الملح شهوة لأنه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في
الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم اربعين يوما
ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع
فلا ينبغي ان يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لتنشط للجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين
فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصلي او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا
عليه فتقسو قلوبكم ومهما اشتهى شيئا من طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز ويأكلها بدلا منه ليكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا
يجمع للنفس بين عادة وشهوة ومهما رأى طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فان اشتهى الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف
لنفسه للطافته وكان بعضهم يقول لأصحابه لا تأكلوا الشهوات فان اكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض ابواب الخبز شهوة
وبالجملة لا سبيل الى اهمال النفس في الشهوات في المباحات واتباعها بالكلية فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الآخرة بشهوته وقال بعضهم كلوا واشربوا هنيئا
بما اسلفتم في الأيام الخالية قال انهم تركوا الشهوات والعدل ترك شهوة من شهوات النفس انفع للعبد من صيام
سنة وقيامها **بيان** اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس اعلم ان المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط
اذ خير الأمور اوساطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من
اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل الى ان المطلوب
مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لأن الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يطلب
غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية
فان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار
ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع
المعتدل ان يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام
يمنع عن العبادة وألم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان يأكل اكلا لا يبقى للمأكول فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم
مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الأحوال عن الطرفين
الوسط وهو الاعتدال ومثال العبد في بعده عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محماة على النار
مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز وهو الوسط ولو ما
ماتت فالوسط ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون

حيوتكم

عن الحلقة

عن الحلقة وليس للانسان مطمع في الخروج واذا لم يستطع ان يتشبه بالملائكة في الانفكاك عنها فاشبه الاحوال بهم البعد والابعد عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع
هذه الاحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله خير الأمور اوساطها واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت
له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية الأمر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات
مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل
فاذا ارتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال ترك تعذيبها وايلامها ولهذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع
ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لانه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان غالب احوال النفس الشره والشهوة والامتناع
عن العبادة فالأصلح لها الجوع الذي تحس بألمه في اكثر الاحوال لتنكسر وكان المقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك الى الاعتدال في الغذاء ايضا وانما يمتنع
عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما
المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تأديب نفسه ظانا بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الأغلب فانه قلما تنفذ النفس تأديبا تاما وكثيرا ما يغتر فينظر
الى الصديق ومسامحته لنفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذي يدل على ان
تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنازعة الى الحق بعيدة عن الاعتدال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وترتيب في الطعام قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان
يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذن صائم وكان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم
ثم يأكل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وقال اني صائم فقالت له عائشة قد اهدي لنا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه فلذلك
معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له ان اخاك بشرا لا يأكل مثل هذا فقال ان اخي بشرا قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما
انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت ما لي والاعتراض والتمييز ودفع ابراهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا
بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح
ذات يوم طعاما كثيرا ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في الثياب والأثاث
فالمتعلم من المعرفة فيعلم ان ذلك حق لكنه بالاضافة الى الاحوال **بيان** آفة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات وقلل
الاكل اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احداهما ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات
فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي
بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة في الاعمال فان اخفاء النقص واظهار
ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين صادقتين
ولذلك شدد الله امر المنافقين فقال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا
آخر لأنه استخف بنظر الله تعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والآفة الثانية ان العارفين يبتلون بالشهوات

بل المعاصي والابتلاء بالرياء والغش والإخفاء بل كون العارف لم يترك الشهوات فقد يتطرق من نفسه الشهوة ما يسقط منزلته من قلوب الخلق
وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين لكن يتعرض بلبس حال الصوف من نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشتغلوا بشأن
حاله فهذا نهاية الزهد في الزهد بإظهار ضده وهذا عمل الصديقين فإنه جمع بين الصدقين كما أن الأول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس
ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يأخذ العطاء جهرا و
يرده سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا **أقول** لا أرى صدقه في [illegible] الأجر إلا شيئا [illegible]
صرفا ونظرا إلى الناس إظهارا للناس **قال** فمن فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته والنقصان والصدق فيه ولا ينبغي أن
يغره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحا لغيرك فإنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهو
إنما يقصد الرياء المجرد ويروجه عليه الشيطان في معرض إصلاح غيره ولذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطلع عليه ليس يقتدي به في
الفعل فلا ينزجر باعتقاده أنه تارك الشهوات لا في الفائدة من القدر حتى ترك الشهوات ولكن الغرض من العرف أن يشتهر بالتعفف عن الشهوات
فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه
فكسر هذه الشهوة أهم من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى به قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركا لها فأصب منها
شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك إذ لم تعطها شهوتها وقال
جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إذا قدمت إلي شهوة نظرت إلى نفسي فإن أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها
وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم أطعمها منه شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية
أقول لا يشبه هذا الكلام كلام الصادق عليه السلام بل يشبه كلام الصوفية **قال** وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة
الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع إلى الحية لأن شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام **القول في شهوة الفرج** اعلم أن شهوة
الوقاع سلطت على الإنسان لفائدتين إحداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذة الآخرة فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت
أقوى لذات الأجساد كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الخلق إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فإن
ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك
الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه شدة الغلمة
وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق إذا وقب قال هو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنه قال
في تفسيره الذكر إذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وآله يقول اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي
وبصري وقلبي ومنيي وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي أن موسى عليه السلام
كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل عليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوان فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك
فقال له موسى من أنت قال أنا إبليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئتك لأسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال

فما الذي

فما الذي رأيت عليك قال به أختطف قلوب بني آدم قال فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه قال إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه
وأحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها ولا تعاهد الله عهدا
إلا وفيت به ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها
ثم ولى وهو يقول يا ويلاه علم موسى ما يحذر به بني آدم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا
شيء أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا بيتي وبيت ابنتي أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم إن الشيطان قال للمرأة
أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب وأعظم
الشهوة شهوة النساء وهذه الشهوة أيضا لها إفراط وتفريط واعتدال فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال إلى التمتع
بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش وقد ينتهي إفراطها بطائفتين إلى أمرين شنيعين أحدهما
أن يتناولوا ما يقوي شهوتهم للاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوي المعدة لتعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك
إلا كمن ابتلي بسباع ضارية وبهائم عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها وإصلاحها فإن شهوة
الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فإن قلت فقد روي في غريب الحديث عن النبي
صلى الله عليه وآله أنه قال شكوت إلى جبرئيل ضعف الوقاع فأمرني بأكل الهريسة فاعلم أنه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالاستمتاع
وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتنعم **أقول** هذا الحديث من طريق الخاصة هكذا شكوت إلى جبرئيل
كثرة الأزواج فأمرني بالهريسة **قال** والأمر الثاني أنه قد ينتهي هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق
وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لأن المتعشق ليس يقنع بإراقة شهوة الوقاع وهي أقبح
الشهوات وأجدرها أن يستحيى منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضي إلا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة أين اتفق فتكتفي
وهذا لا يكتفي إلا بواحد معين حتى يزداد به ذلا إلى ذل وعبودية إلى عبودية حتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون
خادما للشهوة ومحتالا لأجلها وما العشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر
والفكر وإلا فإذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والأولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فإن هذه الأمور قد تستولي
على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق في أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند
توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ
بذنبها ويجرها إلى ورائها وما أعظم التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما في أواخرها فلا تقبل العلاج إلا
بجهد شديد يكاد يوازي نزوع الروح فإذا إفراط الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة أو بالضعف عن
امتاع المنكوحة وهو أيضا مذموم وإنما المحمود أن يكون معتدلا مطيعا للعقل والشرع في انقباضه وانبساطه ومهما أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح
قال صلى الله عليه وآله معاشر الشباب عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء **بيان** ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم أن المريد في ابتداء أمره لا ينبغي أن يشغل نفسه بالتزويج فإن ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة ومن
أنس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى ولا تقاس
الملائكة بالحدادين وكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وآله به وكان استغراقه بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى في بعض
الأحوال أن يسري ذلك إلى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب يده على فخذ عائشة أحيانا ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور
طاقة قالبه عنه وقد كان صلى الله عليه وآله طبعه الأنس بالله تعالى وكان أنسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم إنه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم
فإذا ضاق صدره قال أرحنا يا بلال حتى يعود إلى ما هو قرة عينه فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن
الوقوف على أسرار أفعاله فشرط المريد العزوبة في الابتداء إلى أن يقوى في المعرفة وهذا إذا لم تغلبه الشهوة فإن غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل
والصوم الدائم فإن لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة
وإلا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها **أقول** لما جاء الحث على النكاح في الابتداء أكثر منها في الآثار
فينبغي لمن أراد المعرفة أن يتزوج تزوجا لا يشغله عنها كما هو المتعارف وقد مر تحقيق هذا البحث مفصلا في كتاب آداب النكاح **قال**
وزنا العين من كبائر الصغائر وهو يؤدي على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال
عيسى عليه السلام إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال داود عليه السلام لابنه يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف
المرأة وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول إبليس هو قوسي القديمة وسهمي الذي لا أخطئ به يعني النظر
وقال النبي صلى الله عليه وآله النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله أعطاه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه وآله
ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من
النساء وقال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقال صلى الله عليه وآله لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان
وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم ويتمنى ويصدق ذلك
الفرج أو يكذبه وقالت أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال النبي صلى الله عليه وآله احتجبا منه فقلنا أوليس بأعمى
فقال وأنتما لا تبصرانه وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء
ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة وإنما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة وإن قدر على حفظ
عينيه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به فإن الشر في الصبيان أكثر فإنه لو مال قلبه إلى المرأة أمكنه الوصول
إلى استباحتها بالنكاح والنظر بالشهوة إلى وجه الصبي حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له
النظر فإن قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فأقول لست أعني تفرقة العين فقط
بل ينبغي أن يكون إدراكه التفرقة مثل إدراكه التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة وماء صاف وكدر وشجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها
فإنه يميل إلى أحدهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي

وكذلك

وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس إلى
القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن وبين الأثواب المنقشة والسقوف
المذهبة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك إلى المعاطب وهم لا يشعرون وقال بعض التابعين ما أنا
بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار يكون عليه من غلام أمرد يقعد إليه وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون
صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فإذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره
فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع وقال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو إرادتي بما لم أطق فأكثرت الضجيج إلى الله
تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت إليه فقال تقدم إلي فتقدمت إليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي
فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فأكثرت الاستغاثة فرأيت شخصا في المنام فقال أتحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك
قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني وأشد منه
فرأيت شخصا في المنام يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسأل الله رفع ما لا يحب رفعه تزوج قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي
ومهما احتاج إلى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح ودوامه أما في ابتدائه فالنية الحسنة وفي دوامه فحسن الخلق وسداد
السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في آداب النكاح فلا نطول بإعادته وأمارة صدق الإرادة أن ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب
الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإن أراد طلاقها لم يقدر
خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون
فوقه بأربع بالجمال والأدب والخلق والورع وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة و
شكت ذلك إلى أبيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ما ذهبت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبلي إليه وتزوج بعض الصوفية امرأة
سيئة الخلق وكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فإن نكح المريد فهكذا ينبغي أن يكون
وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كما روي أن محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين
ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية فكتب إليها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد
فإن الله تبارك وتعالى قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين ألف درهم وليس تمضي الليالي والأيام حتى أتمها مائة ألف درهم وأنا أصير لك مثلها ومثلها
فأجيبيني إلى ما سألت فكتبت إليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كتابي
فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقسموا تراثك فصم الدهر واجعل فطرك الموت وأما أنا فلو أن الله خولني أمثال
الذي خولك وأضعافه ما سرني أن أشتغل عن الله طرفة عين وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله فهو نقصان فلينظر المريد إلى حاله
وقلبه فإن وجده في العزوبة فهو الأقرب وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه العلة ثلاثة أمور الجوع وغض البصر
والاشتغال بشغل يستولي على القلب فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح

وإنما تزوج البنات. قال سعيد بن المسيب: ما أيس الشيطان من أحد قط إلا أتاه من قبل النساء. وقال سعيد وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه
وهو يعشو بالأخرى: ما شيء أخوف عندي من النساء. وعن ابن أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت
أهلي فاشتغلت بها. فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها. قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين
أو ثلاثة. قال: أنا. فقلت: وتفعل؟ قال: نعم. ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وزوجني ابنته على درهمين أو قال ثلاثة. قال: فقمت
وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي واسترحت وكنت وحدي
صائماً فقدمت عشائي أفطر وكان خبزاً وزيتاً فإذا بالباب يقرع فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد. فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا
سعيد بن المسيب فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجت فإذا به، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت
إلي فآتيك. قال: لا، أنت أحق أن تؤتى. فقلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه
امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، وقال: بارك الله فيكما. قال: ثم
انصرف، فاستوثقت من الباب ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه، ثم صعدت إلى السطح فرميت
الجيران فجاؤوني فقالوا: ما شأنك؟ فقلت: ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة. فقالوا: أو سعيد زوجك؟ قلت:
نعم. فنزلوا إليها، وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام. قال: فأقمت ثلاثة أيام
ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس وأحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأعرفهم بحق الزوج. قال: فمكثت
شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان بعد الشهر أتيت سعيداً وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق أهل
المجلس، فقال: ما حال ذلك الإنسان؟ فقلت: خير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو. فقال: إن رابك شيء فالعصا. فانصرفت إلى منزلي
فوجه إلي بعشرين ألف درهم. قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين
ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف.
فاستعجال السعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى تطفئة نارها بالنكاح.

بيان

فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين. اعلم أن هذه الشهوة أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها
قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه، وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه، وليس في شيء من ذلك ثواب، فإنه
إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر. نعم من العصمة أن لا يقدر، ففي هذه العوائق فائدة وهو دفع الإثم، فإن من ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأي سبب كان
تركه، وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة، وهذه
درجة الصديقين، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: سبعة يظلهم الله
يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وعد منهم رجلاً دعته امرأة ذات حسب وجمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله رب العالمين. وقصة يوسف عليه السلام
وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة، وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه، وهو إمام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوات

العظيمة

العظيمة. وروي عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه
فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. قال رجل منهم: اللهم إنك تعلم
أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ولا ولداً فنأى بي في طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما
غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فلبثت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية
يتضاغون من قدمي فاستيقظا وشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا
يستطيعون الخروج. وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم وكانت من أحب الناس إلي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من
السنين فجاءتني فأعطيتها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: اتق الله يا عبد الله ولا تحل
لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت
ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إنك تعلم أني استأجرت
أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت:
كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم
فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون. فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف،
ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين، فإن النظر مبدأ الزنا فحفظه مهم، وهو عسير من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها
تنشأ منه، والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها، قال صلى الله عليه وآله: لك الأولى وعليك الثانية، أي النظرة.
وقال العلاء بن زياد: لا تتبع نظرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة. وقلما يخلو الإنسان في تردداته عن وقوع البصر على بصرك
النساء والصبيان، فمهما تخايل إليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة، وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل، فإنه إن حقق النظر
واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له إلا التحسر، وإن استقبح لم يلتذ وتألم لأنه قصد اللذة فقد فعل ما آلمه، فلا يخلو في كلتا حالتيه
عن معصية وعن تألم وعن تحسر، ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات، فإن أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي
غاية القوة ونهاية التوفيق. وروي عن أبي بكر بن عبد الله المزني أن قصاباً أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها
فراودها عن نفسها فقالت: لا تفعل لأنا أشد حباً لك منك لي ولكني أخاف الله. قال: فأنت تخافينه وأنا لا أخافه! فرجع تائباً فأصابه العطش
حتى كاد ينقطع عنقه فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال: ما لك؟ قال: العطش. قال: تعال حتى ندعو الله حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية.
قال: ما لي من عمل فأدعو. قال: فأنا أدعو وأمّن أنت. فدعا الرسول وأمّن هو فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه
ومالت السحابة معه فقال له: زعمت أن ليس لك عمل وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمّنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بأمرك، فأخبره،
فقال الرسول: إن التائب عند الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه. وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال: كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم
المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها

فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت اني اسمع منك كلاماً احب ان ... قال لها طريق ... وقال لها اذا رضع ...
واذا اكرمتني اكون لك ... فقالت له والله لا ... وقعت في قلبي هواك ... ما ... لكن اسألك ... والله لا ... العباد الا ...
الذي جعلني ... في ... الكلام ... ان ... العباد ...
جملة الكلام ... ان ... فلما ... فقال لها ... كيف ...
قرطاساً وكتب فيها ثم خرج من منزله فاذا المرأة ... اليها الكتاب ... بسم الله الرحمن الرحيم
اعلمي ايتها المرأة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد الى المعصية ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله عز وجل لنفسه غضبة تضيق
منها السماوات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلاً فاني اذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال
كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف اصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقاً فاني ادلك على طبيب
يداوي الكلوم المرضية والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسألة فاني مشغول عنك بقوله تعالى وانذرهم
يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب من
هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلن يكون
الملتقى بعد هذا ابداً الا من بين يدي الله تعالى ثم بكت بكاء شديداً وقالت اسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك
ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها عنك واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله عز وجل
وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت الى الارض وبكت بكاء شديداً اشد من بكائها الاول ثم افاقت ولزمت بيتها
واخذت في العبادة فلم تزل كذلك حتى ماتت كمداً فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها فيقال له مم بكاؤك وانت قد
ايستها من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطيعتها ذخيرة عند الله عز وجل فانا استحيي من الله ان استرد ذخيرة
ادخرتها عنده والحكم لله تم هو آخر كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله
كتاب آفات اللسان والحمد لله اولاً وآخراً

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله ۰ والهمه نور الايمان فزينه به وجمله ۰ وعلمه البيان فقدمه به وفضله ۰ وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ۰
ثم ارسل عليه ستراً من رحمته واسبله ۰ ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ۰ ويكشف عنه ستره الذي ارسله ۰ فاطلق بالحق مقوله ۰ وافصح بالشكر عما
اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله ۰ واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ۰ وان محمداً عبده ورسوله الذي اكرمه وبجله ۰ ونبيه الذي ارسله
بكتاب انزله ۰ وتبيان فصله ودين سهله ۰ صلى الله عليه وآله وصحابته من قبله ما كبره مكبر وهلله ۰ اما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة و
لطائف صنعه الغريبة ۰ فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه ۰ اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان ۰ وهما غاية الطاعة والطغيان ۰
ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله
العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان
والصور والآذان لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان سلك به الشيطان
في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده
بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان او يذم غامض
عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في اطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز
عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات
اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها
فنذكر اولاً فضل الصمت ونردفه بذكر آفات الكلام فيما لا يعني ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة
ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة
الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان او جماد او انسان ثم آفة الغناء والشعر ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء
ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين وغوائلهما ثم بيان ما رخص فيه من الكذب ثم بيان الحذر من الكذب بالمعاريض
ثم بيان آفة الغيبة وحدها ثم بيان معنى الغيبة وحدها ثم بيان الاسباب الباعثة على الغيبة ثم بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة
ثم بيان تحريم الغيبة بالقلب ثم بيان الاعذار المرخصة في الغيبة ثم بيان كفارة الغيبة ثم آفة النميمة وما يجب فيها ثم آفة ذي اللسانين الذي
يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله
ويرتبط بامور الدين ثم آفة السؤال عن سؤال العوام عن صفات الله وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة وما يتعلق بذلك
وهي تمام الآفات وجملتها عشرون آفة

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره
الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وآله من صمت نجا وقال الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة وحزم
وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسأل عنه احداً بعدك قال قل آمنت بالله

ثم استقم قلت فما أخوف ما تخاف علي فأخذ بلسانه ثم قال هذا وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك
وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وآله من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه وآله من وقي شر
قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي وقيل القبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا
بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق
وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الأجوفان الفم والفرج فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لأنه محله ويحتمل أن يكون المراد البطن
لأنه منفذه وقال معاذ قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله أنؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد
ألسنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله حدثني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أخوف
ما تخاف علي فأخذ بلسانه ثم قال هذا وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل
الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وآله من سره أن يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال إذا أصبح ابن آدم أصبحت
الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا وروي أن ابن مسعود كان على الصفا يلبي وهو يقول يا لسان
قل خيراً تغنم أو اصمت تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء تقوله أو شيء سمعته فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن أكثر خطايا ابن آدم
في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره وروي
أن معاذ بن جبل قال يا رسول الله صلى الله عليه وآله أوصني قال اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده
إلى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت وقال الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال رحم الله عبداً تكلم خيراً فغنم أو سكت فسلم وقيل لعيسى
عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا أبداً قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا إلا بخير وقال سليمان بن داود عليه السلام إن كان
الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البراء بن عازب قال جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع واسق الظمآن
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير وقال صلى الله عليه وآله اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وآله
إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول وقال صلى الله عليه وآله إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله
الناس ثلاثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال صلى الله عليه وآله إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا
أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء
تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا صلى الله عليه وآله من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه
كانت النار أولى به **أقول** وروي في مصباح الشريعة عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق وجف به القلم
وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة وفيه رضا الرب وتخفيف الحساب والصون من الخطايا والزلل قد جعله الله ستراً على الجاهل وزيناً للعالم
ومعه عزل الأهواء ورياضة النفس وحلاوة العبادة وزوال قسوة القلب والعفاف والمروة والظرف فأغلق باب لسانك عما لك منه بد لا سيما إذا

لم تجد أهلاً للكلام والمساعد في المذاكرة لله وفي الله وكان الربيع بن خثيم يضع قرطاساً بين يديه فيكتب ما يتكلم به ثم يحاسب نفسه في عشيته ما له وما عليه ويقول
أوه نجا الصامتون وبقينا وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يضع حصاة في فمه فإذا أراد أن يتكلم بما علم أنه لله وفي الله ولوجه الله أخرجها
وإن كثيراً من الصحابة كانوا يتنفسون تنفس الغرقى ويتكلمون شبه المرضى وإنما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام والصمت فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه
وعلم الصمت وفوائده فإن ذلك من أخلاق الأنبياء وشعار الأصفياء ومن علم قدر الكلام أحسن صحبة الصمت ومن أشرف على ما في لطائف الصمت وائتمنه
على خزائنه كان كلامه وصمته كله عبادة ولا يطلع على عبادته هذه إلا الملك الجبار وفي الكتاب المذكور عنه عليه السلام أنه قال الكلام إظهار ما في قلب
المرء من الصفاء والكدر والعلم والجهل قال أمير المؤمنين عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فإن كان لله
وفي الله فتكلم به وإن كان غير ذلك فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة أخف مؤونة وأفضل منزلة وأعظم قدراً عند الله من الكلام في رضا الله
ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده ألا ترى أن الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر إليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام
وكذلك بين الرسل والأمم فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل وألطف العبادة وكذلك لا معصية أثقل على العبد وأسرع عقوبة عند الله وأشدها ملامة وأعجلها
سآمة عند الخلق منه واللسان ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب وبه ينكشف ما في سر الباطن وعليه يحاسب الخلق يوم القيامة والكلام خمر يسكر العقول
ما كان منه لغير الله وليس شيء أحق بطول السجن من اللسان قال بعض الحكماء احفظ لسانك عن خبيث الكلام وفي غيره لا تسكت إن استطعت فأما السكوت فهو
هيئة حسنة رفيعة من الله عز وجل لأهلها وهم أمناء أسراره في أرضه

فصل

قال أبو حامد وأما الآثار فقال طاوس لساني سبع إن أرسلته أكلني
وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ
لسانه وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه وقال بعضهم
الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار
والدرهم وقال يونس بن عبيد ما من أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية والأحنف
ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا أبا بحر فقال أخشى الله إن كذبت وأخشاكم إن صدقت وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك فتكلموا في ذم الكلام ملك الهند وملك
الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل وقال الآخر إني إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها
ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت
وقيل أقام المنصور بن المعتمر لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع قرطاساً
وقلماً فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فإن قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب
والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء
الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سباقة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما
يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فإن ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك
عظم فضله مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة

وقد قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وبين لك في فضل لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون آفة

الآفة الاولى

الكلام فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمراء والنفاق وغيرها وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال النبي صلى الله عليه وسلم من هذه المتالية على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه ومعناه انه انما تتهيا الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه في مباح فلا تتهيا الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عمل في نفسك ترجو به فقال اني رجل ضعيف وان اوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا غاب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق

انس رض

العجلي

العجلي امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد الكلام فيما لا يعنيك ان تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تاثم ولم تستضر به في حال ولا مآل مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تاثم ولم تستضر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية النفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله فانك مع ذلك كله مضيع زمانك وانى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسال غيرك عما لا يعنيك وانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجات صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة واكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسال غيرك عن عبادته فتقول له هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان عبادة السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا لك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء او للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تاذى به واستحيى وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسال عن مسالة لا حاجة بك اليها والمسؤول ربما لم تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم فيما لا يعنيك هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعنيك ما روي ان لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما راى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل انه كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وامثاله من الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الاوقات بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤول عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم واما علاجه من حيث العمل فالعزلة او ان يضع حصاة في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه حتى يتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا

الآفة الثانية

فضول الكلام وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر وقال عطاء بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او امرا بمعروف او نهيا عن منكر او تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم لو نشرت عليه صحيفته التي املى صدر نهاره وكان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد على الظمآن فاترك جوابه

فاذكر حوائجكم فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه واعلم ان فضول الكلام
لا تنحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف
بن عبد الله عن ابيه قال قدمت في رهط من بني عامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا
وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق بالثناء
ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول الكلام بحسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته وقال مجاهد ان الكلام ليكتب
حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا **اقول** قد جاء في طرق في هذا الحديث في مثل هذا كذبة **قال**
وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان اعمالك فاعمل ما شئت واكثر او اقل وروي ان سليمان بن داود عليه السلام
بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فاخبروه انه مر في السوق فرفع راسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز راسه
فسأله سليمان فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابراهيم التيمي المؤمن
اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله
عليه وسلم فاكثر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي واسناني قال افما كان لك في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية
انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل في لسان وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل
في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من
الاستماع وان وجد من يكفيه فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان ورأى ابو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت
هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس في خصلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة
كثرة الكلام وحضوره وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني

الآفة الثالثة

الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي
كحكايات احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك
مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني فلا يؤمن عليه
الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل
لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع الكلمة يهلك
صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ
به ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه
الى يوم القيامة وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك
بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال صلى الله عليه وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى

وكنا

وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما
في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل
وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر للتوصل اليها من غير حاجة دينية
الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة فان كل ذلك خوض في الباطل

الآفة الرابعة

المراء والجدال وذلك منهي عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه وسلم ذروا
المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل
بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان
وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم بعد ان هداهم الله الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء والجدال
وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلاة في اليوم الدجن
والصبر على المصائب واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن
سعد اذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال مماريا وقال صلى الله عليه وسلم
من كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه ومن لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تترك
اخاك عن قلى قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء والجدال كثير وقال صلى الله عليه وسلم كفارة كل لحاء ركعتان وحد المراء
هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الاعتراض والانكار فكل كلام سمعته
فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يتعلق بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه
من جهة النحو او من جهة اللغة او من جهة العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم او تأخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان
وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى فبان يقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه من وجه كذا وكذا واما في قصده فمثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن
ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب
السكوت عنه او السؤال في معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن فاما المجادلة فعبارة
عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها
عند المجادل يحب ان يكون هو المظهر لخطئه ليتبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت
واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها اما اظهار الفضل
فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الآخر فهو
مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما
بالمراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك

اظهاره عن الابتداء وتهيج الغضب يحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يقدر عليه فيثور الشجار
بين المتماريين كما يتهاوش الكلبان يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه والجامه واما علاجه فبان
يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة
سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه قيل لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد
نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد علي منها وهو كما قال لان من سمع الخطأ من غيره
وهو قادر على كشفه تعذر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة لشدة ذلك
على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل
ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس
وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد واذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل
بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وآله رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان صلى الله عليه وآله يردد قوله
هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببها عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا
اذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

الآفة الخامسة

الخصومة وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة
والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة
يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال
ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني
اريد ان اجزيك بها واني والله ما رأيت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لانصرف فقال لي
خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال انك عرفت ان الحق لي قلت لا ولكن اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئا هو لك فان قلت فاذا كان للانسان
حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي
يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يتعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل في الخصومة من اي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب
حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية
ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال
وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج
وهو مذموم جدا واما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة من غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام

ولكن

ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب واذا هاج الغضب
نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض
لهذه المحذورات واقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذلك المراء
فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على
الواجب في خصومته سلم من الاثم ولا تذم خصومته الا انه اذا كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون آثما
نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام
اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك
من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا لان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون
خيرا لرددت عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى
لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله اتقول هذا لخنزير فقال اكره ان اعود
لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وآله الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقيل البر شيء هين
وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين
وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح وهذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج
فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر **الآفة السادسة** التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف
السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن
التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال صلى الله عليه وآله ان ابغضكم الي وابعدكم
مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله شرار امتي الذين غذوا بالنعيم
يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وآله الا هلك المتنطعون ثلاث مرات
والتنطع هو التعمق والاستقصاء وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة
وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وآله بالغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب
ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أسجعا كسجع الكهان فانكر ذلك لان اثر التكلف
والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين
الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ
تأثير فيه فهو لائق به واما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق فالاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث

عليه الا آدابا وداخل الفصاحة التمييز بالمراقبة ولكن في قوم كرهه الشرع ومن حرمه **الآفة السابعة** الفحش والسب وبذاءة
اللسان وهو مذموم منهي عنه ومصدره الخبث واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه وآله اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش
ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن ان تسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا
ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وآله ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وآله الجنة حرام على كل فاحش ان
يدخلها وقال صلى الله عليه وآله اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا
ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال
صلى الله عليه وآله يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وآله البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق فيحتمل ان
يكون المراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين
وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا
اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى
في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وآله ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة
كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وابي امامي فقال صلى الله عليه وآله ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما
احسنهم خلقا فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارة الصريحة واكثر ذلك يجري في الفاظ الوقاع وما يتعلق به
فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز
ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع
ليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش بعضها افحش
من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل
الكناية بقضاء الحاجة عن البول والتغوط والخراء وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه
فحش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة او من وراء الستر او قالت ام الاولاد
فكذا التلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع
والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح في ذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان والباعث على الفحش اما
قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب قال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وآله
اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا قال فما
سببت شيئا بعده وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله ان الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس ان انتصر منه فقال صلى الله عليه وآله
المستبان شيطانان يتعاويان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وآله المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وآله

سباب

سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وآله ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه فقالوا يا رسول الله
وكيف يسب الرجل والديه فقال يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه. **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام قال ان
رسول الله صلى الله عليه وآله اعترض بخيبر في بعض [illegible] فقال ابو بكر لعن الله صاحب القبر فوالله ان كان ليصد عن سبيل الله ويكذب رسول الله
فقال خالد ابنه ولعن الله ابا قحافة فوالله ان كان لا يقري الضيف ولا يقاتل العدو فلعن الله ايهما كان اهون على العشيرة فقدا فالقى رسول الله صلى الله عليه وآله
خطام راحلته على غاربها ثم قال اذا انتم تناولتم المشركين فعموا ولا تخصوا ثم وقف فرجعت عليه الخيل ثم ساق [illegible] ان ذكر طاعتهم
رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده منهم من لعن ابويه قال فقال رجل يا رسول الله ابو جهل [illegible] فقال نعم [illegible] الرجال [illegible]
فيلعنون ابويه. **اقول** ويرجح في قراءة من لعن ابوه ابا بكر بن ابي قحافة لان لعن ابيه [illegible] ابنه [illegible] ومعلوم ان من لعن رسول الله صلى الله عليه وآله
لا يصلح للخلافة. **الآفة الثامنة** اللعن اما لحيوان او جماد او لانسان وكل ذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه وآله المؤمن ليس
بلعان وقال صلى الله عليه وآله لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن
حصين بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض اسفاره اذ امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وآله
خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكأني انظر الى تلك الناقة تسير في الناس لا يتعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت
لعن الله اعصانا لله وقال صلى الله عليه وآله ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وآله
على بعير فلعن بعيره فقال النبي صلى الله عليه وآله يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون قال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله
وذلك غير جائز الا على من اتصف بصفة تبعده من الله وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يتبع فيه
لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله بانه قد ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله عليه
والصفات المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة و
الفسقة الثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والخوارج وعلى الزناة والظلمة واكلة الربا
وكل ذلك جائز ولكن في لعن اوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة فما لم يرد فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك
يستدعي المعارضة بمثله ويثير بين الناس نزاعا وفسادا الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او
مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه قد ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر
وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا
اقول قد ثبت عن اهل البيت عليهم السلام جواز اللعن للمستحقين وعن امير المؤمنين عليه السلام [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله
دونها وبعدها ومن الائمة عليهم السلام [illegible] فقد ثبت عن الائمة [illegible] صلى الله عليه وآله
عندنا وعلى هذا فقد ثبت لنا جواز اللعن لمن [illegible] ابو حامد [illegible] ثم اقول قد تكرر ذلك اللعن في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وآله
وكلام اهل البيت عليهم السلام [illegible] الى الشخص المعين [illegible] فسوق

قال الله سبحانه أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وهذا في غير الامر وقال عز وجل أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وجعلنا [illegible]

[illegible] سبيل الاثبات من غير المشهور وقد جعل الجاحدين لها في المباهلة لنصارى نجران حيث قال سبحانه ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين

ولذلك القطع او الجلد والاصلاح [illegible] ثم الجلد والاشهاد [illegible] سبيلا وكذا اللعان بين الزوجين يسقط الحد عنها ويوجب [illegible]

تحريم [illegible] اذا اكذبت [illegible] ولا بينة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال لعن الله

[illegible] وقال [illegible] اللهم العن [illegible] في الغناء [illegible]

وقد لعن امير المؤمنين عليه السلام [illegible] عليه السلام كان يقنت في الصلوة [illegible] والاعور السلمي [illegible]

عليه السلام [illegible] الشريفة [illegible] اقرب القربات [illegible]

في الصلوات المفروضات [illegible] لعن عثمان ولعنها [illegible] وقد روى اصحابنا ان امير المؤمنين

عليه السلام كان يقنت في [illegible] الصادق عليه السلام [illegible] الصلوة

[illegible] رواه العامة [illegible]

[illegible] ضلال

[illegible] الحسن عليه السلام انه قال [illegible]

ابا حنيفة [illegible] اللاعنين [illegible]

بسبب المبالغة فيه والافراط [illegible] المستقيمين [illegible]

لا تسبوا [illegible] امير المؤمنين عليه السلام [illegible] اهل الشام [illegible]

[illegible] اللهم اصلح ذات بيننا [illegible]

[illegible] الكلام [illegible] قال

[illegible] الاموات [illegible]

[illegible] في [illegible] المظلوم

[illegible] **الامر التاسع** الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع

[illegible] **قال** [illegible] ذكره [illegible] من السماع [illegible]

[illegible]

[illegible] الاوقات [illegible]

[illegible] السماع [illegible]

[illegible] عليه السلام [illegible] قول الزور قال الغناء [illegible]

في قوله عز وجل لا يشهدون الزور قال الغناء [illegible] عليه السلام قال الغناء [illegible] النفاق [illegible] عليه السلام قال الغناء مما وعد الله عليه النار وتلا

هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله [illegible] اذا تبين [illegible] الحق من الباطل [illegible] الغناء [illegible] عن الصادق عليه السلام

[illegible] المغنيات قال [illegible] حرام [illegible] عليه السلام المغنية ملعونة [illegible]

[illegible] المغنية [illegible] المغنيات [illegible] حرام

[illegible] قول الله عز وجل ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وفي كتاب [illegible] المغنية [illegible]

[illegible] القراءة [illegible] الغناء [illegible]

[illegible] عليه السلام [illegible] بالقرآن [illegible] عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرؤوا القرآن

بالحان العرب واصواتها [illegible] القرآن [illegible] الغناء [illegible]

[illegible] القرآن [illegible] العادات [illegible]

[illegible]

[illegible] القرآن [illegible] الآخرة [illegible]

قال [illegible] الشعر

فالكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible] الشعر [illegible]

[illegible] الشعر [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]

وان كان كذبا [illegible]

[illegible] الشعر [illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible] رسول الله [illegible] قال [illegible]

[illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] الشعر [illegible]

الا لامره الشعر وتباعده لما ذكر من حب الغلو ثم لم يرخص كل من يرى التمدح فلا بعد به الا ان يقال فسحتم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لا يتبع امرء الشعر
من يريع الادعيين. **اقول** لا يخفى ان نظم الشعر وانشاده كسائر الكلام لا يتقى به الا ما يتقى من الآفات ثم الشعر يطلق على الكلام المخيل وان كان حسنه الكلام
الموزون المقفى سواء كان حقا او باطلا وهو شائع حسنه جميلة ومن الشعر لحكمة وعنه ان لله كنوزا تحت عرشه مفاتيحها في السنة الشعراء وكذا ما ورد
في مدح الشعر ونظم الكلام ليس منه لا يستنكره فان المراد منه ما كان حقا من الموزون المقفى ليس فيه تمويه وبعض الثاني في الكلام المشتمل على التخيلات الكاذبة
والتمويهات الخرفية التي لا اصل لها ولا حقيقة سواء كان بالوزن او لا والى مثل هذا يشير قول قريش حيث نسبوا القرآن
الى الشعر وقالوا النبي صلى الله عليه وآله شاعر فان القرآن ليس بموزون وعن بعضهم للتخيلات للمتكلفين في الذاهب شعرا لم يريد الخلفة
قال الباقر عليه السلام في قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون هل رأيت شاعرا يتبعه احد انما هم قوم تفقهوا لغير الله فضلوا واضلوا وقال الصادق عليه السلام
هم قوم تعلموا وتفقهوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال بعضهم انما طائفة من اهل الباطل الذين غيروا دين الله وخالفوا امر الله عز وجل الم تر
انهم في كل واد يهيمون يعني يناظرون بالاباطيل
ويجادلون بالحجج المضلين وفي كل مذهب يذهبون يعني يعظون الناس ولا يتعظون وينهون
عن المنكر ولا ينتهون ويامرون بالمعروف ولا يعملون قال الا الذين آمنوا صلوات الله عليهم فاما ما ورد في مدح الشعر فالاول ما كان منه
حقا من طرق العامة فمنه ما رواه الصدوق في كتاب عيون اخبار الرضا عليه السلام باسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال ابو عبد الله عليه السلام
من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتا في الجنة وباسناده عنه عليه السلام قال ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس وباسناده عن الحسن بن الجهم قال سمعت
الرضا عليه السلام يقول ما قال فينا مؤمن شعرا يمدحنا به الا بنى الله له مدينة في الجنة اوسع من الدنيا سبع مرات يزوره فيها كل ملك مقرب وكل نبي مرسل
وباسناده عن امير المؤمنين عليه السلام انه سأله رجل عن اول من قال الشعر فقال آدم قال وما كان شعره قال لما انزل الى الارض من السماء فرأى تربتها
وسعتها وهواها وقتل قابيل هابيل قال آدم عليه السلام تغيرت البلاد ومن عليها ٭ فوجه الارض مغبر قبيح ٭ تغير كل ذي لون وطعم ٭ وقل بشاشة الوجه
المليح الحديث وفي التهذيب باسناده عن حفص بن غياث عن الصادق عليه السلام قال قلت له ان الناس يروون عن ابيك عليه السلام ان الشعر ليلة الجمعة
ويوم الجمعة وفي شهر رمضان وفي الليل مكروه وقد هممت ان ارثي ابا الحسن عليه السلام وهذا شهر رمضان فقال ارث ابا الحسن عليه السلام في ليلة الجمعة وفي
شهر رمضان وفي الليل وفي سائر الايام فان الله عز وجل يكافيك وفيه وفي الصحيح عن علي بن يقطين عن الكاظم عليه السلام قال سألته عن
انشاد الشعر في الطواف فقال ما كان من الشعر لا بأس به فلا بأس به وفي الصحيح عن علي بن جعفر عن اخيه الكاظم عليه السلام قال سألته عن الشعر ايصلح ان
ينشد في المسجد قال لا بأس وانما ما ورد في ذم الشعر فالاول ما كان باطلا فمنه ما رواه جعفر بن ابراهيم في الصحيح عن ابن القداح عنه عليه السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سمعتموه ينشد الشعر في المسجد فقولوا فض الله فاك انما نصبت المساجد للقرآن فانه محمول
على الشعر الباطل وكذا ما رواه في الموثق قال سألته عن نشيد الشعر هل ينقض الوضوء او ظلم الرجل صاحبه او الكذب فقال نعم الا ان
يكون شعرا يصدق فيه او يكون يسيرا من الشعر الابيات الثلاثة والاربعة فاما ان يكثر من الشعر الباطل فهو ينقض الوضوء والمراد
نقصان ثواب الوضوء به واستحباب اعادته لا وجوبه وكذا ما رواه حماد بن عثمان وغيره في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال لا ينشد الشعر

ببيت ولا انشد في شهر رمضان بليل او نهار فقال له اسمعيل يا ابتاه فانه فينا قال وان كان فينا وروى الصدوق في الصحيح عنه عليه السلام قال يكره
رواية الشعر للصائم والمحرم وفي الحرم وفي يوم الجمعة وان يروى بالليل قال قلت وان كان شعر حق قال وان كان شعر حق فحملها على الموزون المشتمل على التخيلات الخرفية
اللاذعة وذلك لان يكون موضوعه حقا كالحكمة والموعظة او كونه في مدحهم عليهم السلام لا يجرده عن المبالغات الشعرية الكاذبة فان علم كونه مشتملا على شيء منها فلا بأس
بالوزن **الآفة العاشرة المزاح** واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تمار اخاك ولا تمازحه
فان قلت المماراة ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا واما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط
فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة
الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله
انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا الا ان مثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال بعضهم من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح
استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك
يدل على الغفلة عن الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار
قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قيل فما رئي ضاحكا حتى مات ونظر بعضهم الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال
ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وقال آخر اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند
القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذي ينكشف
فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله قال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وآله على قلوص له
صعب فسلم فجعل كلما دنا الى النبي صلى الله عليه وآله ليسأله نفر به فجعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يضحكون به ففعل ذلك مرارا ثم وقصه
فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعته قلوصه فهلك فقال نعم وافواهكم ملأى من دمه واما اداء المزاح الى سقوط الوقار فقد قيل من مزح استخف
به وقال بعضهم لابنه لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترئ عليك وقال آخر اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر الى القبيح تحدثوا
بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقيل اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه ازاح صاحبه عن الحق و
يقال لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى ومقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وآله
واصحابه فكيف ينهى عنه فاقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه
احيانا على الندور فلا حرج عليك ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو خطأ اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله
انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا وقال عطاء ان رجلا سأل ابن عباس فقال اكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزح فقال
نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي الله وجري منه ذيلا

كذب العروس وروي عن النبي صلى الله عليه وآله كان من أفكه الناس وروي أنه كان كثير التبسم وعن الحسن قال أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال لها لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال إنك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا وروى زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالت إن زوجي يدعوك فقال ومن هو أهو الذي بعينه بياض فقالت لا والله ما بعينه بياض فقال بلى إن بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وآله ما من أحد إلا وبعينه بياض وأراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءته امرأة أخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال صلى الله عليه وآله بل نحملك على ابن البعير فقالت ما أصنع به إنه لا يحملني فقال صلى الله عليه وآله ما من بعير إلا وهو ابن بعير فكان يمزح به وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش له وقال له عيينة بن حصن الفزاري والله ليكون لي الابن رجلا قد تزوج وبقل وجهه ما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إن من لا يرحم لا يرحم فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وآله معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وآله لصهيب وبه رمد وهو يأكل التمر أتأكل التمر وأنت رمد فقال إنما آكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه وروي أن خوات بن جبير كان جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا أبا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة قال فرآني في المسجد يوما أصلي فجلس إلي فطولت فقال لا تطول فإني أنتظرك فلما سلمت قال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت بعد ذلك أتفرر منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال فحسن إسلامه وهداه الله وكان نعيمان الأنصاري رجلا مزاحا وكان يشرب الخمر فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وآله فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك قال له رجل من الأصحاب لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه وآله لا تفعل فإنه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم جاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول هذا أهديته لك فإذا جاء صاحبه يطالب نعيمان بثمنه جاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال يا رسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله أولم تهده لنا فيقول يا رسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وآله ويأمر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب

الآفة الحادية عشر السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة حاكيت إنسانا فقال النبي صلى الله عليه وآله ما أحب أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه وآله

ان

رسول الله

فعلت

إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وآله من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع إلى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى أن يكونوا خيرا منهم أي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرا أو ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها

الآفة الثانية عشر إفشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة وقال مطلقا الحديث بينكم أمانة وقال الحسن إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة

الآفة الثالثة عشر الوعد الكاذب فإن اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وآله العدة عطية وقال العدة دين أو أفضل وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام في كتابه فقال إنه كان صادق الوعد قيل إنه واعد إنسانا في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فبقي إسماعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره احتمل

ومن طريق الخاصة عن الصادق عليه السلام إنما سمي إسماعيل صادق الوعد لأنه وعد رجلا في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة فسماه الله صادق الوعد ثم إن الرجل أتاه بعد ذلك فقال له إسماعيل ما زلت منتظرا لك قال أبو حامد ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدكم أني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك وقيل لإبراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولى ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر فإن كان عند الوعد عازما على أن لا يفي فهذا هو النفاق وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وآله أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتي بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فأتت فاطمة عليها السلام تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحى بيدي فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم فآثره به على فاطمة لما كان قد سبق موعده له مع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال أحتكم ثمانين ضائنة

العدة

[illegible] فقال رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible]

[illegible] الآفة

الآفة الرابعة عشر الكذب في القول واليمين وهو من قبائح الذنوب [illegible]

[illegible] قال صلى الله عليه وآله كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له به كاذب [illegible] قال النبي صلى الله عليه وآله

لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب [illegible]

[illegible]

[illegible] صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible]

بيان

[illegible]

من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه
وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة
انها احب اليه او كانت امراته لا تطيعه الا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان بالكذب وكان لا يطيب قلبه الا
بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولكن لو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن بالميزان القسط
فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل
الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم
فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب
فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادة المال والجاه ولامور ليس فواتها
محذورا حتى ان المراة لتحكي عن زوجها ما تفاخر به الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امراة تسال رسول الله صلى الله عليه وآله
قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لم يفعل اضارها بذلك فهل علي فيه شيء فقال النبي صلى الله عليه وآله المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال النبي صلى الله عليه وآله
من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه ورواية الحديث الذي لم يتثبت
فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب
الا بوعد او وعيد وتخويف كاذب كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح ايضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه
ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح
فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب لاجله هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا والحزم
في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو ادى الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل
الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو خطا محض اذ قال صلى الله عليه وآله من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا
لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة ههنا اذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد مرتكب له
تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله
صلى الله عليه وآله وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله
من الكبائر التي لا يقاومها شيء

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

قد نقل عن السلف ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه
اما ان في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض و
لا التصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال التعريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض فقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير
الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب فقل ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف النفي عند المستمع
وعنده للابهام وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق وكان ابراهيم اذا طلبه في

الدار من يكره ان يخرج اليه قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذبا وهذا كله في موضع الحاجة واما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب
وان لم يكن اللفظ كذبا وهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس
يقولون هذا كساكه امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على
ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة عجوز وقوله
للاخرى الذي في عين زوجك بياض وللاخرى نحملك على ولد البعير وما اشبهه فاما الكذب الصريح كما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بان امراة قد رغبت في تزويجك فان كان
فيه ضرر يؤدي الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا لمطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
لا يكمل للمرء الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله صلى الله عليه وآله ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها
ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله قلت لك كذا
مائة مرة وطلبتك مائة مرة فانه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان كان طلبه مرات لا
يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به
ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام وان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة في الليلة التي
هياتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وآله ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت
فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وآله خذي منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه
فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء تشتهيه لا اشتهيه يعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة
كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج
عينيه فيقال له لو مسحت الرمص فيقول فاين قول الطبيب وهو يقول لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه
عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة لابن له فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس
الربيع فقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى صلوات الله عليه
ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ان من اعظم الفرى ان يدعى الرجل الى غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم تريا او يقول علي ما لم اقل وقال صلى الله عليه وآله من كذب في حلمه كلف يوم القيامة
ان يعقد بين شعيرتين

الآفة الخامسة عشر الغيبة

والنظر فيها طويل فلنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع
وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة وقال ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
فكرهتموه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع بينه وبين الدم والمال وقال
صلى الله عليه وآله لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وآله
اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا فان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال انس

قال رسول الله صلى الله عليه وآله مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم فقلت يا جبرئيل من هؤلاء قال هم الذين يغتابون الناس
ويقعون في أعراضهم وقال سليمان بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت علمني خيرا ينفعني الله به فقال لا تحقرن من المعروف
شيئا ولو أن تصب من دلوك في إناء المستسقي وأن تلقى أخاك ببشر حسن وإذا أدبر فلا تغتابه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أسمع العواتق
في بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته
يفضحه في جوف بيته وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس
أمر النبي صلى الله عليه وآله الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما
فأذن لي لأفطر فأذن له ثم الرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وإنهما تستحييان أن تأتياك فأذن لهما
فليفطرا فأعرض عنه ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا
صائمتين أن تستقيئا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره فقال والذي نفس محمد بيده
لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار وفي رواية أنه لما أعرض عنه جاءه بعد ذلك فقال يا رسول الله إنهما والله لقد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال
النبي صلى الله عليه وآله ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس أو قدح فقال لإحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى قيئي فقاءت
كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل
وأربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال إنهما لا يعذبان
في كبيرة أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يتنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة
فغرست على قبر فقال النبي صلى الله عليه وآله أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم تيبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وآله ماعزا في الزنا
قال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وآله معهما بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما أصبتما من أخيكما
أنتن من هذه وسمع علي بن الحسين عليهما السلام رجلا يغتاب آخر فقال إياك والغيبة فإنها إدام كلاب النار وعن مجاهد في قوله تعالى ويل لكل همزة
لمزة قال الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس وكان أصحابه يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك
أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف
عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال بعضهم رأيت أحدكم يبصر القذى في عين أخيه ويدع الجذع
في عين نفسه وقال الحسن يا ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فإذا
فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون على جيفة كلب فقال
الحواريون ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عيسى عليه السلام ما أشد بياض أسنانه كأنه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله
إلا أحسنه **أقول** وفي بعض ما نسبه إلى عيسى عليه السلام من كلام [illegible] غيبة [illegible] الجيفة [illegible]

غير

غير مستند [illegible] حسن الظن [illegible] وكلامه محمول على [illegible] وكان عيسى عليه السلام [illegible] الأمور اللائقة [illegible]
الله بقلبه [illegible]
[illegible] لسان المغتاب [illegible]
ومن طرق الخاصة ما رواه الصدوق رحمه الله بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال من مشى في غيبة أخيه وكشف عورته كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم وكشف
عورته على رؤوس الخلائق ومن اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوءه فإن مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله وعن أبي عبد الله عليه السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الجلوس في المسجد انتظار الصلاة عبادة ما لم
يحدث قيل يا رسول الله وما الحدث قال الاغتياب وعن أبي عبد الله عليه السلام قال من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين
قال الله عز وجل إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم وعن المفضل بن عمر قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام من روى على مؤمن
رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان وعن الصادق عليه السلام الغيبة حرام
على كل مسلم وإنها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب **بيان** معنى الغيبة وحدودها اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت
نقصانا في بدنه أو في نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته أما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع
والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه وأما النسب فبأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو
شيء مما يكرهه كيف كان وأما الخلق فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه وأما في أفعاله المتعلقة
بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع والسجود أو لا يحترز من النجاسات أو ليس بارا بوالديه أو لا
يضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك إنه قليل الأدب متهاون بالناس
أو لا يرى لأحد على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل نؤوم ينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه وأما في ثوبه فكقولك إنه واسع الكم طويل الذيل
وسخ الثياب كثير العمامة وقال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي أنه ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وآله امرأة
وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال فما خيرها إذا وهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون
ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج إليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره
بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله في حد الغيبة فكل هذا وإن كان صادقا فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل
لحم أخيه بدليل ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرأيت إن كان في أخي ما أقول
قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته فإن لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا ما أعجزه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن عائشة أنها قالت ذكرت امرأة فقلت إنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وآله
اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والإفك وكل في كتاب الله الغيبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول
ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الأسود ثم قال أستغفر الله إني أراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين إبراهيم فقال [illegible]

عائشة لا تغتابن أحدا فإني قلت لامرأة مرة وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إن هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة لحم.

أقول هذه الأخبار العامية لا تصلح للإثبات [illegible] مع وجود [illegible] لعلها من اختلاق شيعتهما فإن كثرة عيوب [illegible] في التعرض [illegible] فإنه [illegible] النقائص [illegible] كذا قال بعض علمائنا وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام [illegible] الغيبة [illegible] ما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وإن كره صاحبه إذا سمع به وكنت معافى عنه وخاليا منه وتكون مبينا للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط أن لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله وأما إذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو مأخوذ بفساد مراده وإن كان صوابا. وعنه عليه السلام [illegible] الغيبة [illegible] أمر الله ستره عليه [illegible] بالمؤمنين [illegible] الإيمان [illegible].

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدي أنها قصيرة فقال اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة [illegible] فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصوير والتفهيم وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقترن به شيء من الأعذار المحوجة إلى ذكره [illegible] وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة وإنما الغيبة التعرض لشخص معين إما حي وإما ميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لأن المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فأما إذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كره من إنسان شيئا قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ولا يعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعي العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فإنهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم أنفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يظن بجهله أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادات من غير علم فإنه يتبعهم ويحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغي إليه الغافل ويعلم ما يقول فيذكر الله سبحانه ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وباطله وهو يمن على الله بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من كذا تاب الله علينا وعليه [illegible] ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام

وإظهار

وإظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوة عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم بإظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم مما يتعرض له الجهال إذا جاهروا ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبت مما ذكرته ما كنت أعلم بذلك إلى الآن وما كنت أعرف من فلان ذلك يريد بذلك تصديق المغتاب واستدعاء الزيادة منه باللطف والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وآله المستمع أحد المغتابين وقد روي أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لنؤوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وآله ليأكلا به الخبز فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى إنكما أكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمعا وقال للرجلين اللذين قال أحدهما أقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه فإن خاف فبقلبه وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الإثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فإن ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي أن يذب عنه صريحا كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق وقال أبو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وآله من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة وقال من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار وقد ورد في نصر المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالإعادة.

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة أما الثمانية **فالأول** أن يشفي الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشتفي بذكر مساويه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة.

الثاني موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى هذا أنه لو أنكر أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي.

الثالث أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه فيه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فإني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت.

الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله.

الخامس إرادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم أنه أعلم منه أو يحذر من أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك.

السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع ثناء الناس عليه وإكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقرين الموافق.

السابع

اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر عيوبه بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التكبر والعجب **الثامن** السخرية والاستهزاء استحقاراً له فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري في الغيبة ايضاً ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به واما الاسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر **الاول** ان تنبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطأ في الدين فيقول ما اعجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون به صادقاً ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتاباً واثماً من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل **الثاني** الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقاً في دعوى الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتاباً فيكون غمه ورحمته خيراً وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان الى شر من حيث لا يدري وهو لا يفطن له والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه **الثالث** الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلاً عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذراً في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي وروي عن عامر بن واثلة ان رجلاً مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا في الله تعالى فقال اهل المجلس لبئس والله ما قلت اما والله لننبئنه قم يا فلان لرجل منهم فادركه واخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وآله فحكى له ما قال وسأله ان يدعوه فدعاه فسأله فقال قد قلت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خبير والله ما رأيته يصلي صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فاسأله يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسأت الوضوء لها او الركوع والسجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهراً قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فاسأله يا رسول الله هل رآني قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيئاً فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يعطي سائلاً قط ولا مسكيناً ولا رأيته ينفق من ماله شيئاً في سبيل الخير الا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فاسأله يا رسول الله هل رآني نقصت منها شيئاً او ماكست فيها طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وآله للرجل قم فلعله خير منك **اقول** وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام ان اصل الغيبة يتنوع بعشرة انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتهمة وتصديق خبر بلا كشفه وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين فان اردت السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق فيصير لك مكان الغيبة عبرة ومكان الاثم ثواباً

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والآخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها محبطة لحسناته يوم القيامة فانها تنقل حسناته يوم القيامة الى من اغتابه بدلاً عما استباحه من عرضه فان لم تكن له حسنة نقل اليه من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بان تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل به النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنة العبد وروي ان رجلاً قال لاخر بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي فمهما آمن العبد

بما وردت به الاخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفاً من ذلك وينفعه ايضاً ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وآله طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيباً فينبغي ان يستحيي من ان يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه وهذا ان كان ذلك عيباً يتعلق بفعله واختياره وان كان امراً خلقياً فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه قال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه واذا لم يجد العبد عيباً في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية اما التفصيل فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما مر في كتاب آفات الغضب وهو ان يقول انه اذا امضيت غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وآله ان لجهنم باباً لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وآله من كظم غيظاً وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء وفي بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما الموافقة فبان تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضاً على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهي الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الجناية الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقيناً ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله نقداً وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك ان اكلت الحرام ففلان يأكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله لا يقتدى به كائناً من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردى نفسها من قلة الجبل فهي ايضاً تردي نفسها ولو كان لها لسان ناطق وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك انا افعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقيناً بما عند المخلوقين وهماً ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئاً واما الغيبة لاجل الحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذباً بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذاباً في الآخرة فكنت خاسراً في الدنيا فجعلت نفسك خاسراً في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذاً انت صديقه وعدو نفسك

اذا انتقم فيعيبك وتعززك وتنغصوا ثم تعطل اليك سيأته ولا يعطيك فقد جمعت اذا بين عذابين فقد ربما يكون حسدك
وقد حكى بسبب فضل محمود فقد قيل **شعر** واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء
غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحيائك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزأت
وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك
لان ياخذ بيدك في القيامة على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصر الله اياه
وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم
المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط من اجرك ونقص من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة
فانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير متعرضا لمقت الله بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فينبغي ان تتعجب من نفسك
كيف اهلكت نفسك ودينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذن علاج
جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة **بيان** تحريم الغيبة
بالقلب اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن
باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان يظن والظن
عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقد قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب
فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يقبل التاويل فعند ذلك لا يمكنك الا ان تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك
ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفسقة وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق
بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس فان كان هناك مخيلة على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به لان الفاسق يتصور
ان يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وما شربها او حمل عليها قهرا فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا
يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء فلا يستباح
ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان
حاله عندك مستور كما كان وان ما رايته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد سوء الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فنقول امارة
عقد سوء الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات
عقد سوء الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد
ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة واما في الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة
مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته
واما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك

ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بالواحد وتسيء بالآخر بل ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فيتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة
العدو مع عدالته للتهمة فلك عند ذلك ان تتوقف في اخباره وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله عني وكان
امره محجوبا وقد بقي كما كان لم ينكشف لي من امره شيء وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر
مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في
امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان
ويدفعه عنك فلا يلقي اليك خاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك
الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بايذاء الوعظ
وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه لذلك من غير نصيحتك احب اليك من تركه
بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب
لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنها في آية واحدة و
معنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان اسلم لقلبك ولدينك
وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم التجسس وحقيقته **بيان** الاعذار المرخصة اعلم ان المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في
الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور **الاول** التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان
مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لصاحب الحق
مقالا وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عقوبته وعرضه **الثاني** الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح وانما اباحه
بهذا القصد الصحيح فان لم يكن ذلك مقصودا كان حراما **الثالث** الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني ابي او زوجي او اخي فكيف طريقي في
الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن هند انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم
ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي افآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء **الرابع** تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق
وخفت ان تتعدى اليه بدعته وفسقه فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون
الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب آخر فلك ان تذكر
ذلك فان في سكوتك ضررا بالمشتري وفي ذكرك ضررا بالعبد لكن المشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن ان علم مطعنا
وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك
فهو الواجب فان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس اذكروه بما فيه
يحذره الناس وكانوا يقولون ثلثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه **الخامس** ان يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج

والاعمش بلا اثم حيث لم يقصد العيب ... [illegible] ... فقد فعل ... [illegible] ... ذلك

... [illegible] ... **السادس** ان يكون ... [illegible]

... [illegible]

... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible]

... [illegible] ... **اقول** قال السيد ... [illegible] ... في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم ...

... ان الغيبة ذكر الغائب ... [illegible] ... غيبة

... [illegible] ... الغيبة ... [illegible]

الغيبة ... [illegible] ... الصادق عليه السلام الغيبة ... [illegible]

... ستر الله عليه ... [illegible]

... [illegible] ... **بيان** كفارة الغيبة اعلم ان الواجب

على المغتاب ... [illegible]

... [illegible] ... الاستغفار ... [illegible]

... [illegible] ... عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كفارة من اغتبته ان تستغفر له ... [illegible]

... [illegible]

... [illegible] ... العرض ... القذف ... [illegible]

الصحيح ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ... [illegible]

... [illegible] ... **اقول** الكلام الصحيح ... [illegible]

هذا الباب ... قال الصادق عليه السلام ... [illegible] ... يستغفر الله ... [illegible]

... [illegible] ... **قال** ... [illegible]

ان يكثر الاستغفار ... [illegible]

... [illegible] ... الغيبة

في الغيبة ... [illegible] ... الله ... [illegible] ... الغيبة ...

... [illegible] ... قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible] ... العفو

... [illegible] ... الغيبة ... [illegible]

صلى الله عليه وآله ... [illegible] ... يتصدق بالعرض من

تصدق به ... [illegible] ... في الغيبة ... [illegible] ... الغيبة

... [illegible] ... الحقوق الآن

... [illegible]

الا ... [illegible] ... في الدنيا ... [illegible]

... [illegible] ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible] ... العفو ... [illegible]

رجلا قال ... [illegible]

ان الله ... [illegible] ... **الآفة السادسة عشر النميمة** قال الله تعالى ... [illegible] ... قال ...

المبارك ... [illegible]

... [illegible] ... النميمة ... [illegible]

... [illegible] ... امرأة ... [illegible] ... النبي صلى الله عليه وسلم ... [illegible]

... [illegible] ... صلى الله عليه وسلم ... [illegible]

... [illegible] ... قال صلى الله عليه وسلم ... [illegible]

قالوا بلى يا رسول الله قال ... [illegible] ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible]

... [illegible] ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible]

... [illegible] ... صلى الله عليه وسلم ... [illegible]

... [illegible]

... [illegible] ... **اقول** ... [illegible]

... الصادق عليه السلام ... [illegible]

... [illegible] ... النميمة **قال** ... [illegible]

... [illegible] ... النميمة ... [illegible]

... [illegible]

... [illegible]

... [illegible]

... [illegible] ... النميمة **بيان**

... النميمة ... [illegible]

بالقول فيه بل حده ما كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز
والايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا في المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر
وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الناس مما يكره فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا
راى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان
ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج
بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا او فعل في حقك كذا وكذا او هو يدبر في افساد امرك او
في موالاة عدوك او تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور **الاول** ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة **الثاني** ان ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
الثالث ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله **الرابع** ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا
كثيرا من الظن **الخامس** ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتتحقق قال الله تعالى ولا تجسسوا **السادس** ان لا ترضى لنفسك ما
نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه نهيت وقد روي عن علي عليه السلم
ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان
نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطأت عن الزيارة
واتيتني بثلث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا
وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني
لصادق فقال له الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان
النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة
وهو ممن يسعى في قطع ما امر الله به ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس
ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وآله ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة قاطع
قيل وما القاطع قال قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم والسعاية هي النميمة
الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال النبي صلى الله عليه وآله الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال وقال لقمان
لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بها لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك
وآمنهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد افسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم وقال بعض العلماء النميمة
مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه
لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا فقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث

الغلام

الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى فقالت كيف اقدر على اخذ شعره فقال اذا نام فخذي
الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف
فتناوم فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تريد قتله فقام اليها فقتلها فجاء اهلها وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر بينهم **الآفة**
الرابعة عشر كلام ذي اللسانين وهو الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد
متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار
يوم القيامة وعنه صلى الله عليه وآله تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي لفظ الذي يأتي هؤلاء
بوجه وهؤلاء بوجه وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ابغض خليقة الله الى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في
صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا **اقول**
ومن طريق الخاصة ما رواه الصدوق رحمه الله باسناده الى الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعا لسانه في
قفاه وآخر من قدامه يتلهبان نارا حتى يلهبا جسده ثم يقال هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيامة وعن الباقر
عليه السلام قال بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري اخاه شاهدا ويأكله غائبا ان اعطي حسده وان ابتلي خذله وبالاسناد عنه عليه السلم
قال بئس العبد عبد همزة لمزة يقبل بوجه ويدبر باخرى وبالاسناد قال قال الله تعالى لعيسى بن مريم عليهما السلم يا عيسى ليكن لسانك في السر والعلانية لسانا واحدا وكذلك
قلبك اني احذرك نفسك وكفى بي خبيرا لا يصلح لسانان في فم واحد ولا سيفان في غمد واحد ولا قلبان في صدر واحد وكذلك الاذهان **قال** ابو حامد واتفقوا
ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله مات
فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم فقال انشدك الله انا منهم
ام لا فقال اللهم لا ولا آمن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل
كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو
تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرنا في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد الى الآخر فهو ذو لسانين وذلك
شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما
ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما انه ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا
اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني عليه في غيبته وحضوره وبين يدي عدوه
قيل لبعض الصحابة انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله
وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه
الذي احوج نفسه اليه فان كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله

حتى بلغ الحال ويعني ان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لان الخروج الى الامراء ومراعاتهم ومراآتهم فاما اذا ابتلي به ضرورة
وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة
استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل اقبل عليه والان له القول فلما خرج قالت عائشة
قد قلت فيه ما قلت ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم فاما الثناء
فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثلها كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض
التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه **الآفة الثامنة عشرة**
المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنتان
في الممدوح فاما المادح فهو انه قد يفرط فينتهي به الافراط الى الكذب الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا
معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل الى الاطلاع عليه وروي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال ان كان احدكم لا بد مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله
ان كان يرى انه كذلك وهذه آفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه تقي وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فاما اذا قال
رأيته يصلي الليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول فيه الا بعد خبرة باطنة
الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقيل من دعا لظالم
بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في الارض والظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا
وهما مهلكان الثاني انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت
الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه
فكانما امررت على حلقه الموسى وقال لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد
بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام واما
ما قال مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقيل المدح هو الذبح وذلك لان
المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور او لان المدح يورث الكبر والعجب وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الآفات
في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة ولكنه عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة
من ان يورثهم ذلك كبرا او عجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول
هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا
عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح والحث عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم
وجبت لما اثنوا على بعض الموتى ثم قال انتم شهداء الله في الارض وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله

واذا

واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح **بيان** ما على الممدوح اعلم ان على
الممدوح ان يكون شديد الاحتراز من آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه الا بان يعرف نفسه ويتأمل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات
الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح
قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين قال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم
ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما
اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون **الآفة التاسعة عشرة** الخطأ في فحوى
الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وبصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم
او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله يعفو عنه لجهالته مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن
ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو خلاف الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكلمه في بعض الامور فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابن عمر يقول
ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولا هو لسرقنا الليلة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله
او ليصمت وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي ولا امتي كلكم عبيد الله
وكل نسائكم اماء الله وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي وليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد الله والرب الله
وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للفاسق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان
كاذبا فهو كما قال وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يجري في الكلام ولا يمكن حصره ومن تأمل جميع ما اوردناه
من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم
فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل الكلام فعساه
يسلم عند ذلك وهو مع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين
الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة ام محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل
على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل ولا يزال يحبب اليه
حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال
بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاءت به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله
ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة
فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم

فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وروى أنس أن الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوما حتى أكثروا عليه فغضب فصعد المنبر فقال سلوني
فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي فقال أبوك حذافة فقام إليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله من أبونا
فقال أبوكما الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وآله
أمسكوا وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال وقال صلى الله عليه وآله يوشك الناس يتساءلون
حتى يقولوا هذا خلق الله فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله أحد حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ
بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر صلى الله عليهما وآلهما تنبيه على المنع
من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال
لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين
من أعظم الآفات وهي من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من الخوض في حروف القرآن وتعلم العلوم والكلام فذلك مثل من كتب إليه
الملك كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أو حديث فاستحق العقوبة لا محالة فكذلك تضييع
العامي حدود القرآن واشتغاله بالحروف أهي قديمة أم حديثة وكذا سائر الصفات. هذا آخر الكلام في كتاب آفة اللسان من ربع المهلكات
من المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب آفة الغضب والحقد والحسد والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا والصلاة على محمد وآله الطاهرين

الكتاب الخامس من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في إحياء الإحياء بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين كتاب ذم الغضب والحقد والحسد

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات
وأمرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم
ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم أنه لا يعزب عن علمه شيء مما يسرون وما يعلنون وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال ما ينظرون إلا صيحة واحدة
تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون والصلاة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون والمرسلون وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين والسادة
المرضيين صلاة توازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما يكون **أما بعد** فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة
التي تطلع على الأفئدة وإنها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من
الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني
من نار وخلقته من طين فإن شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظي والاستعار والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك
وفسد من فسد ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد إلى مواطن العطب
فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب إن كان ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه فإن من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة
لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب يجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب
هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر
الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية
الواجب في إزالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني الأعمام والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي
ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب.

بيان ذم الغضب قال الله تعالى إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل
الله سكينته على رسوله الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروي أن رجلا
قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد فقال لا تغضب وعنه صلى الله عليه وآله أنه سئل ما يبعد من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود
قال النبي صلى الله عليه وآله ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال صلى الله عليه وآله من كف غضبه
ستر الله عورته وقال سليمان بن داود يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا
السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال أبو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا أستطيع إلا أن أغضب إنما أنا بشر قال
لا تقتن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وآله الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وآله ما غضب أحد إلا
أشفى على جهنم وقال رجل يا رسول الله أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب. **أقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن
أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل وعن أبي جعفر عليه السلام قال إن الرجل
ليغضب فما يرضى أبدا حتى يدخل النار فأيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان وأيما رجل غضب على ذي رحم

فليدن منه فليمسه فان الرحم اذا مست سكنت وعن ابي حمزة الثمالي عنه عليه السلام قال ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن آدم وان احدكم اذا
غضب احمرت عيناه وانتفخت اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض فان رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك
وعن ابي عبد الله عليه السلام قال الغضب مفتاح كل شر وعنه عليه السلام قال سمعت ابي يقول اتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل بدوي فقال اني اسكن البادية
فعلمني جوامع الكلم فقال آمرك ان لا تغضب فاعاد الاعرابي عليه المسألة ثلاث مرات حتى رجع الرجل الى نفسه فقال لا اسأل عن شيء بعد هذا ما امرني
رسول الله صلى الله عليه وآله الا بالخير قال وكان ابي يقول اي شيء اشد من الغضب ان الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة
وعنه عليه السلام قال من كف غضبه ستر الله عورته وعنه عليه السلام قال ان في التورية مكتوبا يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك عند غضبي فلا امحقك فيمن امحق
واذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فان انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك وعنه عليه السلام قال الغضب ممحقة لقلب الحكيم وقال من لم يملك غضبه لم يملك
عقله وعنه عليه السلام قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله علمني قال اذهب ولا تغضب فقال الرجل قد اكتفيت بذاك فمضى الى اهله فاذا بين قومه حرب قد قاموا
صفوفا ولبسوا السلاح فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله لا تغضب فرمى السلاح ثم جاء يمشي الى القوم الذين هم عدو
قومه فقال يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة او قتل او ضرب ليس فيه اثر فعلي في مالي انا اوفيكموه فقال القوم فما كان فهو لكم نحن اولى بذلك منكم قال
فاصطلح القوم وذهب الغضب وعن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كف نفسه عن اعراض الناس اقال الله نفسه يوم القيمة ومن
كف غضبه عن الناس كف الله عنه عذاب يوم القيمة وعنه عليه السلام قال مكتوب في التورية فيما ناجى الله به موسى يا موسى امسك غضبك عمن ملكتك عليه اكف
عنك غضبي قال ابو حامد الآثار عن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر
ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد
ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا سأل الشيطان اي اخلاق بني آدم اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه
كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون
في رأسه وقال جعفر بن محمد عليهما السلام الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين
ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته
فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه
قال اذا لا تذله الشهوات ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقال عبد الله بن مسعود انظروا
الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب
كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان حلما وعلما وقد قيل
الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وقيل لعبد الله بن المبارك اجمع لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن تبعه من يتكفل لي
ان لا يغضب يكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا اوفي به فلما مات كان في منزلته بعده
وهو ذو الكفل تسمى به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع بيان حقيقة الغضب

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم
سماه في كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها
وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الغذاء الموافق لبدن الحيوان
وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة التي يتعرض
لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله طبيعة الغضب من النار
وغرزها في الانسان وعجنها بطينته فمهما صد عن غرض من الاغراض ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب
وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي
لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه
وكان مأيوسا عن الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك فيه تولد منه
تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند
ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم ان الناس
في هذه القوة على درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال
فيه انه لا حمية له ولذلك قيل من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله الصحابة بالشدة والحمية فقال
اشداء على الكفار وقال لنبيه يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط
فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور
غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان
الغضب من النار كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وانما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ
وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الرجل الذي لا اصبر على المكر والمحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل فيه ولا حلم ثم يذكره
في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمت صاحبها واصمته عن
كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وان اراد ان يستضيء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر عليه اذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال
بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن
الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوه
وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ وانمحى نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة
ولا يقدر على اطفائها لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما
تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وتنهد اعاليه على اسافله

وذلك كالطيران الى جوانبه من القوة الممسكة لما بعد اجزائه فكذلك يغلي القلب مع الغضب فيبقى كالسفينة في متلاطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالمثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من قبيح الكلام الذي يستحيي منه ذو العقل ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها وقد يتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجماد ويخاطبه ويقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفسها ويقابلها به واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الاستار والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خير امتي احداؤها يعني في الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ارق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف

بل الحق

بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد من ان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول هو ضرورة في حق الكل كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد ان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هي مسكنه او اريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم في التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا في حق العالم لانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلاثة يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وان الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن القلب ولو كان للانسان كلب لا يحبه لا يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت فلا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد

والمجاهدة ولا يغضب على القضاء والقدر فمن غلب على قلبه التوحيد ... [illegible]

[illegible]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible]

[illegible]

بيان الاسباب المهيجة للغضب

قد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة اسبابها ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

[illegible]

الاول ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال ... [illegible]

الثاني ان يخوف نفسه بعقاب الله ... [illegible]

الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام ... [illegible]

الرابع ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه ... [illegible]

الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد أن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على
العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيراً في أعين الناس فليقل لنفسه ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة
والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين فمهما كظم
من هذا فينبغي أن يكظم الغيظ لله وذلك يعظمه عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن
يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبغي أن يكرره
على قلبه. السادس أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فيوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه. وأما العمل
فأن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقال عند الغيظ وكان صلى الله عليه وآله إذا غضبت
عائشة أخذ بأنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن فيستحب أن تقول ذلك
فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس
والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسببها الحركة إذ قال صلى الله عليه وآله إن الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه
وحمرة عينيه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فلينم فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل
فإن النار لا يطفئها إلا الماء وقد قال صلى الله عليه وآله إذا غضب أحدكم فليتوضأ وليغتسل فإن الغضب من النار وفي رواية إن الغضب
من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله
إذا غضبت فاسكت وقال أبو هريرة كان النبي صلى الله عليه وآله إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غيظه وقال أبو سعيد الخدري قال
النبي صلى الله عليه وآله ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليلصق خده بالأرض وكأن
هذا إشارة إلى السجود وهو تمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب. وقيل كان
رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلاً وقال للأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي
فأعطني هذه وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوماً فأعطي الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا الغضب إنك لست بإله إنما أنت بشر
يوشك أن يأكل بعضك بعضاً فسكن بعض غضبه فأعطي الثانية فإذا فيها ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء ثم أعطي الثالثة فإذا فيها خذ الناس
بحق الله فإنه لا يصلحهم إلا ذلك أي لا تعطل الحدود. **فضيلة** كظم الغيظ قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وآله
أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة وقال صلى الله عليه وآله من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا
وفي رواية أمناً وإيماناً وعنه صلى الله عليه وآله ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها إلا ملأ الله جوفه إيماناً وقال
صلى الله عليه وآله من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق ويخيره في أي الحور شاء وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك
بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال أيوب عليه السلام حلم ساعة يدفع شراً كثيراً **أقول** ومن طريق

الخاصة

الخاصة ما رواه في الكافي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أحب السبيل إلى الله جرعتان جرعة غيظ تردها بحلم وجرعة مصيبة
تردها بصبر وعن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعت أبي يقول ما أحب أن لي بذل نفسي حمر النعم وما تجرعت جرعة أحب إلي من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها وعن
أبي جعفر عليه السلام قال من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة وعن أبي عبد الله عليه السلام قال نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها فإن
عظيم الأجر لمن عظيم البلاء وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم وعنه عليه السلام ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عز وجل عزاً في الدنيا والآخرة وقد قال الله عز وجل
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وأثابه الله مكان غيظه ذلك وعنه عليه السلام من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله
قلبه يوم القيامة رضاه وعن أبي الحسن الأول عليه السلام قال اصبر على أعداء النعم فإنك لن تكافئ من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه **فضيلة الحلم**
اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي التكلف بالحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة
ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتياداً فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه
وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتخير الخير يعطه
ومن يتوق الشر يوقه وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولاً وتكلفه كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم وقال صلى الله عليه وآله اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم
السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم أشار بهذا إلى أن التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم
واللين وكان من دعائه صلى الله عليه وآله اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال صلى الله عليه وآله ابتغوا الرفعة
عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وآله خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم
والحجامة والسواك والتعطر وقال علي عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه ليكتب جباراً عنيداً وما يملك
إلا أهل بيته وروي أن رجلاً قال لرسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم قال لئن كان كما تقول
فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضي
شيئاً فهو عليه صدقة فأوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وآله إني قد غفرت له وقيل في قوله تعالى ربانيين أي حلماء علماء وفي قوله تعالى يمشون على الأرض هوناً
أي حلماء وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً أي إن جهل عليهم لم يجهلوا وفي قوله عز وجل وإذا مروا باللغو مروا كراماً أي إذا أوذوا صفحوا
وفي قوله [illegible] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف وقال
ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به
في الناس وقال صلى الله عليه وآله إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعاً إلى الجنة
فتتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا
وإذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين وقال صلى الله عليه وآله ليليني منكم ذوو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم [illegible]
[illegible] أحسنت [illegible] وإذا أسأت استغفرت الله [illegible] وعن أبي عبد الله عليه السلام [illegible]

[illegible] الندم والتوبة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] اقول [illegible]

[illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] قال [illegible]

[illegible]

قوله

[illegible]

[illegible] اقول [illegible]

[illegible] قال [illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible] الفصل [illegible]

[illegible] الاول [illegible] الثاني [illegible] الثالث [illegible] الرابع [illegible] الخامس [illegible] السادس [illegible] السابع [illegible] الثامن [illegible]

[illegible] [redacted] [illegible]

وهو من فضائل اعمال المقربين فالعفو والحلم احوال عند القدرة واحد وان يستوفي حظه المستحق من غير زيادة ولا نقصان وهو العدل
والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصفح وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه بالزيادة وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين
والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الان فضيلة العفو والاحسان **فضيلة العفو** اعلم ان العفو ان يستحق حقا فيسقطه ويبرئ عنه
من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف الاية وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله و
الصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط
ما لم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شيء كان من اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما و
قال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل
الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا
قدر غفر وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يجلس واراد ان ياخذ له مظلمته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وقال صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وقال صلى الله عليه وسلم اذا بعث
الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن
عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعنه صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل
الجنة قيل ومن ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا الفا فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا الاية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرا في دبر كل صلوة قل هو
الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر او احداهن يا رسول الله قال او احداهن **اقول** ومن طرق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته الا اخبركم بخير خلائق الدنيا والاخرة العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والاحسان الى من اساء اليك واعطاء من حرمك
وعنه عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد الا عزا فتعافوا يعزكم الله وعن ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلم قال
سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم ينادي مناد اين اهل الفضل قال فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون
وما فضلكم فيقولون كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا قال فيقال لهم صدقتم ادخلوا الجنة وعن ابي جعفر عليه السلم قال الندامة على العفو افضل وايسر
من الندامة على العقوبة وعنه عليه السلم قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله اتي باليهودية التي سمت الشاة للنبي صلى الله عليه وآله فقال لها ما حملك على ما صنعت
فقالت قلت ان كان نبيا لم يضره وان كان ملكا اراحت الناس منه قال فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عنها وعن ابي عبد الله عليه السلم ثلث من مكارم

الدنيا

الدنيا والاخرة تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم اذا جهل عليك وعن الحسن بن علي عليهما السلم قال ان العفو ... ان قط الا نظر ... عفوا ومن عقب
قال ان الحسن بن علي عليهما السلم في حائط له فنظر الى غلام قد اخذ كلبا ... فقال له ... والحائط ... فاعتقه واعطاه ... وذهب به الى الحائط
ووهبه له ... وهذا ... الكارة فقال للغلام فلان قال ... قال لا يا سيدي قال ... فقال لا يا سيدي قال ... الغلام ... هوا
قال استوهبت لك الله ولا اذهب بعد ذلك ... اخلاقه **قال** ابو حامد الاثار قيل ليعقوب ... الذي كان ... قال لا ولكنه ... عظيم
اربع خصال من كن فيه كان اذا قدر ... او عدو ... واذا حدث صدق ... قال ... ظلم ... اذا قدر الشتم والكرم
فلم ... قيل القدرة ... الغيظ ... ان سارقا دخل ... بين ... فقطعه ... فقال ...
عليه ... جلس ... السوق ... طعاما ... فجعلوا يدعون على من اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله جراة على الذنب فاجعله
آخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير
تبكي فقال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله عز وجل فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له
فضيلة الرفق اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة
الغضب وقد يكون سببه شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط
قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وآله على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة انه من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه
من خير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وآله اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وآله ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق
واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق ما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا من خير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وآله ان الله رفيق يحب الرفق
ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وآله يا عائشة ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق ... وقال
الله ... الشيطان **اقول** ومن طرق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الرفق ... عن ابي عبد الله عليه السلم ...
... عن ابي جعفر عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وعنه عليه السلم قال من قسم له الرفق قسم له
الايمان والرفق وعنه عليه السلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وعن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الرفق
يمن والخرق شوم وعنه عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان ... الا كان ... اجرا ... الا ... ارفقهما بصاحبه وعنه عليه السلم
من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس وعنه عليه السلم ان الله رفيق يحب الرفق فمن رفقه بعباده تسليله اضغانهم ... ومضادتهم لهواهم وقلوبهم ومن رفقه
بهم انه يدعهم على الامر يريد ازالتهم عنه رفقا بهم لكيلا يلقي عليهم عرى الايمان ... فاذا اراد ذلك نسخ الامر بالاخر
... وعن الحسن ... قال الرفق ... قال ... ان ... في غضب الله ...
في غضبه ... صلى الله عليه وآله انه قال ان الرفق ... الرفق ... الرفق ...
الرفق ... **قال** ابو حامد بعد ذكر الاثار ... الرفق ... محمود ... الاحوال ... الامور

دماجة الى العنف ثم يقع لكن مع الله [illegible] الكامل [illegible] من مواقع العنف [illegible] فان كان قادرا [illegible]

[illegible] الرفق [illegible] الفخر [illegible] **القول في ذم الحسد** في حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب

في ازالته **بيان** ذم الحسد اعلم ان الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب اصل اصله ثم ان للحسد من الفروع الذميمة

ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وروي انه صلى الله عليه وسلم [illegible] رجل

من الانصار ينفض لحيته من ماء وضوئه [illegible] فلما [illegible] ذكر الله [illegible] لم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر [illegible]

ذلك فقال ما هو الا ما رأيت غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا احسد احدا على خير اعطاه الله اياه [illegible] وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن

احد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاث لا ينجو

منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة

هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت

ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم انه سيصيب امتي داء الامم

قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج وقال صلى الله عليه وسلم

لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك ويروى ان موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه

فسأل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره وقال احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة

وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي

ان يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال

صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله اعداء فقيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون

النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد

انتهى [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الناس [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] فقال الرجل القصير [illegible]

[illegible]

[illegible]

الرضع الذي رضعك الله فيه [illegible] فتنت [illegible] قال [illegible] الرجل [illegible] فاتقوا الله لا تحسدوا

بعضكم بعضا [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الحسد [illegible] مصباح [illegible] صلى الله عليه وسلم قال الحاسد [illegible]

بالحسود [illegible] الحسد [illegible] الادم [illegible] حاسدا كان [illegible]

الحاسد [illegible] المحسود [illegible] فاذا [illegible] عند الحاسد [illegible] فضل الله [illegible]

[illegible] الكفر [illegible] الحاسد [illegible]

[illegible] **قال** [illegible] الآثار [illegible] السلف [illegible] اول خطيئة [illegible]

[illegible] قال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه

والمسيء سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك

ابخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج من عند

الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه اساءته فقال

له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب

بخطه الا بجائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج

فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك

واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي فالله الله في امري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد

الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال له الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر

قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لانه اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى المسيء اساءته

وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على امر الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار

فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار [illegible] الحسد [illegible]

ولا [illegible] وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقيل كل احد يمكن ان ترضيه الا الحاسد فانه لا يرضيه الا زوال نعمتك

ولذلك قيل كل العداوة قد ترجى اماتتها ❁ الا عداوة من عاداك من حسد ❁ وقال بعض الحكماء [illegible] المحسود [illegible] وقال عمر بن عبد العزيز

ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد [illegible] وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة

وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا **بيان** حقيقة الحسد

وحكمه واقسامه ومراتبه اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها

وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن

تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين موضع الآخر

في الإسلام بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم إن المؤمن يغبط والمنافق يحسد فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر
أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فإنك لا تحب زوالها من
حيث إنها نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط
لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك فيها مضرة وإلى هذا أشار
القرآن بقوله إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من أهل الكتاب
لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم فأخبر أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر
حسد إخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم فقال إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه
أرضاً يخل لكم وجه أبيكم فلما كرهوا حب أبيهم له وساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه غيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا
ويؤثرون على أنفسهم أي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الإنكار أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله
من فضله وقال تعالى كان الناس أمة واحدة إلى قوله إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم قيل في التفسير حسداً وقال تعالى وما تفرقوا إلا
من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن
ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوماً قالوا نسألك بالنبي
الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله إلا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد إسماعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه
فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به إلى قوله أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أي حسداً وقالت صفية بنت
حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبي وعمي من عندك يوماً فقال أبي لعمي ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته
أيام حياته فهذا حكم الحسد في التحريم وأما المنافسة فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة مكان الحسد
والحسد مكان المنافسة قال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي
حين قال لهما لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك أي ما حسدناك نفاسة
حسدناك على تزويجه إياك فاطمة فإن المنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على إباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
وقال سابقوا إلى مغفرة من ربكم وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه
فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على
هلكته في الحق ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث أبي كبشة الأنصاري فقال مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل
آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول رب لو أن لي مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر
سواء وهذا منه حب لأن يكون له مثل ما له من غير حب أن تزول النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته الله
فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه فيه فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له

من النعمة

من النعمة مثل ما له فإذاً لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم إن كانت تلك النعمة
نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إن لم يكن يحب ذلك فيكون راضياً بالمعصية
وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كإنفاق الأموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة يتنعم
بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران
أحدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف
نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان
وههنا دقيقة غامضة وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وإنما يزول
نقصانه إما بأن ينال مثلها أو بأن تزول نعمة المحسود فإذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى
إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشفى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان
بحيث لو ألقي الأمر إليه ورد إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموماً وإن كان تزعه التقوى عن إزالة ذلك فيعفى عنه ما يجده
في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعني بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينفك المؤمن
عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج إذا حسدت فلا تبغ أي إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به وبعيد أن يكون الإنسان مريداً
للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد لا محالة ترجيحاً له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام
فينبغي أن يحتاط فيه فإنه موضع الخطر وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوي
الإيمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك إلى الحسد المذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه
حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقي إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلاً بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين
أو مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه وأما مراتبه فأربع
الأولى أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث الثانية أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته
في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة
لا تنعم غيره بها الثالثة أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة
أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين
والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الثانية حسداً فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم
لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان أسباب الحسد

والمنافسة أما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فإن كان ذلك أمراً دينياً فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنيوياً فسببه
حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جداً ولكن يحصر جملتها سبعة أسباب العداوة والتعزز

والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص
بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال النعمة لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو
لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر واما
ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى
مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس
وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب **السبب الاول** العداوة والبغضاء وهو اشد اسباب الحسد فان من آذاه انسان
بسبب من الاسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان
يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافاة
من جهة الله على بغضه وانها لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له
من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض بجرم
انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وكذلك قال ودوا ما عنتم
قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر
وما يجري مجراه **السبب الثاني** التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر
عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى
بترفعه عليه **السبب الثالث** ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة
خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان
حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ له رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم **السبب الرابع** التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا
انؤمن لبشرين مثلنا وقالوا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم
واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة او تقدم عداوة او سبب آخر من سائر الاسباب
وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة وقال اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم **السبب الخامس**
الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس
تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك

تحاسد

تحاسد التلميذين لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه وكذلك العلماء المتزاحمين على طائفة
من المتفقهين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراض لهم وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال والقبول
السبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى المقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب
عليه حب الثناء والمدح واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك
واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح
بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين
آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم **السبب السابع** خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله فانك تجد من
لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به عليه شق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب
امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك
من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة
وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة
يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه اسباب الحسد وقد يجتمع
بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر
العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها **بيان** السبب في كثرة الحسد بين الامثال
والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم
تجتمع فيهم جملة من هذه الاسباب وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه قد يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب
وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد
صاحبه في غرض من الاغراض نفر طبعه عنه وابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من
النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة من هذه الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين
نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه
تثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد
الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها
اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة
الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق

فلا جرم يكون حسده للتجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص وأصل هذه المحاسدة العداوة وأصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين أما الآخرة فلا ضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت أرضه وسمائه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً لأن المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وثمرة الإفادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق أيضاً فيما عند الله لأن أجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سبباً للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك فالفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل عن قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك عنده ألذ من كل نعيم ولم يكن ممنوعاً منه ولا مزاحماً فيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من خلق الله لأن غيره أيضاً لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فإن نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبداً يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وإن كان بشخصه في الأرض فروحه في جنة عالية ورياض زاهرة فلا جرم إن كثر العارفون لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فإذاً لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال إلا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضاً فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعاً بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين إلى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم على ما خص به من الاجتباء ولما دعي إلى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى فقد عرفت أنه لا منشأ للحسد إلا ضيق يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا يتحاسد الناس على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على النظر إلى البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها إلى السماء ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً فعليك إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعيماً لا زحمة فيه ولذة

العين

بالاضافة

لا مكدر

لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السماوات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً فإن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله ولم تجد لذتها فضعف فيه رغبتك فأنت فيه معذور إذ العنين لا يشتاق إلى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق إلى لذة الملك فإن هذه لذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص بإدراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين

بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف إليه أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقداً ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من إقبال ونعمة فلا بد وأن يدوم إلى أجل معلوم قدره الله فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكا نبي من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله إليه فر من قدامها حتى تنقضي أيامها أي ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فإنه بلاء تشتهيه أولاً لنفسك فإنك أيضاً لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الإيمان أيضاً لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان قال الله ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون إذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بإرادته الضلال لغيره فإن إرادة الكفر كفر فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فإن كل واحد من حمقى الحساد أيضاً يشتهي أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد

ما يحب عدوك شكره وانت تحبك كيما وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيما
إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهي هدايا تهديها إليه أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك
حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة إذ وفقك
للحسنات فنقلتها إليه فأضفت له نعمة إلى نعمة وأضفت لنفسك شقاوة إلى شقاوة وأما منفعته في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة
الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أعظم مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم
وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله
عليه فينقطع قلبك حسداً ولذلك قيل شعر لا مات أعداؤك بل خلدوا • حتى يروا فيك الذي يكمد • لا زلت محسوداً على نعمة • فإنما الكامل من يحسد
ولا هلاك الا من حاسد • فاما الفضل من يحسد • ففرح عدوك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك
أعظم مصيبة وبلية عنده فما أنت فيه من ملازمة الغم إلا كما يشتهيه عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك
إذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموماً عند الخالق والخلائق شقياً في الحال والمآل
ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رآك
محروماً من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشارك في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير
للمسلمين كان شريكاً في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك فخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على
عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه إليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وآله الرجل يحب
القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وآله المرء مع من أحب وقام أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يخطب فقال متى الساعة فقال ما أعددت
لها فقال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وآله أنت مع من أحببت قال أنس فما فرح المسلمون
بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ إشارة إلى أن أكثر بغيتهم كان حب الله ورسوله وقال أبو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب
الصوام ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وآله هو مع من أحب وقيل إن لم تكن عالماً ولا متعلماً فكن محباً لهم وإلا فلا تبغضهم فانظر
الآن كيف حسدك إبليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت وكيف لا تكون آثماً وأنت تحسد
رجلاً من أهل العلم وتحب أن يخطئ في دين الله وينكشف خطؤه ليفتضح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي إثم يزيد
على ذلك فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الإثم وعذاب الآخرة وقد جاء أن أهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه
أي من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها البتة فقد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ
حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي سهماً إلى عدوه ليصيب مقتله
فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانياً فيرميه أشد من الأول فيرجع إلى عينه الأخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود
ويرميه ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية

الشيطان

الشيطان منه بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم تفوت إلا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالإثم والإثم
لا يفوت بالموت ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف
انتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد إذ السلامة من الإثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه
تصديقاً لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلها حتى قالت
عائشة ما تمنيت لعثمان شيئاً إلا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجر إليه من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق
اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الأعداء وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة فهذه هي الأدوية العلمية فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف
وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من
قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه نقيضه فإن بعثه الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه وإن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له
والاعتذار إليه وإن بعثه على كف الإنعام عنه ألزم نفسه الزيادة في الإنعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه
ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه
ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولاً طبعاً آخراً
ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق والخوف وأن ذلك مذلة ومهانة وذلك
من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفاً كانت أو طبعاً تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقلل مرغوبها وتعود القلوب التآلف
والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا أنها مرة على القلوب جداً ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على
مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعني التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها
وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد أن يكون
ما لا يكون إذ لا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين إما أن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون
والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فهذا يجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء
الكلي فأما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها فإنها
مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة فإن لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد
في تسكينه مع بقاء مواده فإنه ما دام محباً للجاه فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وإنما غايته أن يهون
الغم على نفسه ولا يظهره بلسانه ويده فأما الخلو عنه رأساً فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم أن المؤذي ممقوت
بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل
لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوي ذلك فيك حتى بعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف
ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت إذن حسود عاص بحسدك وإن كففت ظاهرك بالكلية

وقال ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال إن تمسسكم حسنة تسؤهم أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد ليس
عين الحسد بل محله القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله وإنما يجب الاستحلال من
الأسباب الظاهرة على الجوارح وأما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهية ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك
تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد أديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك
في أغلب الأحوال أكثر من هذا فأما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع
الطبع عليه ما دام ملتفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى
تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعالا لله ويراهم مسخرين وذلك إن كان
فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منازعته أعني الشيطان فإنه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك
بكراهية ألزمها قلبه فقد أدى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه
فإنه لا يضرك ما لم تبده والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرنا من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال النعمة وتلك الكراهة
تمنعه من البغي والإيذاء فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل
من يحب إساءة المسلمين فهو حاسد فإذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه فقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك
ثلاثة أحوال أحدها أن تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة
في إزالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه الثانية أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك
أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة وهي بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك
على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه
هذا آخر كتاب ذم الغضب والحقد والحسد من ربع المهلكات من الجزء البيضاء في إحياء الأخبار ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب ذم الدنيا
والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين من ربع المهلكات من الجزء البيضاء في إحياء

الحمد لله الذي عرّف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها
فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها أسرار
سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرّارة عن طلابها شحيحة بإقبالها وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها إن أحسنت ساعة أساءت سنة
وإن أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر إقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة
ومجاري أحوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها إلى الذل مصيره وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها
فاتته ومن أعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق إلى الهرم ونعيمها لا يثمر
إلا الندم ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها كشرت لهم عن أنيابها
وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فأذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما أصحابها منها في سرور
وإنعام إذ ولت عنهم كأنها أضغاث أحلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصعيد إن ملكت
واحدا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كأن لم يغن بالأمس تمني أصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا
فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا ودعاؤهم ثبورا وكان أمر الله قدرا مقدورا والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرا
ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا أما بعد فإن الدنيا عدوة الله وعدوة
لأولياء الله وعدوة لأعداء الله أما عداوتها لله فإنها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها وأما عداوتها لأولياء
الله فإنها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وأما عداوتها لأعداء الله فإنها استدرجتهم
بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد
ثم حرمتهم عن السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون أولئك الذين
اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وما
الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها
وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى

بيان ذم الدنيا الآيات الواردة في ذم الدنيا كثيرة وأمثلتها وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة
بل هو مقصود الأنبياء ولم يبعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها
فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هوانها ألقوها
قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء
وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها

من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وآله حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال صلى الله عليه وآله
يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا
قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي تراها بها ستصير عظاما بالية
وقال صلى الله عليه وآله ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا
في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب
كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال ايضا عليه السلام يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا
تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله عصي فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها
واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا عليه السلام بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم على ظهرها
فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم في الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة
وقال ايضا عليه السلام الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت
فياخذ بعنقه وعن النبي صلى الله عليه وآله ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ خلقها وروي ان سليمان بن داود
عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والانس والجن عن يمينه ويساره فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما
فسمع سليمان عليه السلام فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وآله
الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وقال
صلى الله عليه وآله الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى
من لا يقين له وقال صلى الله عليه وآله من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا
لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الدنيا موقوفة بين السماء والارض
منذ خلقها الله عز وجل لا ينظر اليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لادنى اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء اني لم ارضك لهم في
الدنيا ارضاك لهم اليوم وروي ان الله عز وجل لما اهبط آدم من الجنة الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء وروي في اخبار آدم عليه السلام
انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في
الجنة فامر الله ملكا يخاطبه فقال له قل له اي شيء تريد قال اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تريد ان تضعه
اعلى الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وآله
ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون
هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وآله في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا
يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه

فان الدنيا قد خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلام
لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروي ان جبرئيل قال لنوح عليه السلام يا اطول الانبياء عمرا كيف
وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا
وقال نبينا صلى الله عليه وآله احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وروي انه صلى الله عليه وآله خرج ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد
ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه
الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدي قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع
الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز
لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروي ان عيسى عليه السلام اشتد به المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا
يلجأ اليه فرفعت اليه خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال
الهي لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فاوحى الله تعالى اليه مأواك في مستقر رحمتي لازوجنك يوم القيامة الف حوراء خلقتها بيدي ولاطعمن في
عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى عليه السلام ويل
لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف اراهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون
وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل اوحى الله الى موسى عليه السلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار [illegible] وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وآله
فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله تعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء قالوا اجل
يا رسول الله قال ابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها فتنوها
كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض
فقيل وما بركات الارض فقال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وآله لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا ونهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال
عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا
عن غيرها لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسأل ربه فاوحى الله اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل
اشرف على نشز من الارض ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية
قال وكيف ذلك قال بحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت
حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت
فيهم ولم اكن منهم فلما نزل العذاب عمني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لاكل خبز الشعير اعماني
بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وروي ان ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله العضباء كانت لا تسبق فجاء اعرابي

بناه قهرا فسبقتها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انه حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام
من ذا الذي يبني على امواج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله
وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة
ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد
لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم فصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع
هواها مخافة ما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين الله ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على
البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في امر الدنيا ولا تناصحون في امر الدين ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر آخرته ما هذا الا من قلة
الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها املك باموركم فان قلتم حب العاجلة
غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم انتم ما حققتم
ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وآله فأتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم
والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه
وتحزنون على الكثير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم اني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره
ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الآجل ولوددت ان
الله اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله
استعين على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة
الدنيا وفي معناه قيل شعر ارى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا • ولا اراهم رضوا في العيش بالدون • فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الدين • وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا ابر وقال صلى الله عليه وآله لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم
كما تأكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ومر موسى برجل يبكي
ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا
وقال علي عليه السلام من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف
الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال رجل لعلي عليه السلام يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا
فقال وما اصف لك من دار من صح فيها سقم ومن امن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب
وقيل لعلي عليه السلام [illegible] فقال الطول والقصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال عليه السلام انما الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب
وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات
الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال والله ان المرأة لتزين احسن شيء منها

ويراد

ويراد اقبح شيء منها واشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان

فصل اول

من طرق الاحاديث عن اهل البيت عليهم السلام في ذم الدنيا ما
[illegible] من كلام امير المؤمنين عليه السلام [illegible] كلامه عليه السلام في هذا الباب وقد سلف كلام امير
عليه السلام فيه في ان العلم من ربع العبادات عند ذكر صفات علماء الآخرة وفي خبر ابي عبد الله عليه السلام قال خرج النبي صلى الله عليه وآله وجبرئيل
فاتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الارض فقال يا محمد هذه مفاتيح خزائن الارض يقول لك ربك افتح وخذ منها ما شئت من غير ان تنقص شيئا عندي فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له فقال الملك والذي بعثك بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء
الرابعة حين اعطيت المفاتيح وعنه عليه السلام قال مر رسول الله صلى الله عليه وآله بجدي اسك ملقى على مزبلة ميتا فقال لاصحابه كم يساوي هذا فقالوا
لعله لو كان حيا لم يساو درهما فقال النبي صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذا الجدي على اهله وعنه عليه السلام قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان في طلب الدنيا اضرارا بالآخرة وفي طلب الآخرة اضرارا بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها احق بالاضرار وعنهم عليهم السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما لي وللدنيا وما انا والدنيا انما مثلي ومثلها كمثل الراكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها
ثم راح وتركها وعنه عليه السلام قال ما اعجب رسول الله صلى الله عليه وآله شيء من الدنيا الا ان يكون فيها جائعا خائفا وعنه عليه السلام قال ان في كتاب
علي عليه السلام انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها وفي جوفها السم الناقع يحذرها الرجل العاقل ويهوي اليها الصبي الجاهل وعنه عليه السلام قال كتب
امير المؤمنين عليه السلام الى بعض اصحابه يعظه اوصيك ونفسي بتقوى من لا تحل معصيته ولا يرجى غيره ولا الغنى الا به فان من اتقى الله عز وقوي
وشبع وروي ورفع عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معاين الآخرة فاطفأ بضوء قلبه ما ابصرت عيناه من حب الدنيا
فقذر حرامها وجانب شبهاتها واضر والله بالحلال الصافي الا ما لا بد منه من كسرة يشد بها صلبه وثوب يواري به عورته من اغلظ ما يجد واخشنه ولم يكن
له فيما لا بد منه ثقة ولا رجاء فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الاشياء فجد واجتهد واتعب بدنه حتى بدت الاضلاع وغارت العينان فابدل الله له من ذلك
روحا في بدنه وشدة في عقله وما ذخر له في الآخرة اكثر فارفض الدنيا فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقي من
عمرك ولا تقل غدا او بعد غد فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم
الى قبورهم المظلمة الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال اعاننا الله
واياك على طاعته ووفقنا واياك لمرضاته وعن ابي جعفر عليه السلام قال قال علي بن الحسين عليهما السلام ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة
قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة
الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات
ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب الا ان لله عبادا كمن رأى اهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن رأى اهل النار
في النار معذبين شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة اما الليل فصافون
اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كأنهم القداح قد براهم
الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد خالط القوم امر عظيم من ذكر النار وما فيها [illegible]

قال سئل يحيى بن معاذ [illegible] اي الاعمال افضل عند الله تعالى فقال [illegible]
[illegible]
وحب الدنيا وحب الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة [illegible] سبع خصال [illegible] فحب الدنيا
[illegible] حب الدنيا رأس كل خطيئة والدنيا دنياان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة [illegible]
[illegible]

وارضوا [illegible] قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible] **فصل** [illegible] قال لقمان لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك
فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله [illegible] لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال بعض الحكماء [illegible]
الدنيا [illegible]
[illegible] وقيل لبعض الزهاد [illegible]
[illegible] اذا ادبرت كانت [illegible] حسرة
وان اقبلت كانت كثيرة الهموم وقال بعض الحكماء [illegible]
[illegible]

عن حسن والشر كلها انما تبيع ونقيل الفتوة السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس
وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت
الآخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق
كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رجل من نجران عمره
مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدتها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد لهم ولد ويهلك هالك فلولا المولود
لباد الخلق ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال
لا حاجة لي اليك وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما سأله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق
به شيء يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل
لبعض العباد قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فاما مؤنة
الآخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقيل الدنيا
لمن تركها والآخرة لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران و
اعمر منها قلب من يطلبها وقال ابراهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان
الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كانك لا تحبه في اليقظة وقال يحيى بن معاذ العقلاء ثلثة من ترك الدنيا قبل ان
تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا يبلغ من شؤمها ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف
الوقوع فيها وقيل من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب
ينتفع بها ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته **بيان** المواعظ في ذم الدنيا وصفتها
خطب صلى الله عليه وسلم يوما فقال في خطبته اعلموا انكم ميتون ومبعوثون بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا
فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة فكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولن يسلم من شرها
نزالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم
وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله
انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم
هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق
الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين
لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل
وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى فاصبحوا بعد الحياة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا

فليس

فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلاء والوحدة
في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم
للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك
تجزى كل نفس بما كسبت ان الله يقول ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه
جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد وقال عليه السلام في خطبته
اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسادكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها
كمثل سفر سلكوا طريقا فكأنهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكأنهم قد بلغوه وكم عسى المجري الى الغاية ان يجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في
الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب
الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه **اقول** وفي خبر ابي عبيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما اجر الله به موسى عليه السلام لا تركن
الى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها ابا واما يا موسى لو وكلتك الى نفسك لتنظر لها اذا لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها يا موسى
نافس في الخير اهله واستبقهم اليه فان الخير كاسمه واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه ولا تنظر عينك الى كل مفتون بها وموكل الى نفسه واعلم ان كل
فتنة بدؤها حب الدنيا ولا تغبط احدا بكثرة المال فان مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ولا تغبطن احدا برضا الناس عنه حتى تعلم ان الله
راض عنه ولا تغبطن مخلوقا بطاعة الناس له فان طاعة الناس له واتباعهم اياه بغير الحق هلاك له ولمن تبعه وفي خبر عنه عليه السلام قال انما اخاف
لقمان ابنه قال يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لاولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له وانما انت عبد مستأجر قد امرت بعمل ووعدت عليه اجرا فاوف
عملك واستوف اجرك ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع اخضر فاكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها ولكن اجعل الدنيا
بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع اليها آخر الدهر اخربها ولا تعمرها فانك لم تؤمر بعمارتها واعلم انك ستسأل غدا اذا
وقفت بين يدي الله عز وجل عن اربع شبابك فيما ابليته وعمرك فيما افنيته ومالك مما اكتسبته وفيما انفقته فتأهب لذلك واعد له جوابا ولا تأس على
ما فاتك من الدنيا فان قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه وكثيرها لا يؤمن بلاؤه فخذ حذرك وجد في امرك واكشف الغطاء عن وجهك وتعرض لمعروف
ربك وجدد التوبة في قلبك واكمش في فراغك قبل ان يقصد قصدك ويقضي قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد وعنه عليه السلام قال ابو هريرة
يقول في خطبته يا معشر العلماء ان شيئا من الدنيا لم يكن شيئا الا ما نفع خيره ويضر شره الا من رحم الله يا معشر العلماء لا يشغلكم اهل
ولا من النفس ان ترم تفارقهم ... الدنيا والآخرة ... وما بين
الموت والبعث الا كنومة نمتها ثم استيقظت منها يا معشر العلماء قدم لنفسك من ...
قال ابو حازم العبسي يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا
فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة
والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها

جديدا ... وملكها الغير ... استيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان
يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل او هل الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى
ولماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فلا يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت
جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان ومنعت الكلام فلا تنطق وختم على
لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك
فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان
احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تأتي
سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشيء هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب
بينا هي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد
التاج برأس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل بدلا
قال وهب بن منبه لما بعث الله موسى وهارون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا
يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما تمتع به منها فانما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف
فرعون حين يراكما ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك وازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها
كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذلك لهوانهم علي و
لكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى تثبت في قلوبهم فتظهر على اجسادهم فهي ثيابهم
التي يلبسون ودثارهم التي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يأملون ومجدهم الذي به يفخرون و
سيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر
لهم يوم القيامة وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك
فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي
عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها
الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها بظاهر افعالها وما تأتي به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله رشدا الى الصواب وقال
بعض الحكماء قد سمعت وصف الدنيا وقد رأيتها فقال الدنيا تنقل من يديك الى غيرك وهو يرجع اليك قبل ان يخطر ذلك ببالك فقد فاتك ما ادركته وما
[illegible] الدهر يوم [illegible] النقصان والدهر موكل بتشتيت
الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب بعضهم فقال ايها الناس انكم خلقتم لامر ان
كنتم تصدقون به فانتم حمقى وان كنتم تكذبون به فانتم هلكى [illegible] العقل والعلم [illegible] الادب [illegible]

اما ان

اما ان الدنيا وان لم يرضها لاوليائه [illegible] عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وآله زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها وقال كلوا منها
قصدا وقدموا فضلا لآخرتكم وانها ما يكفي وتركوا ما يلهي البسوا من الثياب ما ستر العورة وكلوا من الطعام ادناه ما سد الجوعة انظروا الى
الدنيا بعين انها فانية وانها الآخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة وانظروا الى الآخرة بقلوبكم فعلموا
انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا ونعموا طويلا ذلك [illegible] الامر كما
احبوا اما احبوا وكرهوا ما كره لهم بيان صفة الدنيا بالامثلة اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد البقاء وتخلف الوفاء
تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها
ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند بعضهم انشد تمثلا
احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان الحسن بن علي عليهما السلام يتمثل كثيرا بهذا البيت يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل
حمق وكانوا يروون انه [illegible] ونزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه
وقام وهو يقول الا انما الدنيا كظل بنيته ولا بد يوما ان ظلك زائل ولذلك قيل وان امرأ دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور
مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس عنها بعد افلاتها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله
الدنيا حلم واهلها عليها مجازون معاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ
انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس في ايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لبعض الحكماء ما اشبه الدنيا فقال احلام النيام مثال آخر
للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك آخرا وهي كامرأة تتزين للخطاب
حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا في صورة عجوزة هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم
قال فكلهم مات عنك ام كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون باخوانهم كيف تهلكينهم
واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر مثال آخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبه عجوز
متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف
عقولهم في الاغترار بظاهرها وعن ابن عباس قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف
على الخلائق فيقال اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم
واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بن عياض
بلغني ان رجلا عرج بروحه الى السماء فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب [illegible] لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي
ادبرت كانت احسن شيء رآه الناس واذا اقبلت كانت اقبح شيء رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منك
قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت من انت قالت انا الدنيا مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها
اعلم ان الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد وحالة

متوسط بين الأزل والأبد ... فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إلى الدنيا ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ورأى صلى الله عليه وآله بعض الصحابة يبني بيتا من جص فقال أرى الأمر أعجل من هذا وأنكر ذلك وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهذا مثال واضح فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة والمهد هو الميل الأول على رأس القنطرة واللحد هو الميل الآخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلث القنطرة ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف كان فلا بد من العبور فالبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان

مثال آخر للدنيا في لين أخذها وخشونة مصدرها اعلم أن أوائل الدنيا تبدو لينة يظن الخائض فيها أن حلاوة خوضها كحلاوة الخوض فيها هيهات فإن الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي بن أبي طالب عليه السلام إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون منها فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام

مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وآله إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها فكما أن المشي على الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى صلوات الله عليه بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم إن الزق ما لم ينخرق أو يقحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال نبينا صلى الله عليه وآله بقي من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله

مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالإضافة إلى ما مضى قال النبي صلى الله عليه وآله مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع

مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله

مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ولنضارة أوائلها وخبث عواقبها اعلم أن شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوة الأطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتها وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعما وأكثر دسما وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى فنتنها وكراهتها

والتأذي

والتأذي بها عند الموت أشد بل هو في الدنيا مشاهد فإن من نهبت داره وأخذ أهله وولده وماله فتكون مصيبته وألمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال للضحاك بن سفيان الكلابي ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فإلى ما يصير قال إلى ما قد علمت يا رسول الله قال فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم وقال صلى الله عليه وآله إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا فانظر ما يخرج من ابن آدم وإن قزحه وملحه فقد علم إلى ما يصير وكان الحسن يقول قد رأيتهم يطيبونه بالأفاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الإنسان إلى طعامه قال ابن عباس إلى رجيعه وقيل لبعضهم ... حاجته ينظر إليه ... انظر إلى ما بخلت به انظر إلى ماذا صار

مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع إليه

مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم أن أهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بإهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصارت ثقلا عليه ووبالا فندم على أخذها ولم يقدر على رميها ولم يجد مكانا لوضعها فحملها في السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذها وليس ينفعه التأسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك يتشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراده فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي في الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيف المنتنة وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت ألوان الأحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدنفا ومن رجع قريبا ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمرهم وما أقبح بمن يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الحياة الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت

بل أصبح كلّا ووبالا عليه وهو في المحاشر غرق في الحزن عليه هذا هو حال الخلق كلهم الا من عصمه الله عز وجل مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا
وضعف ايمانهم يقول الحسن رحمه الله بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل
قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة
فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر رأسه فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال
يا هؤلاء قالوا يا هذا قال علام انتم قالوا على ما ترى قال ارأيتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا
قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال
يا هؤلاء الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لن نجده
وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله
ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا من بين اسير وقتيل مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها
اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد في داره فقدم اليه
طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع
منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على
المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند
فراقها فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها **اقول** وههنا مثال آخر اورده [illegible] في كتاب [illegible]
ما نقله بعض الحكماء الاكياس [illegible] وهو هذا مثال الخلق في [illegible] حال الانسان في اغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال
وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات بشخص [illegible] في بئر [illegible] وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر
سقوطه فاتح فاه لالتقامه وفي اعلى ذلك البئر جرذان ابيض واسود لا يزالان يقرضان [illegible] فاذا قد انقطع [illegible] سقط في فم الثعبان وهو
مع ذلك [illegible] اجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه ملتذ بما اصابه منه [illegible] الزنابير عليه وقد صرف باله
بالجملة الى ذلك غير ملتفت لما فوقه ولا لما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار
القارضان للاعمار والعسل المختلط بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها
وما اشد انطباق هذا المثال على الممثل [illegible] **بيان** حقيقة الدنيا وماهيتها
في حق العبد اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد ان نبين الدنيا
المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الداني منها
يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل
الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة اقسام **القسم الاول** ما يصحبك في الآخرة

ويبقى

انتهى که کو شبه [illegible] الاذکار
[illegible]

ويبقى معك في قبرك بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه
والعلم بشريعة نبيه واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والنكاح والمطعم في لذته
لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد
قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين
قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم
الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك فقد قال صلى الله عليه وآله حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب
والنساء وقرة عيني في الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا و
التلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة
فنقول هذه من الدنيا **القسم الثاني** وهو المقابل للقسم الاول على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ
بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة
فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل **القسم الثالث** وهو متوسط بين الطرفين كل حظ
في العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم
والعمل فهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا
للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت
الا ثلاث صفات صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله وصفاء القلب وطهارته لا تحصل الا بالكف عن شهوات
الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات
المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما
في الخبر ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما
الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر
روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت
العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب
الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه [illegible]
وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذن سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر
والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والملبس

والسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فلتعقد الزرع بيده [illegible] فشغله اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه
مزرعة الآخرة وان اخذ ذلك على قصد التنعم ولحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ [illegible]
لعذاب الله في الآخرة ويسمى ذلك حراما [illegible] ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الوقوف
في عرصات القيامة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يا ابن حيان مات أبوك فلا يشك أنك تموت إنك إما إلى جنة وإما إلى نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن
ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين ومات أبو بكر ومات عمر أخي ثم قال وا عمراه قال
فقلت له رحمك الله إن عمر لم يمت قال قد نعاه إلي ربي ونعى إلي نفسي ثم قال أنا وأنت في الموتى كأن قد ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي إياك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت إلي نفسي ونفسك عليك
بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأنذر قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر
فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني فيك فعرفني
وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان وضم إليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير
وما أعطيته من الدنيا فيسره له واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال أستودعك الله يا هرم بن حيان
والسلام عليك ورحمة الله لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فإني أكره الشهرة والوحدة أحب إلي إني كثير الهم شديد الغم
مع هؤلاء الناس ما دمت حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك ولم ترني فاذكرني وادع لي فإني سأذكرك
وأدعو لك إن شاء الله انطلق أنت هاهنا حتى أنطلق أنا هاهنا فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى علي ففارقته فبكى وأبكاني وجعلت أنظر في
قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة
المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان ذم الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء وأقلته الغبراء
إلا ما كان لله عز وجل من ذلك فليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو أن الحاج إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج ثم اشتغل
بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشتغلا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة
العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم إذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الأسباب
كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة
مناديا وأنا بين اليقظة والنوم يقول ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه فهذه حقيقة الدنيا فافهم ذلك

بيان

حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومواردهم اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان
موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور وقد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك أما الأعيان الموجودة
التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها فالأرض فراش للآدميين وما عليها ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام المعادن والنبات والحيوان أما النبات
فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي وأما المعادن فيطلبها الآدمي للآلات والأواني كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك
من المقاصد وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمآكل وظهورها للمركب والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي
أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يغرس فيها التعظيم والإكرام وهو الذي يعبر عنه
بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين

وهذا

وهذا من الإنس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت والخيل المسومة والأنعام
البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف
همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة
وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها والعلاقة الثانية مع البدن
وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم
ومنقلبهم لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الأعيان
التي سميناها دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأعني بالدابة البدن فإنه لا يبقى إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل في طريق الحج
إلا بعلف وماء وجلال ومثل العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثل الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها
ويكسوها ألوان الثياب ويحمل إليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية
فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه إلى الكعبة والحج وإنما يلتفت إلى الناقة
بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء إلا لضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البدن
وبين إخراجه من البطن وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن فإن القوت ضروري وأمر المسكن والملبس أهون ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصروا
عليها لم تستغرقهم أشغال الدنيا فإنما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا واتصل بعضها ببعض
وتداعت إلى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس
في مقاصدها حتى يتضح لك كيف صرفت أشغال الدنيا الخلق عن الله وكيف أنستهم عاقبة أمورهم فنقول الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات
والأعمال التي ترى الخلق منكبين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع
الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الإنسان فيه نعم خلق
ذلك للبهائم فإن النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغني عن
اللباس والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية
والاقتناص والحياكة والبناء أما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل أيضا للمطعم
والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلق الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص
يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات
وأشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب
أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع أخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرازة وهؤلاء هم عمال
الآلات ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيفما كان وبالحداد كل عامل في جواهر المعادن حتى النحاس والإبري وغيرهما وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف

ملكيرة وان انحصار [illegible] كل عامل مع جود [illegible] انات اعزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان [illegible]
مع غيره من جنسه وذلك الشيئين احدهما حاجة التناسل لبقاء نوع الانسان [illegible] الا باجتماع الذكر والانثى [illegible] ان [illegible]
اسباب المطعم والملبس لتربية الولد فان الاجتماع [illegible] الولد [illegible] اسباب [illegible] ثم [illegible] الاجتماع مع الاهل
والولد في المنزل [illegible] ان [illegible]
ويحتاج [illegible] المطعم [illegible]
كثيرة فلذلك [illegible] الانسان [illegible] الاجتماعات ثم [illegible]
[illegible] ومنازل [illegible] المنازل [illegible]
جميع المنازل [illegible] القصور [illegible] المنازل [illegible]
البلاد [illegible] البلاد والمنازل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

ويأخذون منهم اموالهم فافتقروا الى حرف يتوصلون بها الى استنباط حيل في التدبيرات اما اللصوص فمنهم من يطلب ذلك ان كانوا في منعة وشوكة
وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطرق كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب او التسلق عند
انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي
فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى شيئا فافتقروا الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة
فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض و
اظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا يتعجب الناس منها حتى
تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسمحوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة
والشعبذة والافعال المضحكة مثل النوائح والحكايات وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المسجع المنثور مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تأثيرا
في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت عليهم السلام او الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة
كصنعة الطبالين في الاسواق وتسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذي يخيل بائعه انها ادوية فيخدع بها الصبيان والجهال وكاصحاب
القرعة والفال والزجر من المنجمين ويدخل في هذه الجملة الوعاظ المكدون على رؤوس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام
واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا
عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآلهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم
الضعيفة بعد ان كدرتها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه فطايفة غلب عليهم الجهل
والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عواقب الامور فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى
ناكل فياكلون ليكسبوا ويكسبون لياكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا
وياكل ليلا ليتعب نهارا وذلك سير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطايفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان
بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوات الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء طايفة نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى
اتباع النسوان وجمع لذايذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غايات السعادات فشغلهم ذلك عن الله
واليوم الآخر وطايفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل
والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنتقص وهذه لذتهم وفي ذلك دابهم وحركتهم
الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من ياكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللآكل لذتها وحسابها
ثم ان الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك ولا يعتبرون وطايفة ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح
بالتجمل والمروة فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون
ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هي السعادة فهمتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس

عاقبة امرهم

وطايفه

وطايفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولاية وتقلد الاعمال
السلطانية لينفذ امرهم بها على طايفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية
المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم
ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تراد له هذه
الامور الثلثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعت بهم الى مهاو لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب
والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة
حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت
الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه فهذا شان المنهمكين في
اشغال الدنيا وتنبه لذلك طايفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طايفة ان الدنيا دار بلاء
ومحنة وان الآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في قتل النفس للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف
من عباد الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طايفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا
من اماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة فشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم
فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في
الالحاد والزندقة وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك
الاباحة فطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد وظن طايفة اخرى ان المقصود من العبادات
المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في
معرفة الله سبحانه عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة
وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فياخذ منها
قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق
من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فياخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ من اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة
كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات مراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع
والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية **اقول** وقد عرفت معنى الفرقة الناجية في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات **قال** وقد كانوا
على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط
ولا افراط بل كان امرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله سبحانه اعلم والحمد لله رب العالمين
هذا آخر كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات من كتاب المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب ذم البخل وذم حب المال والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا

كتاب ذم المال وذم البخل بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الثامن من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردّدهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى آله الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم كثيرا **اما بعد** فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة هي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذموم والآخر محمود وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرح ذلك في فصول اربعة عشر فصلا وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر

بيان ذم المال وكراهة حبه قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى الهاكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر افسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وآله هلك الاكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وآله سيأتي بعدكم قوم يأكلون اطايب الطعام والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرها ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وآله

دعوا

دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وآله يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وقال رجل لرسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه وآله اخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره فهو اهله والذي يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندي سواء وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل وكل ما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة قال صلى الله عليه وآله اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وآله لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وروي ان عليا عليه السلام وضع درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لم تنفعني وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تاخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك ان يعيذك الله مني فابغض الدينار والدرهم وذلك لان الدينار والدرهم هما الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل شعر اني وجدت فلا تظنوا غيره ان التورع عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى المسلم وقال آخر لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه او جبين لاح فيه اثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه

بيان مدح المال والجمع بين المدح والذم اعلم ان الله سبحانه قد سمى المال خيرا في مواضع من كتابه فقال تعالى ان ترك خيرا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا بالمال وقال الله تعالى ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال صلى الله عليه وآله كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا بشر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد لهذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادنى الاموال الدراهم

والدنانير فإنهما خادمان ولا خادم لهما ويرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما إذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وإنما تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتنتقش صفتها في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق أن المقصود من الطعام إبقاء البدن ومن النكاح إبقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق فمن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وأنه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس فمن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا إليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع وكان ما يحصل الغرض به محمودا في حقه فإذن المال آلة ووسيلة إلى مقصد صحيح ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو إذن محمود مذموم محمود بالإضافة إلى المقصد المحمود مذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد في الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة إليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الأنبياء عليهم السلام من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتمحض خيره وقال اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واستعاذ إبراهيم صلوات الله عليه فقال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام وعنى بعض المفسرين بها هذين الحجرين الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه الحجارة وإنما عنى بعبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون إليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش وإذا شيك فلا انتقش فبين أن محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم وهو شرك إلا أن الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار

بيان تفصيل آفات المال وفوائده

اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره أما الفوائد فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لما تهالكوا على طلبها وأما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة أنواع

النوع الأول أن ينفقه على نفسه إما في عبادة أو في الاستعانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب مصروفا إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط

النوع الثاني ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وإنها لتطفئ غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضائلها وأما المروءة فنعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها فإن هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا أيضا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروءة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها وأما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابه

كثيرة

كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالعلم والعمل والذكر والفكر التي هي أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت مغبون إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران

النوع الثالث ما لا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى العز والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث

الأول أن يجر إلى المعاصي فإن الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة أن لا يقدر ومهما كان الإنسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته إليها فإذا استشعر القدرة عليها انبعثت الداعية والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فإن اقتحم ما اشتهاه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء

الثاني أنه يجر إلى التنعم في المباحات وهذا أول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليهما السلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض فإذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءاة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فإن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد أن ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تختص بالقلب واللسان ولا يخلو عن التعدي إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه

الثالث وهو الذي لا ينفك عنه أحد وهو أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله فقيل إن أخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل إن وضعه في حقه قال يشغله إصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فإن أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء في التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذا صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الأموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الأرض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع طمع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ المال وكسبه فإذن ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عداه سموم وآفات

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس

اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعاً منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدراً واخسه نوعاً ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد الشهر فان تشوق الى الكثرة او طول امله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لاحب ان يكون له ثان ولو كان له الثاني لاحب ان يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال النبي صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الامل وحب المال ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتاً في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلام سأل ربه فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم لما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعاً تكن اعبد الناس وكن قنعاً تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابياً اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدث بحديث تعتذر منه غداً واجمع اليأس مما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله فقلنا او ليس قد بايعناك ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك فقال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وتصلوا الخمس وان تسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئاً قال فلقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسأل احداً ان يناوله اياه •

الآثار قيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل واي شيء اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غماً الحسود واهنأهم عيشاً القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشاً ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وفي ذلك قيل • ارفه ببال فتى امسى على ثقة • ان الذي قسم الارزاق يرزقه •

فالعرض

فالعرض منه مصون لا يدنسه • والوجه منه جديد ليس يخلقه • ان القناعة من يحلل بساحتها • لم يلق في دهره شيئاً يؤرقه • وعاتب رجل اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصاً محروماً وزاهداً مرزوقاً • وقال بعضهم • اراك يزيدك الاثراء حرصاً • على الدنيا كانك لا تموت • فهل لك غاية ان صرت يوماً • اليها قلت حسبي قد رضيت • وقال الشعبي حكي ان رجلاً صاد قنبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك فآكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال هي خير لك من اكلي اما الواحدة فاعلمك وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين في كل درة عشرون مثقالاً قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت انت قد نسيت الاثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالاً ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون انه يكون وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد اذ وعوه وعقلوه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خرم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيراً لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان وقال بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من اين تاكل فقال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحى ياتيها بالطحين واوما بيده الى رحى اضراسه فسبحان القدير الخبير

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد منهم الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الاصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق في الامور كلها وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروي ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حباً من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا اردت امراً فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً والتؤدة في الانفاق من اهم الامور

الثاني انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد وان ياتيه وان لم يشتد حرصه

السبب لوصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واثقاً بوعد الله تعالى إذ قال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفاً من الفقر ويضحك عليه في احتماله التعب نقداً مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر. وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وآله بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكون وما ترزق يأتيك وقال صلى الله عليه وآله ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لا محالة مع الإجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب فإذا انسد عليه باب من حيث كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله قال صلى الله عليه وآله أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب وقال المفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك فقال نذر الحاج قلت فإذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش إلا من حيث ندري لم نعش وقال أبو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئاً منهما هو لي فلن أعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السماوات والأرض وشيئاً منهما هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي أي هذين أفني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر

الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الذل فإذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة لأنه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان قال النبي صلى الله عليه وآله عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فأنت نظيره واحتج إلى من شئت فأنت أسيره وأحسن إلى من شئت فأنت أميره

الرابع أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى سمت الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فإنه إن تنعم في البطن فالحمار أكثر أكلاً منه وإن تنعم في الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه وإن تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو أعلى زينة منه وإن قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء والأولياء

الخامس أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الأمن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبداً إلى من هو دونه في الدنيا لا إلى من هو فوقه فإن الشيطان أبداً يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين إلى من هو دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم قال أبو ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وآله

ان انظر

أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي في الدنيا وعنه صلى الله عليه وآله إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهراً طويلاً فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء

بيان فضيلة السخاء اعلم أن المال إن كان مفقوداً فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجوداً فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فإن السخاء من أخلاق الأنبياء وهو أصل من أصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وآله حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن إلى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال جبرئيل قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية أكرموه بهما ما صحبتموه وعنه صلى الله عليه وآله ما جبل الله أولياءه إلا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال الصبر والسماحة وعنه صلى الله عليه وآله خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله عز وجل فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله عز وجل فسوء الخلق والبخل فإذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام وعنه صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فإني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله تجافوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وإن الله ليباهي بمطعم الطعام الملائكة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها وقال أنس إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسأل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وعنه صلى الله عليه وآله إن لله عباداً يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله عنه وحولها إلى غيره وعن الهلالي قال أتي رسول الله صلى الله عليه وآله بأسرى من بني العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلاً فقال علي بن أبي طالب عليه السلام يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال النبي صلى الله عليه وآله نزل علي جبرئيل عليه السلام فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فإن الله شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه وآله إن لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعنه صلى الله عليه وآله طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وآله من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤونة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شيء لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف وعنه صلى الله عليه وآله السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل وأدوأ الداء البخل وقال النبي صلى الله عليه وآله اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس من أهله فإن أصبت أهله فقد أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله وقال صلى الله عليه وآله إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وعنه صلى الله عليه وآله إن الله تعالى جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه كما يسر الغيث إلى البلدة

ابخرته مجيبها وكتب بجاهلها وقال صلى الله عليه وآله كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى المرء به عرضه فهو
صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وآله كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان
وقال صلى الله عليه وآله كل معروف صنعته الى غني او فقير صدقة وروي ان الله اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال علي عليه السلام بعث رسول
الله صلى الله عليه وآله بجيش [illegible] قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع رواحل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان ذلك [illegible] من شيمة
اهل ذلك البيت وقال علي عليه السلام اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد شعر لا تبخلن بدنيا
وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف فان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف وسال معاوية الحسن بن علي عليهما السلام
عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة
فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل ورفع
رجل الى الحسين بن علي عليهما السلام رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال
يسألني الله عز وجل عن ذل مقامي بين يديه حتى اقرأ رقعته وقال علي بن الحسين عليهما السلام من وصف بذل ما لديه بالكرم سخيا وانما السخي من يعطي
الله له في اهل طاعته ولا ينازع نفسه الى [illegible] نعمة ثواب الله له تاما وقال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام لا مال اعود
من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني اللئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار
والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي عليهم السلام يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال
ما وقي به العرض وتمثل [illegible] عند عبد الله بن جعفر بهذين البيتين شعر ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع فاذا اصطنعت
صنيعة فاعمد بها لله او لذوي القرابة او دع فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب
الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت انت له اهلا وقال [illegible] اذ جاءه [illegible] في معيشته [illegible]
[illegible] درهم فقال [illegible] الدرهم قال [illegible] شعر [illegible]
الذي [illegible] فاذا النفقة [illegible] اعطى [illegible]
ابن [illegible] عجبت [illegible] المعروف [illegible] الاعراب [illegible]
[illegible] وقال بعضهم [illegible] الجود [illegible]
قيل [illegible] وقال بعضهم اذا [illegible] حكايات
الاخيار [illegible] عليه السلام [illegible] قال [illegible] وسال رجل
الحسن بن علي عليهما السلام حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي [illegible]
في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤونة الاحتيال والاهتمام [illegible]
فقال يا ابن رسول الله اقبل [illegible] العطية والعذر [illegible] فدعا الحسن عليه السلام [illegible] حتى استقصى ما في خزانته

الفاضل

الفاضل من النفقة [illegible] الف فاحضر خمسين الف قال [illegible] دينار [illegible] قال احضرها فاحضرها فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل
وقال [illegible] فقال يا ابن رسول الله [illegible] الحسن عليه السلام [illegible] فقال [illegible]
[illegible] وقيل ان الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر خرجوا حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب
فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة
فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا
لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة
فغضب الرجل وقال ويحك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجأتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا
ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فاذا الحسن عليه السلام جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث
[illegible] فدعا بالعجوز فقال لها يا امة الله اتعرفيني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال نعم
ثم امر الحسن عليه السلام فاشتري لها من شياه الصدقة الف شاة وامر لها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين عليه السلام فقال لها الحسين عليه السلام
بكم وصلك اخي فقالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين عليه السلام ايضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال بكم وصلك
الحسن والحسين عليهما السلام قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها عبد الله بن جعفر بالفي شاة والفي دينار وقال لها لو بدأت بي لاتعبتهما فرجعت العجوز
الى زوجها باربعة آلاف دينار واربعة آلاف شاة وجمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا ان لنا جارا صواما قواما يتمنى كل
واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنته من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا
فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها
فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم اولياء الله ففعل وفعلوا وكان ابو طالب [illegible]
وقال له رجل [illegible] ان ابا طالب [illegible] فقال [illegible] كذا [illegible] فعلت [illegible] لاعطينك [illegible] وكان ذلك [illegible]
وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال له والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى
اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفعت اليه عشرة آلاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس وكان معن بن زائدة
عاملا على العراق بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان
فعرفني فلما دخل الامير البستان كتب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة اخذها وقرأها
فاذا فيها مكتوب شعر ايا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي الى معن سواك شفيع قال من صاحب هذه فدعا بالرجل فقال له كيف قلت فقالها
فامر له بعشرة بدر فاخذها ووضع الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة الف
درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان يأخذ منه ما اعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن
حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه

فقال له عبد الله اكتب حاجتك في رقعة ... فكتبت اتخذت اجتمعت على ... فأخذ عبد الله بيده
ودفع ... الى ... ثم دعا له بالف دينار فدفعها اليه ... فلم يستنفق ... فما اكثر العرب ... الا قبر بعض ... تزاره
فنزلوا عند قبره ... ومن بعد بعيد فأتوا عند قبره فرأوا منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له ... بما له العير ... حلف
الميت ... فلما ... قال له الرجل العير ... في النوم ... فلما ... منها ... العقد ... الرجل العير ... في النوم ...
الرجل ... فلما اصبح القوم ... فقام ... فنحره ... ثم ... وقال ... اليوم ... في الطريق
استقبلهم ... يقول ... فلان بن فلان ... ذلك الرجل فقال انا ... بعث ... فلان شيئا وذكر ... صاحب القبر
... بعث ... بعير ... في النوم وذكر القصة فقال ... ثم قال ... في النوم وهو يقول ان كنت ... فادفع ... بعيرا
... وقدم رجل من قريش من سفر فمر برجل من الاعراب ... على قارعة الطريق قد اقعده الدهر ... فقال ... الدهر
فقال ... النفقة ... ثم ... من ... فلم يقدر من الضعف ...
الرجل ... لعلك ... اعطيتك ... الارض ... عبد الله بن عامر بن ...
عقبة بن ابي معيط داره ... بالسوق ... الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء ... فقال ... لو لم يكون
لداره ... قال ... فقال ... اعطوا ... ابن ... وقيل اتهم ... هارون الرشيد ... الليث ... دينار فبلغ ذلك الليث
... الف دينار ... وقال ... امير المؤمنين ... الف
من ... استحيت ... شيئا ... في كل يوم ... الف دينار ... الليث
شيئا من عسل فامر لها بزق ... فقيل له انها كانت تقنع باقل من هذا فقال انها سألت على قدرها ونعطيها على قدر النعمة علينا وكان
الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندي وكان خيثمة بن عبد الرحمن
يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها ... فاذا خرج قال
خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار ... ولم تبرأ وقيل ... قيس بن سعد بن عبادة ...
اخوانه فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس حق
فهو منه في حل ... فكسرت ... من عيادة ... ابو سعيد ... فقال سمعت ...
... يقول ... الشيء ... وقد ... ثم ... القدم
... فلم ... الدرهم ... الاخر ... دورت ... وكلفت
... يقول ... ابن ... قال ...
... ثم ... قبل ... فقلت ... في الجواب ...
... الا ... ان ... الذي ... دينار ... الرجل ... الغد ... الكتب

وقص القصة فقالوا لو ما نزل حضروا الموضع واخرجوا الدنانير فجاء بها ... ثم ... فقال ما لكم ... فقالوا ...
... الحجارة ... الدنانير ... صاحب ... وذكر القصة ... دينار ... النصف
... النصف ... تقتحم ... الا ... الرجل ... الباب فقال
... فقال ... انما ... الغد ... الا ما كنت ...

بيان ذم البخل

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم
بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم
والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي
رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما
فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو
يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من
الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش المتفحش و
اياكم والشح فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع
وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية وقالت واشهيداه فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه شهيد فلعله كان
يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم
الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف فقال اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم
ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا وقال عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا احق به منهم فقال انهم خيروني بين ان يسألوني بالفحش
او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب
فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا فقال صلى الله عليه وسلم لكن فلان اعطيته ما بين عشرة
الى مائة فلم يقل ذلك ان احدكم ليسألني فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار فقال يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل وقال ابن
عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخا
في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان
في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر
والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح

وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنبخله فقال صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول احب الى الله من العابد البخيل وقال ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال ايضا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو اعظم من ان اصفه لك فقال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون فقال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل لياتيني يسالني فكانما يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الفي الف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون

الآثار قال ابن عباس لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا اسكنك بخيلا وقالت ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز اف للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه انا لنجد باموالنا ما يجد البخلاء ولكننا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي كرم الله وجهه في خطبته انه سياتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى ياخذه ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في نار جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفا وعجل لمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى السائل ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة رحمه الله لا ارى ان اعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة وقال علي كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط حقه قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم انك اذا لبخيل ومدحت امراة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المؤمن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك

حكايات البخلاء قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه

وقدم

وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منه فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض الموت ولا ذلك وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم قال اقرا فقرا والزيتون وطور سينين فقال الرجل فاين التين قال التين تحت كسائك ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه شيئا فحبسه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عن مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قيل فما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقال سوءتك بدت وانت خاص به وثوبك مخرق قال انا والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوءا ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليهم السلام يطلبون منه ابرة ويسالونه اعارتهم اياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل ويقال كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله فقيل له نراك لا تاكل الا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الراس اعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك وآكل منه الوانا عينه لونا واذنه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فسال سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسالة فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش وقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

بيان الايثار وفضله اعلم ان السخاء والبخل كل منهما ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو الانسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذاك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى اهله ثم وضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالى والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم

وقال سهل بن عبد الله [illegible]

[illegible]

بيان [illegible]

[illegible]

لا يحسن المضايقة فيه معه هتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الآخرة فإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فإنه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لغرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فإن كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعواض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت ما السخاء عندكم فقالوا العطاء والبذل والإيثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سخية بها أنفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك أجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لأن الله وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه قالوا فما السخاء عندك قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشيء إن هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات أتحسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل ففي ماذا قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء في الدين أن تسمح بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما هو أحسن لك

بيان علاج البخل

اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سببان أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة مجهلة فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة السبب الثاني أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده و

لقدرته

لقدرته عليها فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال شخص عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فإن الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الموصل إلى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل إلا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شر وأن ولده إن كان تقيا صالحا فالله كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته عليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال وأنه لماذا خلق ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فإن تحركت الشهوة فينبغي أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف فإن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه حكي أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لو رماه في الماء كان أولى به من إمساكه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بالعلاج ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فإن كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فإنه يقلع من علة ويزيد في أخرى مثلها إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فإن كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فإن ذلك يدل على أن علة البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع إلى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان يتقاتلان إلى أن يغلب أحدهما الآخر فيأكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى جائعا وحده إلى أن يموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن تسليط بعضها على بعض حتى يقمع الأضعف بالأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة ثم تقع العناية بمحوها وإذابتها بالمجاهدة وهو منع

الفوت منها ومنع الفوت من الصفات [illegible] فانه يقتضي [illegible] الصفات [illegible] البخل

فانه يقتضي [illegible] [illegible] صفة البخل وصفة البذل [illegible] ويسقط [illegible]

البخل العلم [illegible] العلم [illegible] البذل [illegible] [illegible]

[illegible] الحرص [illegible] العلاج [illegible] الموت

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الدنيا [illegible] [illegible]

[illegible] الدنيا [illegible] السبيل [illegible] الدنيا [illegible]

[illegible] مصيبة [illegible] مصيبة [illegible] مصيبة

[illegible] [illegible] [illegible]

مصيبة [illegible] مصيبة [illegible]

من المصيبة [illegible] مصيبة [illegible] اسباب الدنيا فان الدنيا [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

فان المال لا يحفظ الا [illegible] [illegible]

آفات المال [illegible] [illegible]

[illegible] **بيان** [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] **الاول** ان يعرف [illegible] [illegible]

فوق [illegible] **الثاني** ان [illegible] [illegible]

[illegible] **الثالث** في مقدار [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

حد الضرورة [illegible] الدرجات في كتاب [illegible]

الرابع ان [illegible] الانفاق [illegible]

[illegible] **الخامس** ان [illegible] الانفاق [illegible] العبادة [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] [illegible] العبادة [illegible]

لا لاجل العقبى [illegible]

عن العبادة الا [illegible] ان [illegible] العبادة [illegible]

[illegible] الدنيا [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] الصحابة [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] **بيان** [illegible] الفقر [illegible]

[illegible] الفقر [illegible] كتاب الفقر والزهد [illegible]

[illegible] الفقر [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الدنيا [illegible] الآخرة [illegible] الدنيا [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] الدنيا [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الدنيا [illegible] الآخرة [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الدنيا والآخرة [illegible]

[illegible] الشيطان [illegible] [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

وأصحابك بجمع المال ليستتر بهم الجهال إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومن زعم أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد أزرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعم أنه لم ينصح للأمة
إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة
ناصحاً وعليهم مشفقاً وبهم رؤوفاً ولئن زعمت أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت عليم بما في المال من
الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين
لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا
إلا قوتاً ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً
وأنفق طيباً وترك طيباً فبلغ ذلك أبا ذر رضي الله عنه فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بلحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج
هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر رضي الله عنه يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هارباً مجلس
من أبي ذر فقال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً نحو أحد وأنا معه فقال يا أبا ذر فقلت
لبيك يا رسول الله فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله
بأبي أنت وأمي قال ما يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين قال بل قيراطين ثم قال يا أبا ذر أنت تريد الأكثر
وأنا أريد الأقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه
خوفاً حتى خرج ويحك فالعجب كل العجب لك تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وتتقلب في الشهوات
والزينة والمباهاة وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بالصحابة لعمري لقد كانت لبعض الصحابة أموال أرادوا بها التعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا
حلالاً وأنفقوا طيباً وقدموا فضلاً ولم يمنعوا منها حقاً ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على
أنفسهم كثيراً فبالله أكذلك أنت والله إنك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فإن أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله في
أرزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله
متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا إلا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا
مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها فبالله أكذلك أنت ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله
وإذا رأوا الفقر مقبلاً قالوا مرحباً بشعار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كئيباً حزيناً وإذا لم يكن عندهم شيء
أصبح فرحاً مسروراً فقيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت لست كذلك فقال إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء
فرحت إذ كان لي برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد صلى الله عليه وسلم أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم
سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا فقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا
الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله أكذلك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك أحوالك
أيها المفتون ضد أحوالهم وذلك أنك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء

ولا ترضى

ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك
سوء الظن بالله تعالى وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثماً وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجيئن يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا واستمتعتم بها وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة
في الدنيا وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أو للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت
التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله وأنت تكره لقاء الله والله للقائك أكره وأنت
في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة شهر
وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحياناً لتوفير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك
سروراً بها وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب
على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك بالدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تعنى بأمور دنياك
أضعاف ما تعنى بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك
أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين مساخطاً لله
كيما تكرم وتعظم ويحك فكأن احتقار الله لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك وعساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث
باطلاع الله عليك فيها فكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس وكأن العبيد أعلى عندك قدراً من الله تعالى عن جهلك فكيف
تنطق عند ذوي الألباب وهذه المثالب فيك أف لك متلوثاً بالأقذار وتحتج بمال الأبرار هيهات هيهات ما أبعدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغني
أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم إن الذي لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاماً
منكم لكبائر المعاصي فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك
على مثل إفطارهم وليت اجتهادك في العبادة مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال
غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من
التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق أمثالكم في السفالة أو يعفو الله الكريم بفضله وبعد فإنك إن زعمت أنك متأس
بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال
كما احتاطوا لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام أفتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط
لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة
بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام أيها المغرور أما علمت أن خوفك من اقتحام
الحرام أعظم وأفضل لقدرك من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهماً [illegible]

حلالا اجزاك ما لم تتصدق بالف دينار من شبهة لا تورث التحلل الا ان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات فان لم تجمع المال
من غير حلال فالبذل في سبيل الله ولكنك زعمت انك لا تزهد الورع فلا تخرج من [illegible] خيار الصحابة خافوا المسألة فقد بلغنا ان بعض
الصحابة قال [illegible] الكسب للقوم الغرباء من حلال والفقه في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة لما احببت ذلك قال
لا اعرف [illegible] التقية فيقول [illegible] اشد الفقه فهو لا يتقون [illegible] الاسلام والحلال موجود لديهم ركوا المال وجلا
من [illegible] لا يعلم خير المال [illegible] دارت لما بعده الاية والحلال في دهرك منقود [illegible] الا [illegible] زعم انك تجمع المال من حلال في
دهرك فكان الحلال مفقودا بعد ظهور كان الحلال موجودا [illegible] تخاف [illegible] عند [illegible] قد بلغنا ان بعض الصحابة كان [illegible] الحلال
فنزكى [illegible] قلبه انقطع من [illegible] القوى في قلوب الصحابة فلا [illegible] من [illegible] في امر [illegible] ان [illegible] ظننت [illegible]
الظن [illegible] الامارة [illegible] لعلك [illegible] الكسب تقنع البلغة والعيش [illegible] تجمع [illegible] الا [illegible] فانه قد بلغنا ان رسول
الله صلى الله عليه وآله قال [illegible] صلى الله عليه وآله [illegible] الحرام والفقه في حلال [illegible]
به [illegible] النار [illegible] الحلال الفقه في حلال [illegible] في طلب [illegible] فرضت عليك من صلوة لم تصلها او
ادى [illegible] وجودها [illegible] من حلال الفقه منه في حلال [illegible] شيئا مما فرض عليك
لعلك احتقت في [illegible] المال [illegible] فيقول [illegible] احتمل لم [illegible] فيقال لك [illegible] حق [illegible]
ان يعطيه من [illegible] المساكين ان السبيل [illegible] في حلال الفقه [illegible] شيئا مما فرضه [illegible] ولم
تحتمل ام [illegible] ان [illegible] فيقولون [illegible] وجعلته [illegible] وامرته
ان يعطينا فان كان [illegible] مع ذلك [illegible] الفرائض لم [illegible] الان [illegible] عليك من الكلام او
شربة او لقمة او لذة [illegible] الحلال [illegible] الحقوق [illegible]
[illegible] لهذه المحاسبة [illegible] الدنيا [illegible] شهواتها وزينتها ويحك
لاجل هذه المسائل [illegible] المتقون ان يتلبسوا الدنيا فرضوا الكفاف منها [illegible] الاخيار
[illegible] فان [illegible] الورع والتقوى [illegible] حلال [illegible] في سبيل الله ولم تنفق شيئا من حلال
[illegible] الله [illegible] فقد [illegible] البلغة
[illegible] السؤال [illegible] المصطفى صلى الله عليه وآله [illegible] سلامة
[illegible] ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال [illegible] يوم القيامة [illegible]
[illegible] المسلمين [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] المتقون [illegible] الفقه
عن المصطفى صلى الله عليه وآله [illegible] الاغنياء [illegible] عليك [illegible]
[illegible] المال [illegible]

العقب

العقب [illegible] والله [illegible] العلماء [illegible] للدين [illegible] الجنة [illegible] الثواب [illegible]
[illegible] في [illegible] الفضل [illegible] المال
[illegible] في سبيل الله [illegible] السلامة [illegible] ان [illegible] المال
فضل عظيم [illegible] الاخلاق [illegible] صلى الله عليه وآله [illegible] الدنيا [illegible]
من السعادة [illegible] الدنيا [illegible] المصطفى [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]
في [illegible] ولم [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا [illegible] المال
[illegible] الفقر [illegible] الفضل [illegible] الفقر [illegible]
[illegible] المال [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible] الفضل في [illegible] الفضول [illegible] المال [illegible]
الفضل [illegible] الله [illegible] في [illegible]
فضل الفقر على الغنى [illegible] الدنيا [illegible] الفقر [illegible]
[illegible] ثعلبة بن حاطب [illegible] رسول الله [illegible] ان يرزقني مالا [illegible] ثعلبة [illegible]
يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا [illegible]
[illegible] قال [illegible] الحق [illegible] ان يرزقني مالا [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم
اللهم ارزق ثعلبة مالا [illegible] المدينة [illegible]
[illegible] الصلوة [illegible] الجمعة [illegible]
[illegible] الاخبار [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] ثعلبة [illegible] رسول الله [illegible] المدينة [illegible]
[illegible] ويح ثعلبة [illegible] قال [illegible] الله تعالى [illegible] اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم [illegible]
الصدقة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] الصدقة [illegible] الصدقة [illegible]
الصدقة [illegible] المسلمين [illegible] ثعلبة [illegible] ثعلبة [illegible] الصدقة [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] الجزية [illegible] فانطلقا [illegible]
[illegible] الصدقة [illegible]
[illegible] الصدقة [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] ثعلبة [illegible] المسلمين [illegible]

والذي سبح السبع فاذا زال في تعلقه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وآله رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل
الله فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله ان يقبل منه صدقته فقال
ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبض منه شيئا رجع
الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اتى الى ابي بكر فابى ان يقبلها منه ثم جاء الى عمر فابى ان يقبلها ثم توفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان وفي هذا العيان الذي رايتم
وقد عرفتم حديث الاخبار بلا اجر كل فقير وانتم بالغنى ان رسول الله صلى الله عليه وآله الفقر فخري وبه افتخر وروي عن الحسن بن علي عليهما السلام انه قال لعن الله رسول
صلى الله عليه وآله منزل ارجائه فقالت فاطمة عليها السلام اين ابي قال في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فتبعت فلم يلبث ان جاء
وقد رايت اقام بباب فاطمة عليها السلام فقرع الباب فقال السلام عليكم فقالت فاطمة عليها السلام وعليك السلام يا رسول الله ادخل فقال ارسل
يا رسول الله قالت يا ابي ليس علي شيء الا عباءة قال خذي فصلها على راسك ففعلت ثم دخل وقد اخذ بيده فقال لها يا بنية كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة
فالقي اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقالت يا رسول الله اشتكي ثم ادنى فقال السلام عليك يا بنية كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة
وزادني وجعا انه لا اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لا تجزعي يا بنية فوالله ما ذقت طعاما
منذ ثلث واني لاكرم على الله منك ولو سألت ربي لاطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبيها وقال ابشري فوالله
انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها
وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال اقنعي بابن عمك فوالله لقد
زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة فانظر الآن الى حال فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله كيف آثرت الفقر وتركت
الدنيا وراثات احوال الانبياء عليهم السلام واقوالهم بما ورد من اخبارهم وآثارهم ثم بشك فان نعمة المال انما تحصل بوجوده وصرفه الى
الخيرات اذا انفق في وجوه الحقوق والمنفعة من الشبهات والصرف الى الخيرات تستغرق العمر والاشتغال بالفقر امر عن ذكر الله اذا ذكر الله مع
الفراغ ولا فراغ مع شغل المال ولذلك روي عن جرير بن عبد الله قال صحب رجل عيسى بن مريم صلوات الله عليه فقال اكون معك واصحبك فانطلق
حتى انتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف
فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادري فانطلق ومعه صاحبه فراى ظبية ومعها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكلا
وذلك الرجل معه ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسألك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف فقال لا ادري ثم انتهيا الى
وادي ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال اسألك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لا ادري فانتهيا الى مفازة
فجلسا فاخذ عيسى صلوات الله عليه يجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة اثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن
اخذ الرغيف قال انا اخذت الرغيف فقال فكله لك ففارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال
هو بيننا اثلاثا فابعثوا احدكم الى القرية يشتري طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شيء اقاسم هؤلاء هذا المال لكني اضع في هذا

الطعام سما فاقتلهما قال ففعل وقال الآخران لاي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام
فماتا فبقي ذلك المال في المفازة واولئك الثلاثة قتلى عنده فمر بهم عيسى صلوات الله عليه فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها وحكي ان
ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس بايديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا
عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال ما
لي اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتني فقال ذو القرنين صدق فاقبل اليه ذو القرنين وقال له ارسلت اليك لتأتيني فابيت فها انا ذا قد جئت فقال لو كانت لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين
ما لي اراكم على حالة لم ار احدا من الامم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا انما كرهناهما لان
احدا لم يعط منهما شيئا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا
اذا نظرنا اليها وامّلنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها
واستمتعتم بها قالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن آدم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك
من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا
قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما راى الله ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى
وقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملّكه الله بعده قد كان
يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في
آخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك
اخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس
كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء
قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه حكايات تدل على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل والله الموفق والمرشد والمعين
ولا معبود سواه هذا آخر كتاب تنبيه الغافل من قبائح المهلكات من كتاب المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله
اولا وآخرا وظاهرا وباطنا

كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن بسم الله الرحمن الرحيم من ربع المهلكات من الجزء الثالث من احياء

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا فانه المتفرد بالملكوت والملك فهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلاة على محمد وآله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية التي تعجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى بها العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشقات العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي من اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حياته بالله وبعبادته المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة ويرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين

الشطر الاول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس في المدح والذم فهي اثنا عشر فصلا منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها والله الموفق بكرمه

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت اعلم اصلحك الله ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلا لا بأس به اذ روي هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا رأوك اشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا وانما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب

والله

والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام ورأى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش النار وقال سليم بن حنظلة بينما نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه ناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المؤمن وروي ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني فقال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسأل ولا تسأل فافعل وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار الناهق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل متكبر جواظ وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم يسأله دينارا لم يعطه اياه ولو سأله درهما لم يعطه اياه ولو سأله فلسا لم يعطه اياه ولو سأل الله الجنة لاعطاه اياها ولو سأله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه الا لهوانها عليه وروي ان عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الساعة الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام وامطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم وسكن وتبع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله انت انت وتسألني ان اخصك بدعوة ثم قال ما الذي بلغك ما رأيت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسألت الله فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان اغبط اوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر احب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى المسيح عليه السلام وقال الفضيل بن عياض بلغني ان الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني عند نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك فهذه الاخبار والآثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد فان قلت فاي شهرة تزيد

على شهرة الأنبياء وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم أن المذموم طلب الشهرة وأما وجودها من جهة الله تعالى من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء وهم كالغريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الغرقى فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فإنهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوي فالأولى أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليهم

بيان ذم الجاه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا جمع بين إرادة العلو والفساد ثم بين أن الدار الآخرة للخالي عن الإرادتين جميعا وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه فإنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها وقال صلى الله عليه وآله حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأسرع إفسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء

اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن عبد الله بن مسكان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك وأهلك وعنه عليه السلام قال ملعون من ترأس ملعون من هم بها ملعون من حدث بها نفسه وعنه عليه السلام من أراد الرئاسة هلك وعن أبي الربيع الشامي عن أبي جعفر عليه السلام قال قال لي ويحك يا أبا الربيع لا تطلبن الرئاسة ولا تكن ذنبا ولا تأكل بنا الناس فيفقرك الله ولا تقل فينا ما لا نقول في أنفسنا فإنك موقوف ومسؤول لا محالة فإن كنت صادقا صدقناك وإن كنت كاذبا كذبناك وعن محمد بن مسلم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول أترى لا أعرف خياركم من شراركم بلى والله وإن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه إنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأي وفي الصحيح عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن عليه السلام أنه ذكر رجلا فقال إنه يحب الرئاسة فقال ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤها بأضر في دين المسلم من الرئاسة

بيان معنى الجاه وحقيقته اعلم أن المال والجاه هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الأعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما أن الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير أي يقدر عليهما ليتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس أي يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه وكما أنه يكتسب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة الاعتقاد وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي أن يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده وذلك لأن انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلب تابعة لاعتقادات القلب وعلومه وتخيلاته وكما أن محب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي أن تكون له الأحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فإذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والإطراء فإن المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والإعانة

فإنه لا يبخل بنفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبيد في أغراضه وكالإيثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يعتقده الناس كمالا فإن هذه الأوصاف كلها تعظم محله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه

بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة اعلم أن السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي أن يكون أحب من المال كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض في أعيانهما إذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وإنما هي والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الإنسان بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال ولملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه

الأول أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فإذا الجاه آلة ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب

الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي النهاب والغصاب وأثبت الأموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة بأنفسها والجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها نعم إنما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الأحوال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله

الثالث أن ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة لأن القلوب إذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصحت الألسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطار في الأقطار اقتنص القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه إلا بتعب ومقاساة والجاه أبدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولذلك إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحقرت الأموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فإن قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج إلى الملبس والمسكن والمطعم أو كالمبتلى بمرض أو بعقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاه فحبه للمال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الإنسان اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقاصي البلاد التي يعلم قطعا أنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليبروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فإنه يلتذ به غاية

الا للتداوي وحب ذلك ثابت في الطبع ولكن الظن ان ذلك حيلة في حب الحياة [illegible] في الدنيا ولا في الآخرة فيقول نعم هذا الجواب
لا ينفك عن القلوب [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

كان أقرب إلى الله تعالى **الثاني** من حيث تعلق العلم بالمعلوم ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فإن المعلومات منكشفة لله سبحانه تمام الكشف
على ما هي عليه ولذلك مهما كان علم العبد أوضح وأتقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب إلى الله تعالى **الثالث** من حيث بقاء
العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فإن علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير ويزول فلذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان أقرب
إلى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وأزليات أما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فإنه علم له معلوم ولكن متصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار
كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصورت أن ينقلب المعتقد فيه على خلاف ما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصا وعلمك
جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض وعدد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراسخ وسائر ما ذكره [illegible] وكذلك
العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأمم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال فليس فيها كمال إلا في الحال ولا يبقى
كمالا في القلب والقسم الثاني هي المعلومات الأزلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فإن هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل
الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له وما يستحيل في صفاته وما يجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وصفاته
وأفعاله وحكمته في ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت
وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا أي تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل إلى كشف ما لم ينكشف
في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فإنه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي [illegible] ومن ليس معه أصل السراج
لا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في ذلك النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج
من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فإذا السعادة الأبدية في معرفة الله تعالى وأما ما عدا ذلك من المعارف ففيها ما لا فائدة فيه أصلا كمعرفة الشعر وأنساب
العرب وغيرهما ومنها ما له منفعة في الإعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار فإن معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن
ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله تعالى
كما قال الله عز وجل قد أفلح من زكاها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال
في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إذ الموجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى
ومن حيث ارتباطها بالقدرة والإرادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وإن لم يكن لائقا بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه
لاستيفاء أقسام الكمال وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من
الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بإحداث الله تعالى كما قررنا في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه
بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى وأما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة
يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للإدراك فإن هذه القوى آلة للوصول به إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى
المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك إلى قدر معلوم فإن لم يستعمله للوصول به إلى معرفة الله تعالى فلا خير فيه البتة إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا
فقد جهل فالخلق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فإنهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال

[illegible]

فلما

فلما اعتقدوا ذلك كمالا أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن
ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر
تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فإن رفع آثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من صفة الملائكة
ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته
عند الله تعالى أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورده في أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم ونقصان فإن
التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كانت موجودة والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فإذن الكمالات ثلاثة إن
عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية وأعني به عدم العبودية للشهوات وإرادات الأسباب الدنيوية
وكمال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد الموت إذ قدرته على الأموال
وعلى استسخار القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف
انقلب الجاهلون وانكبوا انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالمال والجاه وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فلا بقاء له
وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا فالعلم والحرية
هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال إنما مثل الحياة الدنيا كماء
أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض الآية وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات
الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل إلا قدر البلغة
منهما إلى الكمال الحقيقي **بيان** ما يحمد من حب الجاه وما يذم مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض
من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق الله في الدنيا يمكن أن يتزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال
لضرورة المطعم والملبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والإنسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام والمال الذي يبتاع به الطعام
فكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يعينه وأستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه إلى
الخدمة ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المحل ما يحسن به
إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لأن يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فإن الجاه
وسيلة إلى الأغراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يفضي إلى أن لا يكون المال والجاه في أعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك منزلة
حب الإنسان أن يكون في داره بيت الماء لأنه يضطر إليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس بحب
لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل إليه وتدرك التفرقة بمثال وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه
يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء

فاقبلوا

ولا يذم به وقد يكون واجبا لانه حب الغنى فكذا الجاه والثالث ان يحب ذلك فهو مذموم منها ما هو من الوجهين فيهما الى الحصول الى الآفات البدن فهذا مذموم وحبهما كحب المال فيجاوز مقدار حاجة البدن وحاجته مذموم لكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى الاكتساب بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي. فان قلت طلب المنزلة في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيفما كان او يباح الى حد مخصوص على وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلاثة اوجه وجهان منها مباحان ووجه منها محظور اما المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس اما بالقول او بالمعاملة واما احد المباحين فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح فهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال

بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس وميل الطبع اليه وبغضها للذم ونفرتها منه اعلم ان لحب المدح والتلذذ به اربعة اسباب

الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا قد بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم او كمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وان صدر ممن يجازف في الكلام او لا يكون بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكره لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير كما ذكرناه في المدح

السبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح ملك للممدوح وانه مريد له

الوصف

ومعتقد فيه

ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدر يسير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفائت به اعظم

السبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس

السبب الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القدرة والقهر وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها اما العلة الاولى وهي استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وباقي اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بالذم وانما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب العلة

بيان علاج حب الجاه اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول او الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده وانما يحجب عن ذلك ايثار العاجلة على الآجلة بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حاله فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له

والفعل

براحة القلوب بحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء والاشتغال عن الغير والتعرض لنقمة في العاجل والآجل ولكن الغم حاصل بكدورة
لذة الجاه فلا عز في الدنيا إلا ويعقبه مرارة ما يحرمه فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي أن يعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته و
قوي إيمانه فلم يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم وأما من حيث العمل فإسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى
يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو منهاج الملامتية إذ اقتحموا
الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فإنه يوهن الدين في قلوب المسلمين
وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل ذلك بل له أن يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي أن بعض الملوك
قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما أو بقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر الملك إليه سقط من عينه وانصرف فقال الحمد لله
الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن أنه يشرب الخمر فيسقط من الأعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه
إلا أن أرباب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل
بعضهم فإنه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه
الثياب وقالوا إنه طرار وهجروه وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة إلى موضع الخمول فإن المعتزل في بيته في البلد الذي هو
به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن أنه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد
ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه فذموه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت إلى الاعتذار عن
ذلك وإماطة الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى الكذب والتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين أنه بعد محب للجاه والمنزلة ومن أحب الجاه
والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فإن فتنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فإذا أحرز قوته
من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس أصبح الناس كلهم عنده كالأراذل فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن كما لا يبالي بما في
قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى
لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وترك الطمع ويستعين على جميع ذلك بالأخبار قطع
الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة أو علة وينظر في أحوال السلف وإيثارهم الذل على العز ورغبتهم
في ثواب الآخرة **بيان** وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم اعلم أن أكثر الخلق إنما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم
كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء المدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب للمدح
المدح ويكره الذم أما السبب الأول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها
أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهي إما صفة تستحق بها الفرح كالعلم والورع وإما صفة لا تستحق الفرح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية
فإن كان من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول والنزر
أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا ... فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعروض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها بل

والمدح

والمدح ليس هو سبب وجودها وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الخاتمة غير معلومة وهذا إنما يقتضي الفرح
لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور
ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فإن اللذة في استشعار
الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت
بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه وما
أطيب الروائح التي تفوح منه إذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقذار والأنتان ثم يفرح بها فكذلك إذا أثنوا عليك
بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فإذا
المادح إن صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك وإن كذب فينبغي أن يغمك ذلك ولا تفرح به وأما السبب الثاني وهو دلالة
المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب المنزلة والجاه في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن
الناس وطلب المنزلة عند الله وبأن تعلم أن طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك بها يسقط منزلتك عند الله فكيف
تفرح بها وأما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بها بل
ينبغي أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفة
اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل في بطنه وقال بعضهم إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال بئس
الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وروي في بعض الأخبار فإن صح فهو قاصم للظهور أن رجلا أثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة
وقال عليه السلام ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به
وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض إليهم مدح الخلق لأن الممدوح بالحقيقة
هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الأشرار فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن
كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق ومهما علم أن الآجال والأرزاق بيد الله قل التفاته إلى مدح الخلق
وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه **بيان** علاج كراهة الذم قد سبق أن العلة في كراهة الذم هو ضد العلة
في حب المدح فعلاجه أيضا يفهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال إما أن يكون قد صدق وقصد النصح والشفقة وإما أن يكون صادقا
ولكن قصده الإيذاء والتعنت وإما أن يكون كاذبا فإن كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتقلد منته
فإن من أهدى إليك عيوبك فقد أرشدك إلى المهلك حتى تتقيه فينبغي أن تفرح به وتشتغل بإزالة الصفة المذمومة عن نفسك إن قدرت عليها فأما اغتمامك
بسببه وكراهتك له وذمك إياه فإنه غاية الجهل وإن كان قصده الإيذاء والتعنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا
أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبحه في عينك لينبعث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك

فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وعليك ثوب قد تلطخ بالعذرة وانت لا تدري ولو
دخلت عليه كذلك لخفت ان تحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك
بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان يغتنمه واما قصد العدو التعنت فجناية منه
على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت انت به وتضرر هو به الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما انت بريء عنه عند الله
فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واشباهه وما ستره الله من عيوبك
اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء عنه والثاني ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب
انت بريء منه وطهرك من ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر
وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله وانت تزعم انك تحب القرب من الله واما الثالث فهو ان المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله عز وجل
واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم
تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج رأسه بالمغفرة فقيل له
علمت اني مأجور بسببه وما نالني منه الا خير فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك
في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى
تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه وحب المدح وبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد
جدا **بيان** اختلاف احوال الناس في المدح والذم اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح **الحالة الاولى**
ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه او يحب مكافأته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية
في هذا الباب **الحالة الثانية** ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح
ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال **الحالة الثالثة** وهي اول درجات الكمال ان
يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان
لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح
فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري له
اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا تكون زلة المادح اخف
على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب
واكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام
والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف تستويهما وانما استثقالك للذام من الدين المحض
وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه

مرتكبه

لا يخ

لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجده بمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور
لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد ما هو من الشيطان انه لله فمن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات
النفوس فاكثر عباداته تعب ضائع يفوته بها الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا **الحالة الرابعة** وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين و
يحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقد قال صلى الله عليه وسلم راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض
الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ قال صلى الله عليه وسلم ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال
الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على
الذام والمادح ولا يظهر ذلك باللسان واما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة
الثانية فانها ايضا لا نفي بها لانا لا بد وان نتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجته ونتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر
ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا
الزمان فان وجد فهو الكبريت الاحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من الرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما في المدح
فهو ان من الناس من يتمنى المدح والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة
قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات لا بالعبادات ولا بمباشرة المحظورات
وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل
لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدح ولا يسعى لطلبه ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم
يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبلها وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور اليه بالتفكر في آفات
المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم ولم يؤثر فيه وهذا على خير
وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب
وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وفي قلبه حب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالعكس من هذا
تتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه
لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيسها الخبيث فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح اذا سمع ذم من يبغضه وهذا شخص يبغض نفسه فيفرح اذا
سمع ذمها ويشكر الذام عليه ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالغنيمة عنده فيصير بالمذمة اوضع في
اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم يتعب فيها فعساه يكون جبرا لعيوبه التي عجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول
عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له فيها شغل شاغل لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى
العقبات لا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل **الشطر الثاني** من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء

وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرائي به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء
وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح
من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزم قلبه قبل الطاعات وبعدها وهي عشرة فصول **بيان** ذم الرياء اعلم ان الرياء
حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهدت بذلك الآيات والاخبار اما الآيات فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون
ويمنعون الماعون وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا
نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يطلب الاجر بعباداته واعماله واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وآله حيث سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة
فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وفي حديث الشهيد المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص
ان الله يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ فاخبر رسول الله صلى الله عليه وآله انهم لم يثابوا
وان رياءهم هو الذي احبط اعمالهم وعنه صلى الله عليه وآله من راءى راءى الله به ومن سمّع سمّع الله به وفي حديث آخر طويل ان الله يقول للملائكة
ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وآله ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال
الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وآله
استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى من عمل لي عملا اشرك فيه
غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى صلوات الله عليه اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم
واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال صلى الله عليه وآله لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة فليخف
من رياء [illegible] وقال صلى الله عليه وآله ان اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا الرياء ودقائقه
وقال صلى الله عليه وآله ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين
ضعفا وقال صلى الله عليه وآله ان المرائي ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس
رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي فقلت ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراءون باعمالهم
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لما خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال
فخلق الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الماء باطفاء النار وامر الرياح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله
فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله لم اخلق شيئا هو اشد من قلب ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته
وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يا معاذ قلت لبيك بابي انت وامي قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك
عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السماوات والارض ثم خلق السماوات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها

عظما

عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى حين امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتمر فتزكيه وتكثره حتى تبلغ
به السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني
الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل
العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزون به الى السماء الخامسة
كأنه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل
بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة
وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه
بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد
وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
اضربوا جوارحه واقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في
المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة
وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السماوات حتى يقطعوا به الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله
قال فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا
وتقول السماوات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السماوات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان
كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم
ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر
ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى والناشطات نشطا اتدري ما هن
يا معاذ قلت ما هن بابي انت وامي يا رسول الله قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي يا رسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال
يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رأيت احدا اكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث [illegible]
اذا [illegible] **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام
قال قال الله تعالى انا خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله الا ما كان لي خالصا وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله سيأتي على الناس
زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه

ومن الغزوة فلا يستجيب لهم وعنه عليه السلام قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الملك ليصعد بعمل العبد مستبشرا به فإذا صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوه في سجين انه ليس إياي أراد به [illegible]

[illegible] قال [illegible] عليه السلام [illegible]

[illegible]

قال أبو هريرة [illegible]

[illegible]

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به [illegible]

[illegible]

الا ان طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات [illegible] الرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار [illegible]

[illegible]

الثاني [illegible]

[illegible]

الثالث [illegible]

[illegible]

تكلف

الرابع المراءاة بالعمل كمراءاة المصلي بطول القيام ومده وتطويل الركوع والسجود وإطراق الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين
واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج والصدقة وإطعام الطعام وبالإخبات في المشي عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام حتى إن المرائي
قد يسرع إلى حاجته فإذا اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفا من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار فإن غاب الرجل عاد إلى عجلته فإذا رآه
عاد إلى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه أنه من العباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استحيى من أن تخالف مشيته في الخلوة
مشيته بمرأى الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير ويظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فإنه صار في
خلوته أيضا مرائيا فإنه إنما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لخوف من الله وحياء منه وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين
وتقريب الخطا والأخذ بأطراف الذيل وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة **الخامس** المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف
أن يستزير عالما من العلماء ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه أو ملكا من الملوك أو عاملا
من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته
تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره من لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي
به المراءون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى إلى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل إلى قلة
جبل مدة مديدة وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف أنهم نسبوه إلى جريمة في ديره أو صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ذمته
بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فإنه لذيذ كما ذكرناه في أسبابه فإنه نوع
قدرة وكمال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يغتر به إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك
إطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده
فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين
الذين يراءون بالأسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء **فصل** فإن قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل فأقول
فيه تفصيل فإن الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب
منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورة فكذلك الجاه وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو
ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال إني حفيظ عليم وكما أن المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما أن كثير المال يلهي ويطغي
وينسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضا تملك القلوب الكثيرة حرام
إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم إلى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك
معاصي القلب واللسان وغيرها وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا جاه أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن بعده من علماء الدين ولكن انصراف الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند خروجه إلى
الناس مراءاة وهو ليس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أراد يوما أن يخرج على أصحابه فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم إن الله يحب من العبد أن يتزين
لإخوانه إذا خرج إليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لأنه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من
أعينهم لم يرغبوا في اتباعه وكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فإن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر وكان ذلك
قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه في أعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرا مباحا
إذ للإنسان أن يحترز من ألم المذمة ويطلب راحة الأنس بالإخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنسوا به فإذن المراءاة بما ليس من العبادات قد تكون
مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لا في معرض العبادة
والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مراءاة وليس بحرام وكذلك أمثاله أما العبادات كالصدقة والصلاة والحج والغزو فللمرائي فيه حالتان إحداهما
أنه لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر وهذا يبطل عبادته لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على إحباط عبادته حتى
نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لأنه خيل إليهم
أنه مخلص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك والتلبيس في أمر الدنيا أيضا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته
أثم لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة
إذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا إلى عبدي كيف يستهزئ بي ومثاله أن يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وهو في وقوفه إنما يلاحظ
جارية من جواري الملك أو غلاما من غلمانه فإن هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأي استحقار يزيد على أن
يقصد العبد بطاعة الله مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه
من الله إذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشرك الأصغر نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سيأتي بيانه في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء إلا أنه
يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فإنه إذا لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ولعمري لو قصد غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا إلا أن الرياء هو الكفر
الخفي لأن المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يسجد ويركع لهم فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه وإذا زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي
تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا أنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظمه عنده بإظهار نفسه في صورة المعظم لله فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا
وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه وأجله ومصالح حاله ومآله أكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك
عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم يستميل قلوبهم فلو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فإن العباد
كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة
بل يقول الأنبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يتوقعه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا
ينبغي أن يشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته وصلاته
فهو الشرك الذي يناقض الإخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الإخلاص ويدل على ما نقلناه من الآثار أنه لا أجر فيه أصلا **بيان** درجة الرياء

لم يأنسوا به

ملك

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه وأركانه ثلثة المرائى به والمرائى
لأجله ونفس قصد الرياء الركن الأول نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجرداً دون إرادة عبادة الله والثواب وإما أن يكون مع
إرادة الله والثواب فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العباد فيكون الدرجات أربعاً
الدرجة الأولى وهي أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلاً كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع
الناس فهذا جرد قصده إلى الرياء وهو الممقوت عند الله وكذا من يخرج الصدقة خوفاً من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها
فهذه من الدرجات العليا من الرياء الدرجة الثانية أن يكون له قصد الثواب أيضاً ولكن قصداً ضعيفاً بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله
ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت
والإثم الدرجة الثالثة أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خالياً عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت
الرغبة أو كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو أن يسلم رأساً برأس لا له ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب
وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص الدرجة الرابعة أن يكون اطلاع الناس مرجحاً ومقوياً لنشاطه ولو
لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على
مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح الركن الثاني
المرائى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها القسم الأول وهو الأغلظ الرياء بالأصول وهو على
ثلث درجات الدرجة الأولى الرياء بأصل الإيمان وهو أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون
بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الإسلام وهو الذي ذكره الله في كتابه في مواضع شتى كقوله إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك
لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون أي في دلالة قولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه
وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض الآية وقال تعالى وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وقال تعالى يراءون
الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في
زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطناً فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلاً إلى قول الملاحدة أو يعتقد طي بساط الشرع والأحكام ميلاً
إلى أهل الإباحة أو يعتقد كفراً أو بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد
من حال الكفار المجاهرين لأنهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر الدرجة الثانية الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا
أيضاً عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير ومثاله أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره بإخراج الزكوة خوفاً من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجها
أو يدخل وقت الصلوة وهو في جمع وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا
خوف المذمة لما يحضرها أو يصل رحمه أو يبر والديه لا عن رغبة في الثواب ولكن خوفاً من الناس أو يغزو أو يحج كذلك فهذا مراء معه أصل الإيمان بالله يعتقد
أنه لا معبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند الاطلاع فتكون منزلته عند الخلق أحب

بيان بعض

شمول

الشرع

اليه

إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه
بالمقت وإن كان غير منسلخ عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد الدرجة الثالثة أن لا يرائي بالإيمان ولا بالفرائض ولكنه يرائي بالنوافل
والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولإيثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة
في الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام عرفة وعاشوراء ونحو ذلك فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفاً من المذمة أو طلباً للمحمدة
ويعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضاً عظيم ولكنه دون ما قبله فإن الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضاً قد فعل ذلك
واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق عنده أعظم من عقاب الله وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقاباً على ترك النافلة لو تركها فهو على
الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات القسم الثاني الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهي أيضاً على ثلث
درجات الدرجة الأولى أن يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا
رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه أي أنه ليس يبالي باطلاع الله
عليه في الخلوة فإذا اطلع عليه آدمي أحسن الصلوة ومن جلس بين يدي إنسان متربعاً أو متكئاً فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك تقديماً للغلام على
السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملأ دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد إخراج الزكوة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء
فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفاً من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لأجل الخلق لا إكمالاً لعبادة الصوم فهذا أيضاً من الرياء
المحظور لأن فيه تقديماً للمخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول العبادات فإن قال المرائي إنما فعلت ذلك لأصون ألسنتهم عن الغيبة فإنهم
إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغيبة فإنما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عليك
وتلبيس وليس الأمر كذلك فإن ضررك بنقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك
أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدي وصيفة إلى ملك لينال منه فضلاً وولاية يتقلدها فيهديها إليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان الملك وحده
وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفاً من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراقب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر نعم للمرائي فيه حالتان إحداهما أن يطلب
بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعاً والثانية أن يقول ليس يحضرني الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلوتي عند الله
ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم فأستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثواباً فهو خير من أن أترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب
وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فإن لم تحضره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة وليس له أن يدفع الذم
بالمراءاة بطاعة الله فإن ذلك استهزاء كما سبق الدرجة الثانية أن يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة
لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة إلى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة
على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الأجود على الجيد في الزكوة وإعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك
مما لو خلا الإنسان بنفسه لكان لا يقدم عليه الدرجة الثالثة أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضاً كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأول
وتوجهه إلى يمين الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي أين وقف ومتى يحرم بالصلوة فهذه درجات الرياء

المطوعات

ما لا يضاف الى ما يراد به [illegible] **الركن الثالث** [illegible]

[illegible] **الدرجة الاولى** [illegible]

[illegible] الشبهات [illegible] والاوقاف [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في مجالس العلم

[illegible] القرآن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الدرجة الثانية [illegible]

[illegible]

[illegible]

الدرجة الثالثة [illegible]

[illegible]

ولم يزل [illegible]

[illegible]

[illegible] **بيان** [illegible]

[illegible]

عندهم أن تعلق الحاجة [illegible] في العبادة [illegible] أرباب القلوب [illegible]
[illegible] فإذا [illegible] أنه [illegible] قد [illegible] العبادة [illegible] فإنه
لا [illegible] البهائم [illegible] البهائم [illegible] أو [illegible] فإن العاقل [illegible] الله [illegible]
العباد [illegible] وعلم أن الخلق لا يقدرون لهم على رزق وأجل وزيادة ونقصان [illegible] البهائم [illegible]
فإذا لم يجد ذلك [illegible] فإن قلت فما أرى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعاته
فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول أولا السرور ينقسم إلى محمود وإلى مذموم فالمحمود أربعة أقسام **الأول** أن يكون قصده إخفاء الطاعة و
الإخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظره إليه وألطافه به فإنه يستر الطاعة
والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم
وقد قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكأنه ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به **الثاني** أن يستدل بإظهار الله الجميل وستره
القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل به في الآخرة إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما ستر الله على عبد ذنبا في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة فيكون الأول فرحا
بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات إلى المستقبل **الثالث** أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف
بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخرا وأجر السر بما قصده أولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء
وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فإن ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة **الرابع** أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم
لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحسده أو يذمه ويهزأ به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه
فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم إياه وأما المذموم فهو [illegible] أن يكون فرحه لقيام منزلته
في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقضوا حوائجه ويقابلوه بالإكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه **بيان** ما يحبط العمل من الرياء الخفي
والجلي وما لا يحبط فنقول إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن ورد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فإن
ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم على نعت الإخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو أن
لا ينعطف عليه أثره لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يتمن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره بإظهار الله ولم يكن منه إلا ما
دخل من السرور والارتياح على قلبه **أقول** ويدل على هذا ما رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام [illegible] الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسره
ذلك قال لا بأس ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر الله له في الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك [illegible]
[illegible] العمل [illegible]
على الإخلاص [illegible] ظهرت له بعده [illegible] فتحدث به وأظهره فهذا مخوف وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط فقد
[illegible] سمع رجلا يقول قرأت البارحة سورة البقرة فقال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله
فقال له ما صمت ولا أفطرت فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله

[illegible]

ويحتمل أن يكون [illegible] العبادة لم يكن [illegible] عقد الرياء وقصده لكن [illegible] إذ يبعد أن يكون [illegible] العمل مبطلا للثواب بل
الأقيس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ فإن ذلك يبطل [illegible] وأما إذا ورد
وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الإخلاص [illegible] في أثنائها وارد الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن
يكون رياء باعثا على العمل فإن كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط أجره ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة أو حضر ملك من الملوك وهو يشتهي
أن ينظر إليه أو يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط أجره وعليه الإعادة إن كان في
فريضة وقد قال صلى الله عليه وآله العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله [illegible] حبط [illegible]
الصلاة [illegible] فإن كل جزء منها [illegible] الصلاة [illegible]
وأما [illegible] الرياء [illegible] الثواب [illegible] الصلاة [illegible]
[illegible] العبادة [illegible] الثواب [illegible]
[illegible] العبادة [illegible] الإحرام [illegible]
أن [illegible] العبادة [illegible] العقد [illegible] الثواب [illegible]
[illegible] العمل [illegible]
الإتمام **أقول** وقد سلف [illegible] الأخبار التي وردت في الرياء [illegible]
وأما ما ورد [illegible] الرياء [illegible] الثواب [illegible] الصدقة [illegible]
وسائر الأعمال [illegible] الصلاة [illegible] الواجب [illegible]
والعلم عند الله [illegible] قد ذكرنا ذلك في كتاب الإخلاص [illegible] فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعده
القسم الثالث الذي يقارن حال العقد بأن يبتدئ الصلاة على قصد الرياء فإن استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يقضي ولا يعتد بصلاته وإن ندم عليه في أثناء ذلك
واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه إعادة الأفعال كالركوع
والسجود وتفسد أفعاله دون تحريمة الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه إعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه
ويتم العبادة على الإخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالإخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة
فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال
بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا قول من قال يلزمه إعادة الركوع
والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالا زائدة في الصلاة فتبطل الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالإخلاص صح نظرا إلى
الآخر فهو أيضا ضعيف لأن الرياء يقدح في النية وأولى الأحوال بمراعاة أحكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثه
مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الأمر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة

بالإضافة

وكان بحيث لو كان قد انفرد لخرج ان يصلي لاجل الناس وحده صلوة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث
ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس لكان يصلي ايضا الا انه ظهرت له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه
فيه تحليل وتحريم او في عقد صلوة او حج او صوم فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الاخر وان كان في صلوة تقبل الفساد بتطرق خلل
الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كانت نفلا فحكمها ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان وان كان
في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد منهما لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا
في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلوة تطوعا لاجل الرياء
فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلوة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث
مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة في الدار المغصوبة
فانه مطيع باصل الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمالات في تعارض البواعث في اصل الصلوة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا
دون اصل الصلوة مثل من بادر الى الصلوة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلوة لاجل الرياء
فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلوة من حيث انها صلوة لم يعارضها غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد
من القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره حيث يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلوة
فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسئلة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيه وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه
ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو
الاقصد فيما نراه والعلم عند الله عز وجل فيه **بيان** دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه قد عرفت مما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله
وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية البشعة وهذه
مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه
حب التصنع بالضرورة ويترسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكون ذلك مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا
بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف اخرا وفي علاجه مقامان احدهما قطع
عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال **المقام الاول** في قطع عروقه واستئصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه
واذا فصل رجع الى ثلثة اصول وهي حب لذة المحمدة والفرار من الم الذم والطمع فيما في ايدي الناس ويشهد لذلك ان هذه هي الاسباب الباعثة للمرائي ما روي
ابو موسى ان اعرابيا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال والرجل
يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل ليذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل
لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل

للملك

للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى فهذا لا يحمله على الرياء وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن
يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان
لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات
معدودة كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على ان يصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو
محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو جاهل به كل ذلك حذرا من الم الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك المرائي الى
الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الان ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع
ولذيذ اما في الحال واما في المال فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المال سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما
اعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيه من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من
التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس الخلائق يا فاجر يا غادر
يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله
وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك
من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الاخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد
ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة
لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كانت مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد
حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية
لا تدرك وكل ما يرضي به فريقا يسخط به فريقا ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في
مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع فيما في ايديهم فبان يعلم ان الله هو
المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل
عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر
منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا
عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا فاذا قرر
في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه
من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء وممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله
لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بالمدح والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين
وان ذمي شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله

لتعرض لسخط الله

وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وإن ذمك الناس فأنت عند الله محمود ومن زمرة المقربين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة
عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة
قلوب الخلق وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات ما يزيد به أنسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا
واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الإخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الأول هي الأدوية العلمية القالعة
مغارس الرياء وأما الدواء العملي فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله
واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به وقد روي أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال أظهرت ما كان سبيلك
أن تخفيه لا تجالسنا بعد هذا ولم يرخص في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الإخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة
وإذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين إن تك حسنة يضاعفها ويؤت
من لدنه أجرا عظيما **المقام الثاني** في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أيضا فإن من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه
بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه عن أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء
ولا تنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يعرض له من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كأنها خاطر
الواحد وقد تترادف على التدريج فالأول العلم باطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه
قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وإنما كمال القوة
في دفع الخاطر الأول ورده قبل أن يتلوه الثاني فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال ما لك وللخلق علموا أو
لم يعلموا والله عالم بحالك فأي فائدة في علم غيره فإن هاجت الرغبة إلى لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله
في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء أيضا تثير كراهة له تقابل
تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإباء والنفس تطاوع لا محالة أقواهما وأغلبهما
فإذا لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور المعرفة والكراهة والإباء وقد يشرع في العبادة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة
والكراهة التي كان انطوى عليها الضمير وإنما ذلك لامتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره
فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته إذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم وهو
كالذي عرف فضيلة الحلم وذم الغضب وعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم جرى من الأسباب ما يشتد به غضبه فنسي سابق عزمه وامتلأ قلبه
غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغله عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب وإليه أشار ~~[illegible]~~
جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت فأنسيناها يوم حنين حتى نودي يا أصحاب
الشجرة فرجعوا وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكرت وأكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون

اذ تنسى

إذ تنسى معرفة المضرة الداخلة في مقتضى الإيمان وإذا نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فإن الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم أن الخاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء وهو
معرض لسخط الله ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته وتغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذته الحاضرة ويسوف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة شهوته
وكم من عالم يتكلم بكلام لا يريد به إلا المراءاة وهو يعلم ذلك ولكنه مستمر عليه فتكون الحجة عليه أوكد إذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله
ولا تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوة الشهوة
وهذا أيضا لا ينتفع بكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرفه عن الفعل فإذا لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والإباء فالإباء ثمرة الكراهة
والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل في
آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوة فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حلاوة حب الجاه
والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغير القلب وتسلبه وتحول عنه من التفكر في الآخرة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم فإن قلت فمن صادف من نفسه العاقبة
كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وحبه له ومنازعته إياه إلا أنه كاره لحبه وميله إليه وغير مجيب إليه فهل يكون
في زمرة المرائين فاعلم أن الله لم يكلف العبد إلا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها
وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهته التي استفادها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به ويدل
على ذلك من الأخبار ما روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا إليه فقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوي بنا الريح في مكان
سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها فقال أوقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان
الوسوسة فلم يبق إلا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وإن كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن يندفع ضرر
الأصغر أولى وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة وقال أبو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك
فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فإذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالإباء والكراهة
والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للأسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الإيمان ومن آثار
العقل إلا أن للشيطان هاهنا مكيدة وهي أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان وطول رده ومجادلته حتى يسلبه
ثواب الإخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله تعالى وذلك نقصان في منزلته عند الله والمتخلصون
عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب **الأولى** أن يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه
وهو على التحقيق نقصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك **الثانية**
أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته **الثالثة** أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لأن ذلك وقفة وإن قلت بل يكون
قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمجادلة **الرابعة** أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده
عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الإخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان
وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يعود إليه وروي أن الفضيل بن غزوان قيل له إن فلانا يذكرك فقال لأغيظن من أمره قيل من أمره

ثم قال اللهم اغفر لي اذ حفظته ان الطمع اتقد فيه [illegible] الشيطان [illegible] العادة [illegible]

[illegible] الشيطان [illegible] العبد [illegible] فاذا رآه [illegible] الشيطان [illegible]

[illegible] العلم [illegible]

[illegible]

[illegible] الشيطان [illegible]

[illegible] القلب [illegible] الشيطان [illegible] ذكر الله [illegible]

[illegible] الشيطان [illegible] القدر [illegible]

[illegible] بالسر والسر من غير كلفة [illegible]

بيان الرخصة في اظهار الطاعات اعلم ان في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل

القسم الاول اظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ لترغيب الناس فيها كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من [illegible]

[illegible] من الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء [illegible]

[illegible]

وإنما الرغبة فيه للمخلص بشرط ألا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يكمل بالإسرار كالصدقة والصلاة فإن كان في إظهار الصدقة إيذاء للمتصدق عليه وترغيب للناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام فإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله تعالى أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة فلا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم له أجرها وأجر من عمل بها وقد روي في الحديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية إذا استن به عامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فإنه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الإخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به أفضل لا محالة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان إحداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدي به أهله دون جيرانه وربما يقتدي به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدي به أهل محلته وإنما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الإظهار من غير فائدة وإنما يصح الإظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثاني أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الإظهار بعذر الاقتداء وإنما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فإن الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فإنهم يتشبهون بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال قلبه إلى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فإنهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفر عليه مع إسراره فلم يثقل على قلبه إظهار غيره لولا ملاحظة أعين الخلق فليحذر العبد خدع النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الإخفاء وفي الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الإظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء

القسم الثاني أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في إظهار الدعاوى عظيمة إلا أنه لو تطرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوي قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقوياء ولا ينبغي أن يترك ذلك بالكلية لأجل الاحتراز من الطباع المحجوبة بالرياء فإن الاقتداء بإظهار المرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد روي أنه كان يجتاز الإنسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس

الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فإظهار المرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياؤه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما ورد في الأخبار وبعض المرائين ممن يقتدى بهم منهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له اعلم أن الأصل في الإخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه وقال أبو مسلم الخولاني ما عملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إتياني أهلي والبول والغائط إلا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل أحد ولا يخلو الإنسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والأماني والله مطلع على جميع ذلك فإرادة العبد لإخفائها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أن يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع وأنه خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي وأما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية أوجه **الأول** أن يفرح بستر الله عليه وإذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر أن من ستر الله عليه في الدنيا ستر عليه في الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان **الثاني** أنه قد علم أن الله يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وإن عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله وهذا ينشأ من قوة الإيمان بكراهة الله لظهور المعاصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا ويغتم بسببه **الثالث** أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشتغل عن الطاعة وبهذه العلة أيضا ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن الله ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا أيضا من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان **الرابع** أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه به فإن الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الإنسان به عاص وإنما يعصي إذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعاه ذلك إلى ما لا يجوز حذرا من ذمهم فليس يجب على الإنسان أن لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان الذام من أهل البصيرة في الدين فإنهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالتورع كأنه يحب أن يحمد بطاعة الله ولا يكون قد طلب الطاعة إلا لأجل حمده فإن وجد ذلك في نفسه فيجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله أن يستر ذلك صيانة لعرضه عن ألسنة الناس كيلا يتعرض لهم فإنهم ربما يتعرضون بذمه وأما من يكره الذم بمعصية مع أنه يحب أن يحمد عليها فهو محروم عن اللذة ولم يبق له إلا ألم الذم فقط فكراهة الذم على المعصية لا يمنع منها إلا أن يكون قد حمل ذلك على ترك الإسرار ولم يكن يستحي من اطلاع الخلق وإنما يكره اطلاع العبد فإن ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر وقد يكره الذم من حيث إن الذام قد عصى الله به وهو من الإيمان وعلامته أن يكره ذم غيره أيضا فهذا التوجع لا يفرق بين غيره وبينه في التوجع من جهة الطبع **الخامس** أن يستر ذلك كيلا يقصد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم فإن الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وإن كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه **السادس** مجرد الحياء فإنه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبائح إذا شوهد

زهد وصف محمود وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وآله الحياء شعبة من الإيمان وقال صلى الله عليه وآله الحياء بالمرء و
وقال صلى الله عليه وآله إن الله يحب الحيي الحليم [illegible]
[illegible]
[illegible]

احدها [illegible]

الثاني [illegible]

[illegible]

السابع [illegible]

الثامن [illegible]

[illegible]

بيان [illegible]

الالذة [illegible]
[illegible]

القسم الاول [illegible]

احدها [illegible]

الثاني [illegible]

الثالث [illegible]

[illegible]

بالاقوياء **القسم الثاني** ما يتعلق بالخلق كالوعظ في الاوقات والاخطار [illegible] فيما يخلفه من القضاء ثم التذكير والتدريس العقول ثم الفتوى الا ان الخلافة
والامارة فهي من افضل العبادات اذا كانت مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وآله ليوم من امام عادل خير من عبادة رجل [illegible] حيث يسمى سبعين
العبادة [illegible] يوم [illegible] كستين سنة وقال صلى الله عليه وآله اول من يدخل الجنة الامام المقسط [illegible] صلى الله عليه وآله ثلثة لا ترد دعوتهم الامام
العادل [illegible] وقال صلى الله عليه وآله اقرب الناس مني يوم القيمة امام عادل **اقول** لا يخفى ان الخلافة عندنا انما هي من منصب [illegible] عز وجل [illegible] المعصوم
المعصوم المطهر من الرجز [illegible] النفس التي لا يتيسر [illegible] ولا [illegible] الا بالتوكل [illegible] جميع [illegible] فلا حاجة بنا الى الكلام فيها لم يجز
تطرق [illegible] فلنطوه وقد نقل ابو حامد [illegible] هذا المقام من القول البعض [illegible] **قال** واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة
فهو في معناها فان كل ذي ولاية امير [illegible] قدرة الامارة [illegible] القضاء عظيم مع اتباع محض الحق [illegible] عظيم مع العدل [illegible]
وقد قال صلى الله عليه وآله القضاة ثلثة واحد في الجنة واثنان في النار وقد قال صلى الله عليه وآله من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة ينبغي ان يترك
الضعفاء [illegible] وان [illegible] في [illegible] الاقوياء [illegible] واما [illegible] السلاطين [illegible] القضاء الا
[illegible] حقوق [illegible] القضاء [illegible]
بالحق [illegible] حوف العزل [illegible] العزل [illegible] دون [illegible]
نفسه [illegible] لاتباع الهوى والشيطان [illegible] **اقول** ومن طريق [illegible] رواه في
في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال [illegible] القضاء [illegible] قال امير المؤمنين عليه السلام لشريح
يا شريح [illegible] قال القضاء [illegible] ثلثة في النار وواحد في الجنة [illegible] فهو في النار ورجل
قضى [illegible] فهو في النار [illegible] فهو في الجنة **قال** ابو حامد [illegible] الوعظ [illegible]
ورواية الحديث [illegible] العظيم [illegible] فانه [illegible] الولاية [illegible] السلف
[illegible] **اقول** وقد [illegible]
الصادق عليه السلام في [illegible] كتاب العلم من ربع العبادات **قال** والواعظ [illegible]
[illegible] كلام
[illegible] العوام [illegible] الا [illegible]
[illegible] السعادة [illegible]
[illegible] الله [illegible] الفتنة [illegible]
[illegible]
[illegible] العلوم [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] الامارة [illegible] يوم القيمة [illegible]

وقد

وقال صلى الله عليه وآله [illegible] ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا [illegible] الخلق
[illegible] فاما قول القائل [illegible] الا ان [illegible] الدين فهو غلط اذ [illegible] رسول الله
صلى الله عليه وآله [illegible] الا [illegible] القضاء [illegible] الرياسة [illegible] لا تترك العلوم [illegible]
الناس [illegible] العلوم [illegible] الرياسة [illegible]
هذا الدين [illegible] الاخلاق [illegible] **اقول** مع هذا [illegible] في البلد [illegible]
[illegible] فان لم يكن في البلد [illegible]
[illegible] العلوم انما يريد [illegible]
[illegible] قال [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله
[illegible] هذا الدين [illegible]
[illegible]
[illegible] الشيطان [illegible]
[illegible] العلم [illegible] قال
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الآخرة [illegible] الاخرة
[illegible] الدنيا [illegible]
[illegible]
[illegible] العلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الدين [illegible]
فصل فان قلت فهذه الآيات [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]
[illegible] الدنيا [illegible] العلم [illegible]
العلم [illegible] العلم [illegible]

وخطره عظيم كفضل الخلافة والإمارة والقضاء ولا نقول للعالم اترك العلم الذي في نشر العلم آفة إنما الآفة في إظهار التصدي للوعظ والتدريس ورواية الأحاديث ولا نقول له أيضا اتركها ... وإذا لم يحركه إلا الرياء فترك الإظهار أنفع له وأسلم وكذلك النوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وسوسة الرياء في أثناء الصلوة وهو لها كاره فلا يترك الصلوة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلث **الأولى** الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة **الثانية** الصلوة والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة الرتبة **الثالثة** وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلوات فالصلوة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنها بالولايات أشبه وأن الحذر منها في حق الضعيف أسلم والله أعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال وأخذه للتفرقة على المستحقين فإن في الإنفاق وإظهار السخاء استجلابا للثناء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن ذكر الله وقد قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا ليبر بها تركك لها أبر وقال أقل ما فيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من تعرض لآفة الرياء فتركه لها أبر والاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والأحب أن يعمل ويدفع الآفات فإن عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تستلذ إلا الشر وقلما تستلذ الخير وتميل إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي وإثبات فهو موكول إلى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال فلا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والإنفاق أو التجرد للذكر والعبادة وذلك لما في الكسب من الآفات فأما المال الحاصل من الحلال فتفرقته أفضل من إمساكه بكل حال فإن قلت فبأي علامة يعرف العالم والواعظ أنه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثل علمه والأخرى أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر إلى الخلق بعين واحدة والأخرى أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الأسواق ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فإذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده أو يصلي مع أنه كان لا يعتاد الصلوة بالليل أصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن أنه رياء وأن الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تندفع العوائق والأشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب

عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجته أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فإنه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو سبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه أطايب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه الصوم فتنبعث داعية الدين للصوم فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوي الباعث فهذه وأمثالها من الأسباب يتصور وقوعها ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فإنك تكون مرائيا إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلوتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لا سيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فإن نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فإنك مخلص ولست تصلي لأجلهم بل لله وإنما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه إلا على ذوي البصائر فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لأنه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وإن كان انبعاثه لدفع العوائق وتحريك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلوة وهم لا يرونه فإن سخت نفسه بها فليصل فإن باعثه الحق وإن كان ذلك يثقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فإن باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلوة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس إلى حب الحمد فمهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفا من الله لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا فإن لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فإنما خوفه من أن يقال إنه قاسي القلب فينبغي أن يترك التباكي قال لقمان لابنه لا تُرِ الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجاري الأحوال تارة يكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة يكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والأنين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرهها سلم له أجر بكائه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به وقد يكون أصل الأنين عن الخوف والحزن ثم يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تحزين الصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيي أن يقال إنه سقط من غير زوال العقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليري أنه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول

بسبب نشاطهم وزوال الغفلة م

[illegible]

[illegible]

فادخل الدار ركوة فيها عشرون حصة فقال لم ادخلها الدير فقد رأوا ما رأيت ليك فيه وتحت الدير جمعت النصارى فقالوا يا حنيف الذي
ادخلته الى الشيخ فقلت من قرنه قالوا نحن نعتنع به كثر احق به فقالوا ساوم فقلت عشرون دينارا فاعطوه عشرون دينارا فرجعت الى
الشيخ فجئت حنيف الذي صنعت فقلت لعنة منهم قال لم وقفت بعشرين دينارا قال الخطاب لو ساومتهم بعشرين الف دينار لاعطوك
عز من لا يعبده فانظر كيف يكون عز من يعبده فانظر ربك ورع الراهب وحيلته والحكم استشعار النفس عن العظمة في القلوب كون نشأة في
قدر السعر العبد بعصيانه لم نفسه الحذر منه وعلانيته مثل سره لم يكون حقق عنده وانهما مشابهة واحدة فلو تغير والا فمن جهل اعتقاده لم يخرج
ولم يحقق من ذرعا الاكرامية ضعيف لم يعبد في قلبه فيرد ما فلا العقل والامانة وان لو كان في عبادة ولم يطلع الناس عليهم لم يزد ذلك
خشوع ولم يراخط من الا ستطلاع منهم عليه فان دخل سرور السير فهو دليل ضعيفه ولكن اذا قدر عليه رده وكراهة العقل والايمان ولا يردان ذلك
ولم يعقب السرور الا كون اليه فرح الا كتب سعيه الا ان ذلك ذبيب جوهم في الخشوع والانقباض كما سقطوا اليه فلا يسلم لكم فيه غرور
اذ النفس قد يكون شهوتها خفية اظهار الخشوع وتعلق بطلب الانقباض فطلب لها في دعوانا فضل الانقباض من قبل عن الله عليه وهو اذن لو علم الناس
منها انما يحصل ان يعبدوا اربعها وبها لكثرة الاعجاب فيستح نفسه من ذلك فانه لم يستح من ذلك صحت العبادة فيه يكون مراده الجزاء عنده ولا
يخلو من ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله تعالى فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق
الا خطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامات الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والآخر فقير
فلا يجد عنده اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له لذلك الوصف لا بالغنى فمن كان
استرواحه الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طامع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في الرغبة الى الآخرة ويحبب اليه المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه
فكيف يستروح الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير نعم زيادة اكرام الغني اذا كان اقرب اليك او كان من حقك وحق وصداقته سابقة ولكن يكون
بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم عند الله من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا
في غناه ورياء له ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهر للفقير وانما ذلك رياء خفي او طمع خفي كما قال
لحارثه له لما ذا اتيت البغداد وتغيبت الحكمة قال الطمع شحمة لسانه في صدقت فان الناس يتعلق عند الغني ولا يتعلق عند الفقير
وذلك مكيدة من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير وتلك مكيدة من النفس خفية ان الدين في هذا الغنى والفقير لا يجب حينها الا ان تخشع الدين في قلبك وتجرد الشفقة
على نفسك لعينه ومن كل الاعراض ولها بالنار الى سبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية لكون في الدنيا ملكا على عرش كسلطان فانه لم يكن الشهوات
وما فيها من اللذات ولكن في جزء يسير من الدنيا فالملك محجوب نفسه لكل ما فيه لو اتسع في الشهوات يعلم انه لم يضمن ولا يجد فيه من دوام ملكه
فما عرف ذلك من مجالس الاجانب ومعارف العباد ولم يعرف نفسه شرب الا وفيه الترة فيصير متبلا منها ويجر فيقع اللذات صبر صبرا ففارقتها
فيندم في كل يوم يزداد لكونه لنعمة الكبر ولكن سعيه يزداد كل يوم نقصان الكثرة احتياجه فيها ما رتبه لنفسه الشهوة تنغصه في تواتر الآلام والاوجاع
عليه وآدوا اذ وصل الى الموت المفرق بينه وبين مملكته المرجية شماتة اعدائه ولهم لحسنه عليه شرب وما تخلف فيها يستفيده من الشقاء الجزاء لم يوجب
للتمتع بملكه ونعيمه وعيش منسر وان جميع القلب سر المراء فقد تنغص عليه جماعة اللذات في معارضة المكروهات فلك المهلك العزم لكان الآخرة

حتى عن كل ملك في الآخرة وتدركت الدنيا الزاهد فاحزن ما بالطلب والحياة الذليل والحسرة الحزن وخوف فيه كيف الكبر لبس على جيفها
خوفا من التكبر فلا تخشب التعب منها لا دريها الانوثن عذاب يقف في ذلك عليه عند شدة في جنته الانه لحاجة الامره ودنا الله له من النعيم المقيم في جوار رب
العدا البدا الاباد في علم الرب الله يعلم ان الملك والعبادة والمريدين ارضاه قد غفرنا وامر اوفا عليهم عطفا ولو شاء الاغنام عن التعب والنصب لكن اراد ان
يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم محكة من بعد لام ثم اذا تحمل التعب في ابتغاء سبيل الله عليه بالموانع والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصعب وحبب
اليه الطاعة ورزقه فيها لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وامداده بمعونته
فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي
واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته
ورحمته والحمد لله وحده هذا آخر كتاب ذم الجاه والرياء من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين ويتلوه ان شاء الله كتاب ذم الكبر
والعجب والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا

اخر

كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في إحياء الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع، الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع، وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع، فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع، الغني الذي ليس له شريك في ملكه ولا منازع، القادر الذي بهر أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه، وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه، وحصر ألسن المتقين وصف ثنائه، وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه، فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه، وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه، وقصر أيدي القياصرة عظمته وكبرياؤه، فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه، ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه، جل جلاله وتقدست أسماؤه، والصلاة على محمد الذي أنزل معه النور المنتشر ضياؤه، حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه، وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياؤه، وسلم كثيرا.

أما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته. وقال صلى الله عليه وآله: ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه. فالكبر والعجب داءان مهلكان، والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان، وهما عند الله ممقوتان بغيضان، وإذا كان القصد في هذا الربع من الكتاب شرح المهلكات وجب إيضاح الكبر والعجب فإنهما من قبائح المرديات، ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين: شطر في الكبر وشطر في العجب إن شاء الله تعالى.

الشطر الأول من الكتاب في الكبر، وفيه بيان ذم الكبر، وبيان ذم الاختيال، وبيان فضيلة التواضع، وبيان حقيقة الكبر وآفته، وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر، وبيان ما به التكبر، وبيان البواعث على التكبر، وبيان أخلاق المتواضعين وما فيه يظهر الكبر، وبيان علاج الكبر، وبيان امتحان النفس في خلق الكبر، وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه.

بيان ذم الكبر: قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى: سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق. وقال عز وجل: كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار. وقال تعالى: واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد. وقال تعالى: إنه لا يحب المستكبرين. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. وقال صلى الله عليه وآله: يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم. وقال صلى الله عليه وآله: لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب. وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والإنس والجن والبهائم: اخرجوا، فخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن، فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السماوات ثم خفض حتى مست قدماه البحر، فسمع صوتا يقول: لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته. وقال صلى الله عليه وآله: يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول: وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين. وقال صلى الله عليه وآله: لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة. وقال صلى الله عليه وآله: تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزتهم، فقال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها. وقال صلى الله عليه وآله: بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى. وعن ثابت قال: بلغنا أنه قيل: يا رسول الله ما أعظم كبر فلان، فقال: أليس بعده الموت. وقال صلى الله عليه وآله: إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال: إني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين، أنهاكما عن الشرك والكبر، وآمركما بلا إله إلا الله فإن السماوات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت

لا إله إلا

لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منها، ولو أن السماوات والأرضين وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها، وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء. وقال المسيح عليه السلام: طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا. وقال نبينا صلى الله عليه وآله: أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المقلون. وقال صلى الله عليه وآله: إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا في الآخرة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون. وقال صلى الله عليه وآله: يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الأنيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار. وعنه صلى الله عليه وآله: يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى. وعنه صلى الله عليه وآله: إن في جهنم لواديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار. وعنه صلى الله عليه وآله: إن في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم. وقال صلى الله عليه وآله: اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء. وقال صلى الله عليه وآله: من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والغلول. وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال: الكبر.

أقول: ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه. وعنه عليه السلام: العز رداء الله والكبر إزاره فمن تناول شيئا منه أكبه الله في جهنم. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر. وعن أحدهما عليهما السلام قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر، قال: فاسترجعت، فقال: ما لك تسترجع؟ قلت: لما سمعت منك، فقال: ليس حيث تذهب، إنما أعني الجحود، إنما هو الجحود. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: الكبر أن تغمص الناس وتسفه الحق. وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق، قال: قلت: وما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال: يجهل الحق ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله رداءه. وعنه عليه السلام قال: إن في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر، شكا إلى الله شدة حره وسأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم. وعنه عليه السلام قال: إن المتكبرين يجعلون في صور الذر يتوطؤهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب. وعن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني آكل الطعام الطيب وأشم الريح الطيبة وأركب الدابة الفارهة ويتبعني الغلام، فترى في هذا شيئا من التجبر فلا أفعله؟ فأطرق أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: إنما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق، قال عمر: فقلت: أما الحق فلا أجهله، والغمص لا أدري ما هو، قال: من حقر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار. وعنه عليه السلام قال: لما قدم على يوسف عليه السلام الشيخ يعقوب عليه السلام دخله عز الملك فلم ينزل إليه، فهبط جبرئيل فقال: يا يوسف ابسط راحتك، فخرج منها نور ساطع فصار في جو السماء، فقال يوسف: يا جبرئيل ما هذا النور الذي خرج من راحتي؟ فقال: نزعت النبوة من عقبك عقوبة لما لم تنزل إلى الشيخ يعقوب، فلا يكون من عقبك نبي. وعنه عليه السلام قال: ما من عبد إلا وفي رأسه حكمة وملك يمسكها، فإذا تكبر قال له: اتضع وضعك الله، فلا يزال أعظم الناس في نفسه وهو أصغر الناس في أعين الناس، فإذا تواضع رفعها الله ثم قال له: انتعش نعشك الله، فلا يزال أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس. وعنه عليه السلام قال: ما من أحد يتيه إلا من ذلة يجدها في نفسه. وفي لفظ آخر: ما من أحد تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك جبار، ومقل مختال.

بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب: قال النبي صلى الله عليه وآله: لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا. وقال صلى الله عليه وآله: بينما رجل يتبختر في برديه قد أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. وقال صلى الله

عليه وآله

اذ بلغت [illegible] المطلب [illegible] سقط بعضهم على بعض [illegible] الاعرابي [illegible] صلى الله عليه وآله [illegible] في نفسه
واخذ في مشيته [illegible] عمر بن عبد العزيز [illegible] مشيته [illegible]
ليست [illegible] مشية [illegible]
وهو يتبختر في جبة خز فقال له يا ابا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله [illegible] حمزة واخي جعفر
[illegible] فضل آل المطلب [illegible] قال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذا ذكرنا ذم الكبر [illegible]
فلنذكر فضيلة التواضع **بيان** فضيلة التواضع قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما زاد الله عبدا بالعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله
وقال صلى الله عليه وآله ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه و
قال صلى الله عليه وآله طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة [illegible]
[illegible] عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله عندنا بقباء وكان صائما فأتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا
من عسل فلما رفعه فذاقه وجد فيه حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال اما اني لا
احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وروي ان
النبي صلى الله عليه وآله كان في نفر من اصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره فأذن له فلما دخل اجلسه رسول
الله صلى الله عليه وآله على فخذه ثم قال له اطعم وكان رجل من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها
وقال النبي صلى الله عليه وآله خيرني ربي بين امرين ان اكون عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبرئيل فرفعت
رأسي اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على خلقي والزم
قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال صلى الله عليه وآله الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى
وقال عيسى عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس
يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله عز وجل يوم القيامة وقال بعضهم بلغنا ان النبي صلى الله عليه وآله قال اذا هدى الله
عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وآله اربع
لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله
اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال صلى الله عليه وآله ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وآله كان يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وآله الى جنبه
وقال صلى الله عليه وآله انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وآله لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة
العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وآله اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم
فان ذلك لهم مذلة وصغار **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال ارسل النجاشي الى جعفر بن ابي طالب واصحابه فدخلوا عليه

وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب قال جعفر فاشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال فلما رأى ما بنا وتغير وجوهنا قال الحمد لله
الذي نصر محمدا واقر عينه الا ابشركم فقلت بلى ايها الملك فقال انه جاءني الساعة من نحو ارضكم عين من عيوني هناك فاخبرني ان الله قد نصر نبيه محمدا صلى الله
عليه وآله واهلك عدوه واسر فلان وفلان التقوا بواد يقال له بدر كثير الاراك لكأني انظر اليه حيث كنت ارعى لسيدي هناك وهو رجل من بني ضمرة فقال له
جعفر ايها الملك فما لي اراك جالسا على التراب وعليك هذه الخلقان فقال له يا جعفر انا نجد فيما انزل الله على عيسى عليه السلام ان من حق الله على عباده ان يحدثوا له تواضعا عند
ما يحدث لهم من نعمة فلما احدث الله لي نعمة بمحمد صلى الله عليه وآله احدثت لله هذا التواضع فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله قال لاصحابه ان الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا
يرحمكم الله وان التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان العفو يزيد صاحبه عزا فاعفوا يعزكم الله وعنه عليه السلام قال في السماء ملكان موكلان بالعباد فمن
تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه وعنه عليه السلام قال افطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشية خميس في مسجد قبا فقال هل من شراب فأتاه اوس بن خولى الانصاري بعس مخيض
بعسل فلما وضعه على فيه نحاه ثم قال شرابان يكتفى باحدهما من صاحبه لا اشربه ولا احرمه ولكن اتواضع لله فانه من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن اقتصد
في معيشته رزقه الله ومن بذر حرمه الله ومن اكثر ذكر الموت احبه الله وفي رواية ومن اكثر ذكر الله اظله الله في جنته وعن ابي جعفر عليه السلام انه اتى رسول الله
صلى الله عليه وآله ملك فقال ان الله تعالى يخيرك ان تكون عبدا رسولا متواضعا او ملكا رسولا قال فنظر الى جبرئيل واومأ بيده ان تواضع فقال عبدا متواضعا رسولا فقال الرسول
مع انه لا ينقصك مما عند ربك شيئا قال ومعه مفاتيح خزائن الارض وعن ابي عبد الله عليه السلام قال اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان يا موسى اتدري لم
اصطفيتك لكلامي دون خلقي قال يا رب ولم ذاك قال فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اني قلبت عبادي ظهرا لبطن فلم اجد فيهم احدا اذل لي نفسا منك يا
موسى انك اذا صليت وضعت خدك على التراب او قال على الارض وعنه عليه السلام قال مر علي بن الحسين عليهما السلام على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغدون
فدعوه الى الغداء فقال اما اني لولا اني صائم لفعلت فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا فيه ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم
وعنه عليه السلام انه نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما رآه الرجل استحيا منه فقال ابو عبد الله عليه السلام اشتريته لعيالك وحملته اليهم اما
والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري لعيالي الشيء ثم احمله اليهم وعنه عليه السلام قال فيما اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود كما ان اقرب الناس من الله المتواضعون
كذلك ابعد الناس من الله المتكبرون وعنه عليه السلام من التواضع ان ترضى بالمجلس دون المجلس وان تسلم على من تلقى وان تترك المراء وان كنت محقا ولا تحب ان تحمد على التقوى
وعنه عليه السلام ان من التواضع [illegible] ابو عبد الله عليه السلام [illegible]
[illegible] السفينة [illegible]
[illegible] الجبال اني واضع سفينة نوح [illegible] فتطاولت وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل عندكم فضربت السفينة
بجؤجؤها الجبل فقال نوح عند ذلك يا ماري اتقن وهو بالسريانية رب اصلح قال [illegible] ابا الحسن عليه السلام [illegible] وعن الحسن بن الجهم عن ابي الحسن عليه السلام
قال التواضع ان تعطي الناس ما تحب ان تعطاه وفي حديث آخر قال التواضع درجات منها ان يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم لا يحب
ان يأتي الى احد الا مثل ما يؤتى اليه ان رأى سيئة درأها بالحسنة كاظم الغيظ عاف عن الناس والله يحب المحسنين وفي كتاب مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما يكون
لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده ولاهل التواضع سيماء يعرفها اهل السماوات من الملائكة واهل الارض من العارفين

قال الله عز وجل ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم اصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة يرضاها ويقبلها
الا وبابها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته قال الله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقد امر الله عز وجل اعز خلقه وسيد بريته بالتواضع فقال عز وجل واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء وانهن لا يتبين الا منها وفيها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي الا للمتواضع في ذات الله
وفي تفسير الامام ابي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام اعرف الناس بحقوق اخوانه واشدهم قضاء لها اعظمهم عند الله شأنا ومن تواضع في الدنيا
لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن ابي طالب عليه السلام حقا ولقد ورد على امير المؤمنين عليه السلام اخوان له مؤمنان اب وابن فقام
اليهما واكرمهما واجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين يديهما ثم امر بطعام فاحضر فاكلا منه ثم جاء قنبر بطست وابريق خشب ومنديل ليبس واخذ ليصب
على يد الرجل فوثب امير المؤمنين عليه السلام واخذ الابريق ليصب على يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب وقال يا امير المؤمنين الله يراني وانت تصب
على يدي قال اقعد واغسل فان الله عز وجل يراك واخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك يخدمك يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل عشرة اضعاف اهل الدنيا
وعلى حسب ذلك في مماليكه فيها فقعد الرجل فقال له علي عليه السلام اقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته وبجلته وتواضعك لله حتى جازاك عنه بان ندبني لما شرفك به
من خدمتي لك لما غسلت مطمئنا كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبر ففعل الرجل ذلك فلما فرغ ناول الابريق محمد بن الحنفية وقال يا بني لو كان
هذا الابن حضرني دون ابيه لصببت على يده ولكن الله عز وجل يأبى ان يسوي بين ابن وابيه اذا جمعهما مكان لكن قد صب الاب على الاب فليصب الابن
على الابن فصب محمد بن الحنفية على الابن قال الحسن بن علي عليه السلام فمن اتبع عليا على ذلك فهو الشيعي حقا **فصل** قال ابو حامد واما الآثار
سئل الفضيل عن التواضع فقال ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك
راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في نعمة الدنيا
حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة وقيل اوحى الله
الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف
حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في ثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء
في الثياب المرتفعة وقيل [illegible] العبد [illegible] مرتفع [illegible] عند نفسه [illegible]
بشر بن الحارث قال رأيت علي بن ابي طالب عليه السلام في المنام فقلت يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع من الاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم
في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام
العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه
عز وجل ومعرفته بنفسه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي
الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع وقيل التواضع في الخلق كلهم حسن
وفي الاغنياء احسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح وقيل لا عز الا لمن تذلل لله ولا رفعة الا لمن تواضع لله ولا امن الا لمن خاف الله ولا ربح الا لمن

ابتاع

ابتاع نفسه من الله عز وجل وعن [illegible] قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس
قال ثم عدت الى بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتأمله فقال لي ما لك تنظر الي
فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله
حيث يترفع فيه الناس وتفاخرت قريش عند سلمان رضي الله عنه فقال سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم آتي الميزان فان ثقل فانا كريم
وان خف فانا لئيم **بيان** حقيقة الكبر وآفته اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر
بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل
هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب
لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند
ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك
لو رأى نفسه احقر منه لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا ان
هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة
والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله اعوذ بك من نفخة الكبرياء ولذلك قال بعض خلفاء النبي صلى الله عليه وآله اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ
الثريا للذي استأذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح فكأن الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة
الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة
لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر
من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك
استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف من مساواته ويتقدم عليه في مضايق الطرق
ويرتفع عليه في المحافل وينتظر ان يبدأه بالسلام ويستبعد تقصيره في قضاء حوائجه ويتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ
استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم
واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى
احصائها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا
عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا عن الجنة
لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين
ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد
وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز

ولا يقدر على قبول النصح ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز والكبر للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه
ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة منه والاخلاق الذميمة
متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم المتكبرين
قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر
ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال الذين لا يؤمنون بالآخرة
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين وقال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفسير سأحجب قلوبهم عن
الملكوت وقال ابن جريج سأصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك
الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر الا ترون ان من شمخ برأسه الى السقف شجه ومن طأطأ اظله واكنه وهذا مثل ضربه للمتكبرين
وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس **باب**
المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه اعلم ان المتكبر عليه هو الله او رسله او سائر الخلق وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على
الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة اقسام **الاول** التكبر على الله وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل
المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره
فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال الله تعالى
لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا وقال واذا قيل لهم
اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا **القسم الثاني** التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد
لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع
مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وقولهم ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا
مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا لولا انزل عليه ملك
[illegible] وقال فرعون فيما اخبر الله عنه او جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسله
جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد
فاستنكف عن عبوديته لله وعن اتباعه لموسى وقالت قريش فيما اخبر الله عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن عزوجل
المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال الله اهم يقسمون رحمة ربك وقال الله
ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء واشاروا الى فقراء المسلمين

فازدروهم

فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وقال ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين
دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد ثم
كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه محقا ومنهم من عرف ذلك ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله وان كان دونه ولكنه تكبر عن قبول امر الله
والتواضع لرسوله صلى الله عليه وسلم **القسم الثالث** التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد لهم
وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويانف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم من وجهين **احدهما**
ان الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق بحاله الكبر فمهما
تكبر العبد فقد نازع الله في صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم
استحقاقه للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى
العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان
الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستاثر بما
حق الملك ان يستاثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله
وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون الكبر
تعظم به ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك **الوجه الثاني**
الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر
لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على
لسان واحد منهم انف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى
فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم
في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له
اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره
فما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذن تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكاه من احواله الا
ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به فكان مبدؤه
الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله فكان ذلك سبب هلاكه ابد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق

ونقص الناس وفي حديث ثابت او من سفه الحق وغمص الناس الازدراء بهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الافة الاولى وقوله سفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فمن تكبر على الناس فنظر اليهم بعين الاستحقار فازدراه ونظر اليه بعين الاحتقار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله ورسله

الاستحقار

بيان ما به التكبر اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب

السبب الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدؤه بالسلام فان بدأ احدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كانهم عبيده او اجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه اليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا واما في امر الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلم يزيد خوفا وتخشعا وتواضعا ويقتضي ان يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان لذلك سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا وانما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا

السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردي النفس سيء الاخلاق فانه لم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس يكون قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه وقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي

علمكم

علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الداري عمر في القصص فأبى وقال انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم انه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا فاني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدولة قد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله ويستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله

الثاني العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما في الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول منه يدل على انه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كما روي ان رجلا في بني اسرائيل كان يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به قال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد في نفسه انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل فكيف يجلس الي فأنف منه وقال له قم عني فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة الى رأس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل العاصي اذا تواضع هيبة لله وذل خوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتألي علي بل انت لا يغفر الله لك وكذلك قال الحسن حتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة ايضا قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف او آذاه مؤذ استبعد ان يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب واغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كرامته وان الله ما اراد به الا شفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله

ورسوله ومنهم من آذى الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم امهلهم الله ولم يعاقبهم في الدنيا بل اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه لا في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه به ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كانت تهب ريح او تقع صاعقة ما يصيبهم ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفة كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذاك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشياطين ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان رجلا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم واثني عليه فاقبل الرجل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسألك بالله حدثتك نفسك انه ليس في القوم احد خير منك فقال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلث درجات **الدرجة الاولى** ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخت في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية **الدرجة الثانية** ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طلق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى بذلك ما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهرون اثر الكبر على شمائلهم فحالهم اخف من حال من هو في الرتبة الثالثة **الدرجة الثالثة** وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا ولا انام الليل واختم القرآن كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسوء فهلك ولده واخذ ماله او مرض وما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه واما المباهاة فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام فصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع تكلف الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره اعبد منه او اقوى منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول اني متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما المباهاة فهو انه يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل

علوم

علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتقدم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يستعظم ولم يتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل **السبب الثالث** التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه علما وعملا وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له اموال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك فانا فلان ابن فلان واين لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي ذر انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للآخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى قل للذي افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدوف بآنافها القذر **السبب الرابع** التفاخر بالجمال وذلك اكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتيها وهذا منشؤه خفاء الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت **السبب الخامس** الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له انت مكد ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي اكثر من جميع مالك وانا انفق في اليوم ما لا تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر وكل ذلك لجهله بفضيلة الفقر وآفة الغنى واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه وقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره بقوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى اخبارا عن تكبره فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الآية **السبب السادس** الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف **السبب السابع** التكبر بالاتباع والانصار

والتلامذة والغلمان والعشيرة والأقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين
وبالجملة فكل ما هو نعمة ويمكن أن يعتقد كمالاً وإن لم يكن في نفسه كمالاً أمكن أن يتكبر به حتى إن المخنث ليتكبر على أقرانه بزيادة قدرته
وصنعته في صنعة المخنثين لأنه يرى ذلك كمالاً فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلا نكالاً وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور صنعته
بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئاً فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه على
من لا يدلي به أو على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه
لظنه أنه هو الأعلم ولحسن اعتقاده في نفسه بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له اعلم أن الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال
فهو ثمرتها ونتيجتها وينبغي أن يسمى تكبراً ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب
واحد وهو العجب كما سيأتي معناه فإنه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة سبب في
المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما أما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء
فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الأعمال
والأقوال والأحوال وأما الحقد فإنه يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه
الغضب حقداً ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقاً للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على
التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بغضه له ويحمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأنفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه
وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه فلا يعتذر إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فإنه أيضاً يوجب البغض
للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضاً إلى جحد الحق حتى يمتنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من
جاهل يشتاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسداً وبغياً عليه فهو يعرض عنه
ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه وأما
الرياء فهو أيضاً يدعو إلى أخلاق المتكبرين حتى إن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن
يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه
بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحقد أو الحسد فيتكبر أيضاً عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي إلى نسب شريف
كاذباً وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة
والتوقير وهو عالم باطناً بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين وكأن اسم المتكبر
إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار وهو إن سمي متكبراً فلأجل التشبه
بأفعال الكبر من المتكبرين بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر اعلم أن الكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر
في وجهه ونظره شزراً وإطراقه رأسه وجلوسه متربعاً ومتكئاً وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الإيراد ويظهر في مشيته وتبختره

وقيامه

وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لأفعاله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض
ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يحب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال علي صلوات الله عليه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار
فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا إذا رأوه لا يقومون له
لما يعلمون من كراهته لذلك ومنها أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه وقال أبو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعداً ما مشي خلفه وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم ومنها أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو
ضد التواضع ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وآله فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها أن يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل
رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه جدري قد تقشر وعنده أصحابه يأكلون فما جلس عند أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وآله إلى جنبه ومنها أن شغلاً
لا يتعاطى بيده شغلاً في بيته والتواضع خلافه ومنها أن لا يأخذ متاعه ويحمله إلى بيته وهذا خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل
ذلك وقال علي عليه السلام لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله وقال بعضهم رأيت علياً عليه السلام اشترى لحماً بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك
قال لا أبو العيال أحق أن يحمل ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله البذاذة من الإيمان [illegible] من
اللباس [illegible] عليه وسلم في لباس [illegible] تواضعاً [illegible] والخشوع في القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله من ترك زينة لله ووضع ثياباً حسنة تواضعاً لله وابتغاء لمرضاته كان حقاً على الله أن يدخر له عبقري الجنة فإن قلت فقد قال
عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وسئل نبينا صلى الله عليه وآله عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن الكبر من سفه الحق وغمص الناس
فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم أن الثوب الجديد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو الذي عرفه ثابت بن قيس إذ قال إني امرؤ حبب إلي الجمال فعرف أن ميله إلى النظافة وجودة الثياب
لا ليتكبر على غيره فإنه ليس من ضرورته أن يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع فإذا اختلفت
الأحوال [illegible] قول عيسى عليه السلام في بعض الأحوال [illegible] جودة الثياب خيلاء في القلب [illegible] قول نبينا صلى الله عليه وآله
ليس من الكبر [illegible] وبالجملة فالأحوال تختلف [illegible] المحمود [illegible]
الذي لا يجب شهرة الجودة ولا الرداءة وقد قال صلى الله عليه وآله كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة إن الله يحب
أن يرى أثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وإنما خاطب بهذا قوماً يطلبون التكبر
بثياب أهل الصلاح وقال عيسى عليه السلام ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك
وألينوا قلوبكم بالخشية ومنها أن يتواضع بالاحتمال إذا سب وأوذي وأخذ حقه فذلك هو الأصل وقد أوردنا ما نقل عن السلف من
احتمال الأذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله فيه فينبغي أن يقتدى ومنه ينبغي أن
يتعلم وقد قال أبو سلمة قلت لأبي سعيد الخدري ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن أخي كل لله

ولبس فقد كل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه فينقلب إلى أهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيي من أن يجيب إذا دعي وإن كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعي إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد من غير عنف متواضع من غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى وكل مسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يبشم قط من شبع ولا يمد يده إلى طمع قال أبو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتها بما قال لي أبو سعيد فقالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إذ ما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً ولم يبث إلى أحد شكوى وإن كانت الفاقة أحب إليه من اليسار والغنى وإن كان ليظل جائعاً يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتى بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم فالصبر أياماً يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غداً في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه فما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما أشد جهله فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه حين عوتب في تبذله عند دخول الشام إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره وقال أبو الدرداء اعلم أن لله عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صلاة ولا صوم ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر ولين من غير تخشع وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقاً أو ثلاثون رجلاً قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه واعلم أنهم لا يلعنون شيئاً ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يتطاولون على من فوقهم ولا يحسدون أحداً ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خيراً وألينهم عريكة وأسخاهم نفساً علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغداً في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحاً إلى الله واشتياقاً إليه وقدماً في استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون قال فقلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد علي من تلك الصفة فكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تبغض الدنيا فإنك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك فإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن أخي أن ذلك لفي كتاب الله المنزل إن الله مع الذين

اتقوا

اتقوا والذين هم محسنون وقال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له

اعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له وفي معالجته مقامان أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب الثاني دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الإنسان على غيره

المقام الأول في استئصال أصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما أما العلمي فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في إزالة الكبر فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهانة وإذا عرف ربه عرف أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضاً يطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والمذلة ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة من كتاب الله فإن في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الإنسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئاً مذكوراً وقد كان في حيز العدم دهوراً بل لم يكن لعدمه أول وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أقذرها إذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظماً ثم كسا العظم لحماً فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئاً مذكوراً فما صار شيئاً مذكوراً إلا وهو على أخس الأوصاف والنعوت إذ لم يخلق في ابتدائه كاملاً بل خلقه جماداً ميتاً لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه كذلك خلقه أولاً ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل ومعناه أنه أحياه بعد أن كان جماداً ميتاً تراباً أولاً ونطفة ثانياً وأسمعه بعد ما كان أصم وبصره بعد ما كان فاقداً للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فانظر إلى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجوداً بعد العدم وحياً بعد الموت وناطقاً بعد البكم وبصيراً بعد العمى وقوياً بعد الضعف وعالماً بعد الجهل ومهدياً بعد الضلال وقادراً بعد العجز وغنياً بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء وأي شيء أخس من لا شيء وأي قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئاً وإنما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرف خسة ذاته فيعرف به نفسه وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وأنه لا يليق الكبرياء إلا به ولذلك امتن عليه فقال ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين وعرفه خسته أولاً فقال ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته عليه فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الأخساء وأضعف الضعفاء ثم لو أكمله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده

الامراض الهائلة والاسقام المعضلة والآفات المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم [illegible] البعض من اجزاء البعض [illegible]

[illegible]

ادل قدرة [illegible]

[illegible]

[illegible] والتعرض [illegible]

[illegible]

من احوال الصالحين من احوال رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] انه كان [illegible] اكل كما ياكل العبد [illegible]

فقال انما انا عبد [illegible]

[illegible]

المقام الثاني [illegible]

السبب الاول [illegible]

[illegible]

السبب الثاني [illegible]

[illegible]

[illegible]

السبب الثالث

[illegible]

السبب الرابع والخامس

[illegible]

السبب السادس

[illegible]

وغلب

[illegible]

والعبد المغرور بعلمه ربما يكون عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل إلا إلى العاقبة وجميع الفضائل في
الدنيا إنما تراد للعاقبة فإذن حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر مني وإن نظر
إلى عالم فيقول هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سناً قال هذا قد أطاع الله قبلي فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير
قال إني عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر فقال ما يدريني لعله يختم له بالإسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية
إليّ كما لم يكن ابتداؤها إليّ فباعتبار الخاتمة يمكنه أن ينفي الكبر عن نفسه بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى لا فيما يظهر
في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري وهذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهم إلى نفسه مشغول القلب بخوف عاقبته
لا أن يشتغل بخوف غيره فإن الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل إنسان على نفسه فإذا سجن جماعة في جناية وأوعدوا بأن تضرب رقابهم
لم يتفرغ واحد منهم للتكبر على صاحبه وإن عمهم الخطر إذ شغل كل واحد منهم همه بنفسه عن الالتفات إلى غيره حتى كأن كل واحد منهم وحده في
مصيبته وخطره فإن قلت فكيف أبغض المبتدع في الله وأبغض الفاسق وقد أمرت ببغضهم ثم مع ذلك أتواضع لهم والجمع بينهما
متناقض فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق إذ يمتزج غضبك لله في إنكار البدعة والفسق بكبر النفس والإدلال بالعلم والورع فكم من عابد
جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقاً جلس بجنبه أزعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بني إسرائيل
مع خليعهم وذلك لأن الكبر على المطيع ظاهر كونه شراً والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فإن الغضبان أيضاً
يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا الموفقون والذي يخلصك من هذا
أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع والفاسق إذا أمرتهما بالمعروف أو نهيتهما عن المنكر ثلاثة أمور أحدها التفاتك إلى ما سبق
من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح
من حيث إنها نعمة من الله عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة إبهام عاقبتك
وعاقبته أنه ربما يختم له بالخير ويختم لك بالسوء حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فإن قلت فكيف أغضب مع هذه الأحوال فأقول تغضب لمولاك
وسيدك إذ أمرك أن تغضب له لا لنفسك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجياً وصاحبك هالكاً بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من
خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة وأعرفك ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره
فأقول إذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه
فإن كان الغلام مطيعاً محباً لمولاه فلا يجد بداً من أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب بامتثال
أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكرهه مولاه فيغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز
من الغلام فإذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى المبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما عند الله في الآخرة
أعظم من قدرك لما سبق لهما من الحسنى في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ومع ذلك تغضب بحكم الأمر محبة لمولاك إذ جرى ما يكرهه مع
الاعتراف بأنك ربما تكون عنده أخفض درجة في الآخرة فهكذا يكون بغض العلماء الأكياس فيضمون إليه الخوف والتواضع وأما المغرور فإنه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لغيره

مع جهله

مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله وسقط المبتدع من نعيم بحكم الأمر **السبب الثالث** التكبر بالورع والعبادة
وذلك أيضاً فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرف من فضيلة العلم
وقد قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي إلى غير ذلك
مما ورد في فضل العلم فإن قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم
فيمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك وإذا كان هذا أمراً غائباً عنه لم يجز له أن يحتقر عالماً بل يجب عليه التواضع له	بما يشهد له
فإن قلت فإن صح هذا فينبغي أن يكون العالم يرى نفسه فوق العابد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي فاعلم أن
ذلك لو علم العالم خاتمة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت على حالة يكون فيها أسوأ حالاً عند الله من الفاسق فيما يظن به وهو عند الله عظيم
في حقيقته وإذا كان هذا ممكناً كان على نفسه خائفاً فإذن العالم والعابد خائف على نفسه قد كلف الحذر من نفسه لا من غيره فينبغي أن يكون الغالب على
قلبه خوفه في حق نفسه والرجاء في حق غيره وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم ينقسمون إلى مستورين وإلى مكشوفين
فينبغي أن لا يتكبر على المستور فلعله أقل منه ذنباً وأكثر منه عبادة وأشد منه حباً لله وأما المكشوف حاله الذي ظهر له فسقه فلا ينبغي أن يتكبر عليه إذ ربما كان له ذنوب في
الباطن لا يعرفها وذلك لأن المرء لا يعرف إلا ظاهر حاله ولعل ذلك العابد له ذنوب خفية في طول العمر لا يقدر على إحصائها حتى يعلم الكبر من القلب ويكفيه من العلم
ذنوب القلب كالرياء والحسد والغل وغيرها فإنه لا ينجو منها إلا القليل ذنوب القلب مثل الكبر والحسد والرياء والغل والحقد وضعف الإيمان وسوء الظن بالله فهي
عند الله أعظم خطراً فلعل ذلك سنه عند الله من ذنوبه وجرى عليك في قلبك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتاً وقد يجوز أن الفاسق أظهر من خطايا القلوب
من خشية الله والإخلاص وخوفه وتعظيمه ما تلك الخطيئة قد كفرت عنه سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذه الأمور
البعيدة ينبغي أن يكون عليك من الخوف أن يكون فوقك عند الله فلا تتكبر على نفسك فلا تحكم لها أن تكون خيراً منه
وهو من المذنبين لا يكفي من هذا لك شيئاً فإذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل عن التكبر بل ترى نفسك فوق غيرك وقدرك دون قدره
ثم خطيئة من خطايا قلبه فقد نسيته حتى تبلغ الغاية في الشرف فعمل الخير ولا الفاجرة ربما ساء وجهه وربما علا ذكره لنفسه إن لم يكن عنده خبر وإن
عنده شيء فمن قدر على أفضل وأرفع وأقوى مرتبة عنده إنه فهو متواضع للخلق جميعاً لعلمه بأن من هو خير منه عند الله قد يكون أعمى
قال الحسن إنما أجهز هلك ألف عامل عمره بعلمه فأخبر بأن عمله حبط بأنه يغتر بما له ولا يدري ما ختم له فربما يختم له بشر والله يكره منه أن يتعين عليه
ولهم حسن الخاتمة فإن ظهر ذلك عليه لا أمن فيه فقد تنطعت العبادة وانضافت إليه جميع الآفات ثم قال في حق خاتمة الصلاة والصوم هذا
والحذر أن يكون عند الله مقيتاً ووجدت القضاء الأزلي بالشقاوة وهو كسبه الأحوال ثم إذا فعل بحقيقة الخوف على عمله ونفسه فذلك	كتب
العبد يغرر إذ روي أن عابداً أدى الأمانة فقيل له في النوم ائت فلاناً الإسكاف فسله أن يدعو لك فأتاه فسأله عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار ويحصد في
حينه بالطيع عند العشية فرجع وهو يقول إن هذا لحسن ولكن ليس هذا لك فقيل له في النوم ائت فلاناً الإسكاف فقل له ما هذا الصفار في وجهك
قال ما من أحد من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقيل للعابد بهذه والذي يعين على فضيلته قوله تعالى والذين يؤتون
ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال إنا كنا في أهلنا

مستعظمين وقد وصف الله المتكبرين مع تعظيمهم على الذنوب ... المجاهدة ... [illegible] الاشفاق [illegible]
لا يغترون ودوام خشيتهم انهم مشفقون فمن زال الاشفاق والحذر ... [illegible]
وذلك رجا للكبر ... [illegible] التواضع ... [illegible] فاذا ما الغير العابد ... الكبر ... [illegible]
خلق ... [illegible] الاستشعار ... [illegible] القلب لا يغير الا ان النفس ... [illegible]
قد تتصف بالتواضع ... [illegible] فاذا وقعت الواقعة ... [illegible] النفس ... [illegible]
مجرد ... [illegible] النفس ... [illegible] امتحانات ... [illegible]

الامتحان الاول

استخراج ... [illegible] وله امتحانات كثيرة الامتحان الاول ان يناظر في مسألة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه
فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل
بعلاجه ... [illegible]
بالحق ... [illegible] وقد كنت غافلا عنه ... [illegible]
... [illegible]
... [illegible] فيبلغ الرياء ... [illegible]
... [illegible] في الخلوة ... [illegible]
جميعا ... [illegible]

الامتحان الثاني

ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر ... [illegible]
... [illegible]
ذلك ... [illegible]
... [illegible] السوق في حاجة

الامتحان الثالث

ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر ... [illegible]
... [illegible]

الامتحان الرابع

ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق ... [illegible]
البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء ... [illegible]
... [illegible]

اقول ... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]

ان

ان ... [illegible] قال ... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]

الامتحان الخامس

ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملأ رياء وفي الخلوة كبر ... [illegible] وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible]
صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل بالارض ... [illegible]
... [illegible]

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع

اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة
والوسط يسمى تواضعا ... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]

الشطر الثاني من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب وآفاته

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ... [illegible] وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ... [illegible] وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ... [illegible]
... [illegible] وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
وقال صلى الله عليه وسلم ... [illegible]
... [illegible]

ارحق حقه

وجه والتشبيه والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وظفر بمراده فلا يسعى والموجود لا يطلب اي لا يطلب السعادة موجودة
في اعتقاد المعجب حاصلة ومستحيلة في اعتقاد القانط فلهذا جمع بينهما وقد قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى قال ابن جريج معناه اذا
عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبرؤها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب وقال تعالى ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا **اقول** ومن طرق [illegible] ما رواه في
بسناده عن ابي سعيد رضي الله عنه [illegible] عليه وسلم قال [illegible] عليه وسلم قال [illegible] العجب
اهلك [illegible] عليه وسلم ان الرجل [illegible] عليه العمل [illegible]
[illegible] عليه وسلم [illegible] فقال له كيف [illegible] وانا عبد الله [illegible] فقال [illegible]
[illegible] العالم ان [illegible] انت [illegible] عليه وسلم قال
دخل رجلان المسجد احدهما عابد والآخر فاسق فخرج من المسجد الفاسق صديق والعابد فاسق وذلك ان [illegible] العابد المسجد [illegible]
فلكون [illegible] الفاسق في الندم [illegible] فاستغفر الله مما صنع من الذنوب [illegible] عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه
[illegible] عليه وسلم جالس اذ اقبل [illegible] البرنس [illegible] عليه وسلم [illegible] عليه [illegible] فقال [illegible]
فقال له ابليس [illegible] الله [illegible] عليه وسلم [illegible] البرنس قال
اختطف به قلوب بني آدم فقال له موسى عليه السلام [illegible] الذنب الذي اذا اذنبه ابن آدم استحوذت عليه فقال اذا اعجبته نفسه [illegible] عمله
في عينه [illegible] قال [illegible] عليه وسلم [illegible] القانطين [illegible] المعجبين [illegible]
[illegible] المذنبين اذا [illegible] التوبة [illegible] الذنب [illegible] المعجبين [illegible] الهلاك
[illegible] قال الصادق [illegible] عليه وسلم العجب [illegible] العجب [illegible] فقد ضل [illegible]
[illegible] العجب [illegible] العلم [illegible]
[illegible] العجب [illegible] الكفر [illegible] النفاق [illegible]
[illegible] ان [illegible] العجب فقد [illegible] الكفر وربع النفاق [illegible] **بيان** آفات العجب اعلم ان آفات العجب
كثيرة فان العجب [illegible] الكبر [illegible] العجب الكبر [illegible] الآفات الكثيرة التي لا تحصى [illegible] العباد
فانه [illegible] فالعجب [illegible] الذنوب [illegible] تتفقد [illegible] تنفقد [illegible] ما
ربما تذكر [illegible] فلا [illegible] تداركها [illegible] الا [illegible] العبادات [illegible]
[illegible] الله [illegible] الله [illegible] تتفقد آفات الاعمال [illegible] تتفقد
آفات الاعمال [illegible] فان الاعمال [illegible] من الشراب [illegible] تتفقد [illegible]
[illegible] العجب [illegible] الله [illegible] عند الله [illegible]

وهلية

وهلية [illegible] العجب [illegible] نفسه [illegible] فان العجب [illegible] استفادة [illegible]
فيستبد بنفسه [illegible] سؤال [illegible] العجب [illegible]
ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ [illegible] الا [illegible] فان كان [illegible] في امر [illegible] فيه وان
كان في امر [illegible] اصول العقائد [illegible] القرآن [illegible]
[illegible] العلم [illegible] البصيرة [illegible] آفات [illegible] العجب [illegible]
[illegible] فان [illegible] **بيان** حقيقة العجب [illegible]
اعلم ان العجب [illegible] نعمه [illegible] العلم [illegible] العمل [illegible]
[illegible] الكبر [illegible] المعجب [illegible]
[illegible] العجب [illegible] الله [illegible]
[illegible] من الله [illegible] النعمة [illegible]
[illegible] العجب [illegible] النعمة [illegible] الركون [illegible] النعم
[illegible] المنعم [illegible] الله [illegible] في الدنيا [illegible]
[illegible] الرجل [illegible]
[illegible] قتادة في قوله تعالى ولا تمنن
تستكثر [illegible] صلاته [illegible]
والادلال [illegible] العجب [illegible] النعمة [illegible] الادلال [illegible]
[illegible] العجب [illegible] لا يعجب [illegible]
[illegible] العجب والادلال [illegible] **اقول** وفي [illegible] عليه وسلم قال [illegible] العجب [illegible] العمل
[illegible] **بيان** [illegible] العبد [illegible] الله [illegible]
علاج العجب [illegible] ان علاج كل علة [illegible] علاج العجب [illegible] المعرفة المضادة [illegible] العجب
[illegible] العبادة [illegible] العجب [illegible] القوة [illegible]
[illegible] العبادة [illegible] العجب [illegible]
[illegible] العجب [illegible]
[illegible] القوة [illegible]
[illegible] الله [illegible]

بد بابها فينبغي لك ان اعمالك محجوبة لديه وكرره ونشروا اذا فاض عليه [illegible] الملك العلي [illegible]

ونظر اليه فخلع على احد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لطاعة ولا لمدة [illegible] المنعم عليه من فضل الملك [illegible] وايثاره [illegible]

فالعجب منه [illegible] لم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يوخر الا بسبب [illegible]

في من الصفات المحمودة الباطنة [illegible] تلك الصفة [illegible] الملك [illegible]

من غير وسيلة [illegible] عطية الملك [illegible] التعجب [illegible]

وتقول انما اعطاه [illegible]

[illegible]

[illegible]

بيان أقسام ما به العجب والتفصيل [illegible]

[illegible]

الأول [illegible]

[illegible]

الثاني [illegible]

[illegible]

الثالث [illegible]

[illegible]

الرابع [illegible]

[illegible]

[illegible]

الخامس [illegible]

[illegible]

السادس [illegible]

[illegible]

السابع [illegible]

[illegible]

وكثرة حقوقه وعظيم غوائله وإلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيمة وإلى أن المال غاد ورائح ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه
في المال وإلى قوله صلى الله عليه وآله بينما رجل يتبختر في حلة له قد أعجبته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيمة أشار به إلى عقوبة
إعجابه بماله ونفسه وإلى جميع ما ذكره في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال من حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله فكيف يتصور من المؤمن
أن يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره إلى الخزي والبوار فكيف يعجب بماله

الثامن العجب بالرأي الخطأ قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أن ذلك
يغلب على آخر هذه الأمة وبذلك هلكت الأمم إذ افترقت فرقاً فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها
لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقاً وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه
ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جداً لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه إلا إذا كان معجباً برأيه وجهله فإنه لا يصغي إلى العارف
ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متهماً لرأيه
أبداً لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب الله أو سنة أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط
فيها إلا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط
في بعض الأمور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم أن لا يخوض في المذاهب ولا يصغي إليها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله واحد لا شريك له وأنه ليس كمثله شيء — لاستغراق
وهو السميع البصير وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة السلف **أقول** بل يتبع سنة الأئمة المعصومين من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الخاصة دون
غيرهم من السلف لما عرفت غير مرة **قال** ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا
ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال فإن خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك
من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول
الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر المطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء المؤيدون بنور الله وهو عزيز الوجود جداً فنسأل الله
العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال هذا آخر كتاب ذم الكبر والعجب من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في إحياء الإحياء
ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب ذم الغرور والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً والصلوة على خير البرية محمد وآله الأخيار

قد فرغت من تحريره ليلة الجمعة الثالث عشر من شهر ذي حجة الحرام في سنة ١٢٢٣

كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في إحياء الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور ومورد أعدائه ورطات الغرور والصلوة
على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلوة تتوالى على ممر الدهور وكر الساعات والشهور
وسلم **أما بعد** فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة ولا وسيلة
إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالأكياس وأرباب البصائر قلوبهم كمشكوة فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور
على نور يهدي الله لنوره من يشاء والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق
بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور والأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام
والهدى والمغترون هم الذين أراد أن يضلهم فجعل صدورهم ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون
بهداية نفسه كفيلاً وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائداً والشيطان دليلاً ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً وإذا عرف أن
الغرور أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته — اجناس
فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح مجاري الغرور و
أصناف المغترين من العلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادي الأمور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير إلى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فإن
ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف الصنف الأول من العلماء الصنف
الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من أرباب الأموال والمغترون من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم
من رأى المنكر معروفاً كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى في نفسه وبين ما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول
والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلوة
مقصوراً على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من المداخل التي لا تتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبدأ أولاً بغرور العلماء
ولنذكر بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وأمثلته **بيان** ذم الغرور وحقيقته وأمثلته اعلم أن قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله عز وجل ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور كاف في ذم الغرور
وقد قال النبي صلى الله عليه وآله حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين
أفضل من ملء الأرض من المغترين وقال صلى الله عليه وآله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى
على الله الأماني وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذ الجهل هو أن يعتقد
الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغروراً فيه مخصوصاً ومغروراً به وهو الذي يغره
فمهما كان المجهول المعتقد شيئاً يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا يكون دليلاً سمي الجهل الحاصل

غرورا، فإن الغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان، فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة
فاسدة فهو مغرور، وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه، فأكثر الناس إذن مغرورون، وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم
حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض، وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق، فنورد لها أمثلة لحقيقة الغرور
المثال الأول غرور الكفار، فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور، أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة
والدنيا نقد والآخرة نسيئة فإذن هي خير فلا بد من إيثارها، وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين
بالشك، وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى أولئك الذين
اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون، وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان، أما التصديق
بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق، وفي قوله وما عند الله خير وأبقى، والآخرة خير وأبقى، وقوله
وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، وقوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار
فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان، ومنهم من قال نشدتك الله أبعثك الله رسولا، فكان يقول نعم فيصدق، وهذا إيمان
العامة وهو يخرج من الغرور، وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في أن حضور المكتب خير من حضور الملعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا، وأما
المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان، فإن كل مغرور فلغروره سبب، وذلك السبب هو دليل، وكل
دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء، فالقياس الذي نظمه الشيطان
فيه أصلان، أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح، والآخر قوله إن النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس، فليس الأمر كذلك، بل إن كان النقد مثل
النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير، وإن كان أقل منها فالنسيئة خير، فإن الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة، ولا يقول
النقد خير من النسيئة فلا أتركه، وإذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الأطعمة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل، فقد ترك النقد ورضي بالنسيئة
والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الأسفار نقدا لأجل الراحة والربح نسيئة، فإن كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب
لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة، فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة، وليس هو عشر عشير من جزء من ألف ألف جزء من الآخرة، فكأنه ترك واحدا
ليأخذ ألف ألف، بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد، وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة بأنواع المنغصات ولذات الآخرة
صافية غير مكدرة، فإذن قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة، فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق وأريد به خاص، فغفل به المغرور
عن خصوص معناه، فإن من قال النقد خير من النسيئة أراد به خيرا من نسيئة هي مثله، وإن لم يصرح به، وعند هذا يفزع الشيطان إلى القياس الآخر و
هو أن اليقين خير من الشك، والدنيا يقين والآخرة شك، وهذا القياس أكثر فسادا من الأول، لأن كلا أصليه باطل، إذ اليقين خير من الشك
إذا كان مثله، وإلا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك، والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراكه على شك، والصياد في تردده رتبة العلم
في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك، وكذلك الحزم دأب العقلاء بالاتفاق، وكل ذلك ترك اليقين بالشك، ولكن التاجر يقول
إن لم أتجر بقيت جائعا وعظم ضرري، وإن اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا، وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة

الدواء

الدواء على يقين، ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالإضافة إلى ما أخافه من المرض والموت، فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول
أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر قليل بالإضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة، فإن كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني إلا التنعم أيام حياتي، وقد كنت في العدم من الأزل
إلى الآن لا أتنعم، فأحسب أني بقيت في العدم، وإن كان ما قيل صدقا فأبقى في النار أبد الآباد، وهذا لا يطاق، ولهذا قال علي رضي الله عنه
لبعض الملحدين إن كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا، وإن كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت، وما قال هذا عن شك منه في الآخرة
ولكن كلم الملحد على قدر عقله، وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور، وأما الأصل الثالث من قياسه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ، بل ذلك يقين
عند المؤمنين، وليقينه مدركان، أحدهما الإيمان والتصديق تقليدا للأنبياء والعلماء، وذلك أيضا يزيل الغرور، وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص
ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته، وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة عن آخرهم على أن دواءه النبت الفلاني، فإنه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم
ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية، بل يثق بقولهم ويعمل به، ولو بقي سوادي أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم أكثر عددا
وأوفر فضلا وأعلم بالطب منه، بل لا علم له بالطب، فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله، ولا يغتر في عمله بسببه، ولو اعتمد قوله وترك قول
الأطباء كان معتوها مغرورا، فكذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها
وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل، وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء، واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم، وشذ منهم
آحاد من البطالين الذين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع، فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار
فجحدوا الآخرة وكذبوا الأنبياء، فكما أن قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء، فكذلك قول هذا الغبي الذي
استرقته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والعلماء، وهذا القدر من الإيمان كاف لجملة الخلق، وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة، والغرور
يزول به، وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء، ولا تظنن أن معرفة النبي لأمر الآخرة ولأمور
تقليده الدين تقليد لجبريل بالسماع منه كما أن معرفتك للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك كمعرفته وإنما يختلف المقلد فقط، هيهات، فإن التقليد
ليس بمعرفة، بل هو اعتقاد صحيح، والأنبياء عارفون، ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها، فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد
أنت المحسوسات بالبصر الظاهر، فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد، وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله، وليس المراد بكونه
من أمر الله الأمر الذي يقابل النهي، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام، وليس المراد بالأمر الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط، لأن
ذلك عام في جميع المخلوقات، بل العالم عالمان، عالم الأمر وعالم الخلق، ولله الخلق والأمر، فالأجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق، إذ
الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان، وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فإنه من عالم الأمر، وشرح ذلك يستدعي كشف سر الروح، ولا رخصة
في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه، كسر القدر الذي منع من إفشائه، فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه عرف ربه، وإذا عرف أنه
رباني بطبعه وفطرته، وأنه في العالم الجسماني غريب، وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته، بل بأمر عارض غريب من ذاته، وذلك العارض الغريب ورد
على آدم عليه السلام، وعبر عنه بالمعصية، وهي التي حطته عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته، فإنها في جوار الرب، وإنه أمر رباني وحنينه إلى جوار الرب له طبعي ذاتي
إلا أن يصرف عن مقتضى طبعه بعوارض العالم الغريبة من ذاته، فينسى عند ذلك نفسه وربه، ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه، إذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم

النفسهم اولئك هم الفاسقون فان الخارجين عن مقتضى طبيعتهم وسلطنة شهواتهم [illegible] عن كلامها اذا خرجت عن حد الاعتدال
وهذه بشارة الى اسرار عجيبة لا يستنشق روائحها الا العارفون ويتشممون من رياح الفاظها القاصرون فانها تضرهم كما تضر ريح الورد بالجعل
وتبهر ضعيف العقل كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وفتح هذا الباب للمطلع على الملكوت ليستر بسره ودلالته وليسترق حجابها [illegible] وعارفها اهل سائر
مقامات الانبياء وادنى مقامات الاولياء واول مقامات الانبياء ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة شك يدفع اما باليقين تقليدا
واما بالبصيرة [illegible] والمركوز في نفسهم والعقيدة [illegible] اذا ضيعوا امر الله وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات [illegible]
الكفار في هذا الغرور لانهم اثروا الحياة الدنيا على الاخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم من عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا
مغرورون فانهم اعترفوا بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا
ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال النبي صلى الله عليه وآله للاعرابي الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون
المطمئنون الى الدنيا الفرحون بها المترفهون بنعيمها المحبون لها الكارهون للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين خيفة لما بعده فهذا
مثال المغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر [illegible] من غرور العاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم
في انفسهم وبالسنتهم انه لو كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا [illegible] كما اخبر الله تعالى عن قول الرجلين المتحاورين اذ قال
وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وحكاية امرهما كما ذكر في التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف
دينار واشترى خدما بالف دينار وتزوج امرأة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة
واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة وخدما لا يموتون ولا يفنون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه
الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان فيكون لي في الاخرة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول
لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا [illegible] قال لاوتين [illegible] العاص
[illegible] في الاخرة [illegible] ولدا [illegible]
الله تعالى افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الآيات وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا
لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي الآية وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله
عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعم الاخرة وينظرون الى تأخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما قال تعالى ويقولون
بالسنتهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم
ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه الشيطان في قلوبهم
انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن في المستقبل ايضا [illegible] احسن الله الينا [illegible]
فانما قيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب بل تحت ظنه

انعامه

انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان
صغيران يبغض احدهما ويحب الآخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه
الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه
من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات عن الله تعالى
فان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه وهكذا ورد في الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا
وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة المقت والاهمال واذا اقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا
ظن انها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن انها هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي
اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا فاجاب الله عن ذلك كلا اي ليس كما قال [illegible]
ولكن الكريم من اكرمه الله بطاعته غنيا كان او فقيرا والمهان من اهانه بمعصيته غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان
اما بالبصيرة واما بالتقليد اما بالبصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله تعالى ووجه كون التباعد عنها
مقربا الى الله تعالى ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه في جملة علوم المكاشفة لا في علم المعاملة واما معرفته بطريق
التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله صلى الله عليه وآله وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
وفي تفسير قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم [illegible]
الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته
فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات الفاسدة وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض كيف احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر
الله مكره فقال فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقال تعالى انهم يكيدون
كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد
بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه [illegible] السيد لم يجز ذلك في حق الله [illegible] فاذن من امن مكر الله
فهو مغرور ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعيم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فلا جرم
بواسطة الهوى يميل القلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور **المثال الثاني** هو غرور العصاة
من المؤمنين بالله بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسميتهم تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم ان
الرجاء مقام محمود في الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة
الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والصلاح

وهو مع غاية الفسق والفجور يتمنى وذلك بغاية الاغترار بالله فيلبس الشيطان بالعلوية لمن احب اباه وبزعم ان الله تعالى قد احب اباه ثم يحكم
على ان يحب للا الطاعة وقد عرف المغرور ان نوحا عليه السلام اراد ان يستصحب ولده في السفينة فلم يمكن فاغرقه الله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
وان ابراهيم استغفر لابيه فلم ينفعه ذلك وهذا لغاية الاغترار بالله لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي فكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه الولد العاصي فكذلك
لا يحب الولد العاصي بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لكان البغض ايضا يسري بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو
بتقوى ابيه كان كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيئا
وعند جزاء التقوى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر
والعجب فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو مغفرته ورحمته وهذا الكلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي
الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله تعالى الرجاء
فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجاء بهم اليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر
وجزاء على الاعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى وانما توفون اجوركم يوم القيامة افترى ان من استؤجر على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان
الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستأجر كريم افتراه
العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرة فان من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه
وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن او آمن
ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما انه اذا نكح ووطئ وانزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع
الآفات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف
ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويحفظ دينه من
سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو اذا كيس ومن عدا هؤلاء فهم يعلمون حين
المغرورون بالله وسوف يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون اي علمنا انه كما لا يولد الولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت الزرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب واجر الا بعمل صالح
فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير
قالوا بلى قالوا الم يأتكم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم
قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له
التوبة فقال له الشيطان واني تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله تعالى يقبل التوبة عن عباده
وان الله غافر الذنب قابل التوب وقوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقوله

الى ربكم

الى ربكم واسلموا له امرهم بالانابة وقال تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع
المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك الجمعة فاقم في
موضعك فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو ان يدرك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تأخير الامام الصلاة لاجله الى وقت
او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو مغرور والثاني ان تفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى
وما وعد الله به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع
الفتور المانع من النشاط والتشمير فكل توقع حث على توبة او على تشمير في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا
الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعبادة فيقول له الشيطان ما لك وايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب بالعمل
كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو الغرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم
عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الآباد مع انه لم
يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته
في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه وكيف اغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور
ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب اعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر ان الغرور سيغلب على آخر هذه الامة وقد كان ما وعد به فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون
ما آتوا وقلوبهم وجلة يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون
على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم
عن الله تعالى زاعمين انهم واثقون بكرم الله وفضله راجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون انهم عرفوا من كرمه وفضله ما لم يعرفه الانبياء
والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلام اذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق
هذه الامور في كتاب الرجاء والخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه
القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان امرهم كله يكون طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال
يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه وبمثله اخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب اي علماء ياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما ويقولون سيغفر لنا وقال تعالى ذلك
لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا
بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها وخفضها ونصبها وكأنهم يقرؤون شعرا من اشعار العرب
لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور

ومنهم فرقة اخرى لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه ترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر
وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما تناوله من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل الذي تصدق به
من اموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال او الحرام وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان
وفي الكفة الاخرى الفا واراد ان يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه
ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه او يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم
ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو
كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة او الف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون واوعده الله العقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد فهذا ابدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين
الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه
الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة
نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ما هذه الا مصيبة
عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق
بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله ان نكون من اهل الكفر فسبحان من صدنا عن التنبه والتدبر مع هذا البيان وما اجدر من يقدر على
تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى

بيان

اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف من الاصناف **الصنف الاول** اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم
الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله
بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم
مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة
فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة اليه لم يكن لها
قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء
فيسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجتلب
وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويعلمها
المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات هيهات لو كتب منه الف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفي جميعهم
وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه
في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه

فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة ولم يزك نفسه منها واحكم
علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال الله تعالى قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وعند
هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض انما مطلبك القرب الى الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو
عليه الاخبار الواردة في فضل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن اليه واهمل العمل وان كان كيسا
فيقول للشيطان اتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى كمثل
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم
يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال صلى الله عليه وسلم يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى
وكقوله صلى الله عليه وسلم شر الناس العلماء السوء وقال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وامثال ذلك مما
اوردناه في كتاب العلم في بيان علامة علماء الآخرة اكثر من ان تحصى الا انه لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضائل العلم يوافقه
فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم
هو الذي اخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله اشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه مع التضييع ناج فهو في غاية الغرور واما
الذي يشتغل بعلوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله وحدوده فغروره اشد ومثاله مثل
من اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه
وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على
الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته
وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط وبمعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب
الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون المعاني
اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما
وكفى بالاغترار بالله جهلا فادن تقيته من يعرف الله امره ورايته علم من صفاته ما احبه ويكرهه وهو العالم الحقيقي ومن يرد الله به خيرا يفقهه
في الدين فاذا لم يخف هؤلاء بعد هذه فهؤلاء من المغرورين وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا
انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء للاقران والنظراء
وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم
ادنى الرياء شرك والى قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى
قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات
في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر

الا قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال ولم يتعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثالهم كالبئر حش ظاهرها
جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على ظاهره حتى استنار ظاهره وباطنه
مظلم وكرجل اراد ضيافة الملك الى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى كثرة ذلك الغرور ومثاله ايضا كرجل
زرع فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه عن اصله فاخذ يجز رؤسه واطرافه فلا تزال تقوى اصوله وتنبت لان مغارس
المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب
وقد امر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وتناول ما يزيد في
المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن وفرقة اخرى علموا ان هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها
مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى بها العوام دون من بلغ
مبلغهم في العلم فاما هم فاعظم عند الله من ان يبتليهم ثم اذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قالوا ما هذا كبر وانما هو طلب عز الدين
واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس
شمت بي اعداء الدين وفرحوا به وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه منه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله
ويسخر به ونسي ان النبي صلى الله عليه وآله بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين ونسي ما روي عن السلف من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر
والمسكنة حتى عوتب بعضهم في بذاذة زيه فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين وشرف
العلم بالثياب الرقيقة من القصب والديبقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب به عز الدين وشرف العلم وكذلك مهما اطلق اللسان
بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هو غضب للحق ورد على المبطل في عدوانه وظلمه
ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه مثل غضبه
الآن فيكون غضبه لله ام لا يغضب لطعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا
يرائي باعماله وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله فيتخلصوا من
عقاب الله ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على
يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه
الشيطان ايضا بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر لي والثواب فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه
والله مطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل
لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه
ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في المال والرياسات
فاما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان

فصار

فصار يشفع في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين لثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل
وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم
وبك قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة امور احدها انه مال لا مالك له وانه يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين
واهل السواد والذين اخذ منهم احياء وقد ماتوا واولادهم وورثتهم احياء وغاية الامر وقوع خلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة
انفس وخلطها فلا خلاف في انه حرام ولا يقال هو مال لا مالك له بل يجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشرة وان كان لكل واحد عين ما اخذ
والثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على
الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا وتركوها واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب
الشيطان لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به
في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا ولعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة
وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارجة عن الحصر
وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة اخرى احكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصي وتفقدوا
اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية
ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خدع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها
وانما مثالهم مثال من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه الا انه لم يفتش على ما لم يخرج راسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل
قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد قلعها فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت
وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله
ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي
هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم وتقديمه في
المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤوس الى كلامه
والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والامثال بالجمع بين العلم والورع
وظاهر الزهد والتوكل فيحصل من ذلك اطلاق اللسان بالطعن في المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال التمييز واعتداد
بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور جوهره في الباطن ما ينتظم امر الامارة وعز الولاية وتقدم الاقران وحسن الثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا
فيه خلاف ما [illegible]
في تعظيم [illegible] ان كان قد اعتقد فيه الزهد والورع [illegible]
وورعه وان كان [illegible] الطمع

[illegible]

واتبع طرازه واكثر ثناء عليه واخلاصه حبا اليه واحرص على خدمته العلماء يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن انه فرح لاهتدائهم لا لاجل نصره قدر دفعهم
بحق على محمد صلى الله عليه وسلم ... وهو يرى ان ذلك لذنوبه ولم يتفقد من نفسه التصحيح لله فيه ولو وعد مثل ذلك الثواب
في ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لربما فتر لفقده في العزلة والاختفاء لانه يتقبول مع فقد الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من
زعم انه يعلم فيخدعه ووقع في حبائلي فيرغب في التصنيف فيرى انه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد به الاستطالة بتحسين التصنيف فلو
ادعى مدع تصنيفه ومحى عنه اسمه ونسبه الى نفسه لثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله عالم بانه المصنف لا من
ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليتبين انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في
غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله ويستحسنه ولعله لا يعزيه الى قائله ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره
ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الالفاظ وتسجيعها وتحسين نظمها لئلا ينسب الى الركاكة
ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وترتيبها ليكون اقرب الى نفع الخلق وهو غافل عما روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة وستين مصحفا في
الحكمة فاوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا وان الله لا يقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا تكلموا
في السلامة عن عيوب القلب وخفاياها ولو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه لنظر كل واحد الى كثرة اتباعه واغتبط اذا كان اكثر تبعا ويغتم
ان كان اتباع غيره اكثر وان علم الاخر مثل علمه او اكثر ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف
الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل عليه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يتشمر باطنه لاكرامه ولا يتيسر لقضاء حوائجه كما كان يتيسر
قبل ذلك ولعله يحرص على الثناء عليه كما يحرص من قبل مع علمه بانه مشتغل بالاستفادة ولعل التحيز الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لافة من الافات
كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته منها في تلك الفئة ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه ولعل الواحد منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد لم يقدر على
اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح به وان اثني
عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من
خفايا العيوب لا يفطن لها الا الاكياس ولا يتنزه عنها الا الاقوياء ولا مطمع فيها لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات
الانسان ان يعرف نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو
مرجو الامر وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه نعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة
بخفايا العيوب مع الاهمال فهذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم
وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات
وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعاش فخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة
والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا
قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور

وان

وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وحفظه وتعليمه بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ويحتاج
الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة
لامرأة وتسألني عنه وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات
الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان
والجراحات والديات والدعاوي والبينات وبكتاب الحيض لا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل
بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض الكفاية وليس يدري ان لا
يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال ولو كان قد قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه ان قصد وجه الله فهو باشتغاله
معرض عن فرض عين عليه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم
الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه واله وربما طعن في المحدثين بانهم نقلة اخبار وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق
وترك الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على
انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره
ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال
بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك
الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله
فمثال الفقيه المقتصر على علم الفتاوى مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه
ليس من الحاج في شيء وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم المجادلة والالزام وافحام الخصوم
ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التشبيهات
المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمتهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم من المباهاة بالاقران فكل علم لا يحتاجون
اليه في المباهاة كعلم القلب وسلوك الطريق الى الله بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام
الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتناظرين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى
لكنهم زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل
عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وفهم معانيهما واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية
فانما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل فغرور هؤلاء اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا
بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة

أو لكنه في أهم الأمور وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون للعبد عمل إلا بالإيمان ولا يصح إيمان إلا بأن يتعلم جدالهم وما سموه أدلة
عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتبع علمهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان ضالة
ومحقة فالضالة هي التي تدعو إلى غير السنة والمحقة هي التي تدعو إلى السنة والغرور شامل لجميعهم أما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم
فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وإنما أتيت من حيث إنها لم تتهم رأيها ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومنهاجها فرأت الشبهة دليلا والدليل شبهة وأما
الفرقة المحقة فإنما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله وزعمت أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يفحص ولم
يبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير تحرير الدليل فليس بمؤمن أو ليس بكامل الإيمان ولا مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم
الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم وأهملت أنفسها وقلوبها حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وهو يظن أن
اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه لالتذاذه بالغلبة والإفحام ولذة الرياسة وعز الانتماء إلى الذب عن دين الله عميت بصيرته
فلم يلتفت إلى القرن الأول فإن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا من أهل البدع والأهواء فما جعلوا أعمارهم ودينهم
غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه إلا من حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول
فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته وإذا رأوا مصرا على ضلالته هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر
بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنة ومن السنة ترك الجدال في السنة إذ روى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ضل قوم قط
بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه يوما وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ في وجهه حب
الرمان حمرة من الغضب فقال أبهذا بعثتم أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد
زجرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وكانوا أحق خلق الله بالحجاج والجدال ثم إنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم وقد بعث إلى كافة أهل الملل فلم يقعد معهم
في مجلس جدل إلزاما وإفحاما وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام فما جادلهم إلا بتلاوة القرآن المنزل عليه ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك
يشوش القلوب ويستخرج منها الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الأقيسة وأن يعلم
أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا أهل الأرض وهلكت لم تنفعك نجاتهم ولو هلكوا ونجوت لم يضرك
هلاكهم وليس علينا في المجادلة إلا ما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم فما لك تضيع العمر ولا تضيع
إلا ما ينفعك في يوم فقرك وفاقتك ولم تخوض فيما لا تأمن على نفسك الخطأ في تفصيله ثم ترى أن المبتدع ليس يترك بدعته بجدالك بل يزيده
التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالك بمخاصمة نفسك ومجاهدتها ومجاهدة الشيطان لترك الدنيا للآخرة أولى لو كنت تعلم أنه من أهل الخصومة
فكيف وقد نهيت عنه وتكلف أداء الأشياء بترك السنة فالأولى بك أن تتفقد نفسك وتنظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى ومن صفاتها ما يحبه الله
والتمسك بالمحبة **وفرقة أخرى** اشتغلوا بالوعظ وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر
والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا
موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يعجبون

بأنفسهم

بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ما تبحروا في علم المحبة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون وما وقفوا على
خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها منزهون ولولا أنه مقرب عند الله لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين
بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من مكر الله ويرى أنه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله عز وجل وهو من
الساخطين ويرى أنه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الإخلاص فيترك
الإخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرائي بذكره ليعتقد فيه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة
حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه آمن ويذكر بالله وهو له ناس ويقرب إلى الله وهو منه
متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع من المجلس الذي يدعو
فيه الناس إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا
ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن المرغب
في الأخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج
وكيف سبيل تخويفه وإنما المخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم لو كان يعتقد أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة أمكن أن يدل
على طريق الامتحان والتجربة وهو أنه يدعي حب الله فما الذي تركه من محابه لأجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي
ترك مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الأنس بالله تعالى فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش عن مشاهدة الخلق لا بل تراه يمتلئ قلبه حلاوة إذا أحدق به
المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها
بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون فإذا كشف عنهم الغطاء في الآخرة يفتضحون بل يهلكون
في الآخرة في النار فتندلق أقتابهم فيدورون بها كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإنما
وقع الغرور لهؤلاء لأنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من أصول هذه المعاني وهو حب الله تعالى والخوف منه والرضا بفعله فقدروا أنه مع ذلك
وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم إنما قدروا على وصف ذلك لما رزقهم الله منه وانتفع الناس بكلامهم فظنوا أنهم [illegible]
عليهم القبول للكلام والكلام بالمعرفة وعن اللسان والمعرفة بالعلم دون الاتصاف بالصفة [illegible] المسلمين في الاتصاف
بصفة الخوف من القدرة على الوصف [illegible] وضعف في قلبه حب الله تعالى [illegible] الضعيف
دون الفصاحة ويصف الصحة والشفاء [illegible] ويصف الصحة والشفاء [illegible]
المرض والاتصاف به بل إنما [illegible] والعلم بحقيقة الصحة [illegible] علم الخوف والحب والتوكل والزهد
وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها [illegible] الاتصاف [illegible] أحوال الوعاظ الذين [illegible]
كلامهم من منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والأخبار **وفرقة أخرى** منهم عدلوا عن المنهج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل الزمان كافة
إلا من عصمه الله على الندور في بعض أطراف البلاد إن كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا

للأعوان وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر همهم في الأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق
وغرضهم أن تكثر في مجلسهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الإنس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فإن الأولين
إن لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم وأما هؤلاء فإنهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الرجاء
فيزيدهم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما إذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فإنه يشهد من قرنه إلى قدمه بشدة حرصه
على الدنيا فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه كونه مغرورا وفرقة أخرى منهم قنعوا بحفظ
كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في
المحاريب وبعضهم في الأسواق مع جلسائه وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر عن السوقية والجندية إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح
ونال الغرض وصار مغفورا له وأمن من عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام الزهاد وأهل الدين يكفيه وغرور
هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث أعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الأسانيد
الغريبة العالية فهمة أحدهم أن يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا أروي عن فلان ولقد لقيت فلانا ومعي من الإسناد ما ليس مع غيري
وغرورهم من وجوه منها أنهم كحملة الأسفار فإنهم لا يصرفون العناية إلى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر ليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم ومنها
أنهم إذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعض ذلك أيضا فلا يعملون به ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين عليهم وهو
معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الإسنادات وطلب العالي منها ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان
أيضا أنهم لا يقومون بشرط السماع فإن السماع بمجرده وإن لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد الإثبات
والعمل بعد التفهم فالأول السماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ
والحديث يقرأ والشيخ نائم والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع ثم إذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط
وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف أو غير ما يقرأ عليه لم يشعر ولم يعرفه وكل ذلك غرور إذ الأصل في الحديث أن يسمع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيحفظ كما يسمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فإن عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماعك ممن يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصغي فتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ
كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا أو أخطأ علمت خطأه والحفظ طريقان أحدهما الحفظ بالقلب والاستدامة بالذكر والتكرار
كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الأحوال والثاني أن تكتب ما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظ كتابك حتى لا يصل إليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب
لكن في خزانتك فإنه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيره وإذا لم تحفظه لم تشعر بتغيره فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما
سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف فإذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك
جوزت أن يكون ذلك مغيرا أو يفارق حرفا من النسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فإنك لا تدري لعلك لم تسمع فيه بل سمعت شيئا آخر
ولو في كلمة فإذا لم يكن حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة سمعتها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم

وقول

وقول الشيخ كلهم في هذا الزمان أنا صحيح في هذا الكتاب إذ لم يراع الشرط الذي ذكرناه كذب صريح وأقل شرط السماع أن يجري الكل على سمع الشيخ مع
نوع من الحفظ يشعر بالتغيير ولو جاز أن يكتب سماع الصبي الغافل النائم الذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم إذا بلغ الصبي وأفاق المجنون
يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فلا فرق بين أن يكتب سماع الصبي في المهد لأنه لا يفهم ولا يحفظ كما أن الصبي الذي يلعب والغافل المشغول
بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وهل للسماع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها وكيف يؤدي كما سمعها
من لا يدري ما سمعه فهذا أفحش أنواع الغرور وقد بلي به أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخا إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة
إلا أن للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع عليهم في حلقهم فينقص جاههم ويقل أيضا عدد ما سمعوه بهذا الشرط بل
ربما عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه دمدمة وإن كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم علماء
أصول الفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا بشرطه لكانوا أيضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي إفنائهم أعمارهم في جمع
الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين
كان من سماع ... يحرزون الغرور وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء
الأمة إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم النحو واللغة فأفنوا أعمارهم في دقائق النحو وفي صنعة الشعر وفي غريب اللغة ومثالهم مثال من يفني
جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكنه
أن يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع عمره في
معرفة لغة الترك والهند وإنما فارقتها لأجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم الغريبين في الأحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالكتاب والسنة وأما التعمق
فيه إلى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهو أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح
مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ المقصود من الحروف المعاني وإنما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج إلى شرب السكنجبين ليزيل ما به من الصفراء
فضيع أوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءة والتدقيق في مخارج الحروف
مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب الأقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو
كالقشر للعمل وكاللب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالإضافة إلى المعرفة ولب بالإضافة إلى ما فوقه
وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغرورون إلا
من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره
في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له
ومنازل بالإضافة إليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر
بها أربابها فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث إنها علوم فكان الغرور فيها

اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة [illegible]

[illegible] **دقيقة اخرى** [illegible]

[illegible]

[illegible] **الصنف الثاني** [illegible]

[illegible]

[illegible] **دقيقة اخرى** [illegible]

[illegible] **دقيقة اخرى** [illegible]

[illegible] **دقيقة اخرى** [illegible]

[illegible] **دقيقة** [illegible]

دقيقة اخرى [illegible]

[illegible]

وفرقة أخرى أحدثت في طريق حسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه فإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز والجاه فلو باشر هو منكرا فرد عليه غضب فقال أنا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه غلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم أخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام المسجد فلو تقدم غيره ولو كان أورع منه وأعلم ثقل عليه

وفرقة أخرى جاوروا بمكة أو المدينة واغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفهم إن فلانا مجاور بمكة وتراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدث وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يجاور ويمد عينه الطمع إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئا شح به وأمسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وأن يقال إنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف غرور الصلاة من كتاب الصلاة وغرور الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب

وفرقة أخرى زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمرين وباء بأعظم المهلكين فإن الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد أن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الأخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطاول بذلك على الأغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو من توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل إلى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فإذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبائه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه

وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ما تقرب المتقربون إلي بمثل أداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الإنسان فرضان

الا ان

إلا أن فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فإن المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له من أبر يا رسول الله قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك قال ثم من قال أدناك فأدناك فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب فإن استويا فبالأحوج فإن استويا فبالأتقى والأورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وإن كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤهما محذور والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لأن المغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفطن لمصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذاهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات أو المعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن المقصود من الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حاجاته فمعرفة ما يحتاج إليه هو في قلبه أولى ولكن حب الرياء والجاه واللذة في المباهاة ... حتى يعرض من نفسه ويطلب الشغل بمورد ...

الصنف الثالث المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة ففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وألفاظهم وفي آدابهم ورسومهم واصطلاحاتهم وأحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من المقاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتاقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الأبطال أبياتا وتعودت إيراد تلك الأبيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيفية تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت إلى المعسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها أجئت للاستهزاء بالملك والاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فألقوها قدام الفيل

ليستخبثها فاقتنت الأخضر وهكذا يكون حال الذين تصوفوا في الثياب إذ كشف عنهم الغطاء وعرضوا على الملك الكريم الذي لا ينظر إلى الزي والمرقع
بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى زادت على هؤلاء في الغرور إذ شق عليهم الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون وأرادت أن
يتظاهروا بالتصوف ولم يجدوا بداً من التزين بزيهم فتركوا الخز والإبريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة
ولبسوا من الثياب ما هو أرفع قيمة من الخز والإبريسم وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثياب وكونه مرقعاً ونسي أنهم إنما لونوا الثياب
لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ وإنما لبسوا المرقعات إذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فأما تقطيع الفوط
الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين فإنهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة
ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلاً عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء
مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدي بهم ومن لم يقتد بهم فسدت عقيدته في أهل التصوف كلهم فيظن أن جميعهم كانوا من جنسهم فيطول اللسان في الصادقين
منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين المغرورين. وفرقة أخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال
والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات
فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلاً
عن العوام حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياماً معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كأنه
يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد إنهم أجراء متعبون ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله
محجوبون ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط
علماً ولم يهذب خلقاً ولم يرتب عملاً ولم يراقب قلباً سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه. وفرقة أخرى منهم وقعت في الإباحة
وطووا بساط الشرع والأحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الناس
تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وإنما يغتر به من لم يجرب أما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال
ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل كلفوا تأديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم
يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا
عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال
البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجتهم على درجة الأنبياء إذ كان يصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة
حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الإباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس
يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء وإحصاء أصنافهم
يطول. وفرقة أخرى جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد
والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه

واله

واله بالله تعالى ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إيثار هوى نفسه على
أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل
فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فما فهموا أن التوكل المخاطرة عز وجل
بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب
واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب
وفرقة أخرى ضيقت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلوب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة
ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال
دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجيه فهو مغرور. وفرقة أخرى
ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوماً وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال
وإنما غرضهم التكبر وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون أن غرضهم الإرفاق وغرضهم الاستتباع
وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم
يأخذ أموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والإرفاق وباعث جميعهم الرياء
والسمعة وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهراً وباطناً ورضاهم بأخذ الحرام والإنفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج
لإرادة الخير كمن يعمر مسجد الله فيطينه بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة. وفرقة أخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب
الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علماً وحرفة فهم في جميع أحوالهم مشغولون
بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيباً عيب والالتفات إلى كونه عيباً
عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الأوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان
كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه. وفرقة أخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدأوا
سلوك الطريق وانفتحت لهم أبواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادئ المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم غرابتها فتقيدت
قلوبهم بالالتفات إليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية
فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول إلى المقصد وكان مثاله مثل من قصد ملكاً فرأى على باب ميدانه روضة
فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى مثلها قبل ذلك فوقف ينظر إليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك. وفرقة أخرى
جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات إليها
جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم وصلوا إلى الله تعالى فوقفوا وغلطوا فإن لله تعالى سبعين حجاباً من نور لا يصل السالك
إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل وإليه أشار بقول إبراهيم صلوات الله عليه إذ قال الله تعالى إخباراً عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا

وليس المعنى بهذه الاجسام المضيئة فانه كان يراه في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها اكبر من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخيل اليه في اول ما كان يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الآفلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وسالك هذه الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله اعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله تعالى عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة بالمرآة فيظن انه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله تعالى قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة او في ماء فيظن ان الكوكب في المرآة او في الماء فيمد يده اليه ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان لا ينبغي ان يذكر اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله تعالى ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل

بجملة

تركناه

الصنف الرابع ارباب الاموال

والمغترون منهم فرق كثيرة ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله ورد الاموال الى ملاكها اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفه الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمائهم المكتوبة فيها لا لبقاء الخير والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع

الذي

الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب ولولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك

ففرقة اخرى ربما اكتسبوا المال من الحلال وانفقوا على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره او بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم وافضل واولى من الصرف الى بناء المساجد وزينتها وانما يخف عليهم الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس والثاني انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش المنهي عنها الشاغلة قلوب المصلين المختطفة ابصارهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة الى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن انه مطيع له وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قيل جاء رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغي ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي بحق اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبأ بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور هذا من حيث انه رأى المنكر معروفا واتكل عليه

وفرقة اخرى ينفقون الاموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما ياخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه وقال ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج فتامرني بشيء فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم قال بشر فاي شيء تبتغي بحجك تزهدا او اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان اصبت مرضاة الله تعالى وانت في منزلك وتنفق الفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى اتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة انفس مدين يقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضي به وطرا فاظهرت الاعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين

وفرقة اخرى من ارباب الاموال اشتغلوا بحفظ الاموال وامساكها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين

وفرقة اخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث

الذين يرجعون عنه ويطلبون من الفقراء الذين يترددون في حاجاتهم ثم يحتاجون اليه في المستقبل لاستمالة قلوبهم كيما احد غرض
او يستعملون في ذلك المال من بعينه والعطاء للاكابر من المستظهر به ليتبنيث لك عنده درجة يعلم ان حاجاته ولكل ذلك مفسدات النية ومحبطات
للعمل وصاحبه مغرور يظن انه يطيع الله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره وهذه آفات من غرور ارباب الاموال اكثر من ان تحصى
وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور **وفرقة اخرى** من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا
ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون
لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد
لغيره اذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر احدهم بما يسمعه من الوعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تداخله رقة
كرقة النساء فيبكي ولا عزم وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى
بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجري او الجائع الذي يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية
ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من جوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيئا فكل وعظ
لم يغير منك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله تعالى اقبالا قويا او ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك
فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا **فصل** فان قلت فهذا الذي ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص منه احد ولا يمكن الاحتراز منه
وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فاقول الانسان اذا فترت همته في شيء اظهر الياس منه واستعظم
الامر فيه واستوعر الطريق واذا هاج غرامه اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان
اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه استنزله واراد ان يستخرج الحوت من اعماق البحار استخرجه واراد ان يستسخر السباع
والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها واراد ان يأخذ الافاعي والحيات ويعبث بها فاخذها واستخرج الترياق واراد ان يتخذ الديباج
الملون المنقوش من ورق التوت اتخذه واراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال فاخرجه واراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري
والصحاري فاقتنصها واراد ان يعرف الكواكب وطولها وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة ومسح بها الارض وعمل الاسطرلاب مقاديرها
واعد الآلات الفرس ليركبه والكلب ليصيد له والبازي ليقتنص له الطيور وهيأ الشبكة ليصطاد بها السمك الى غير ذلك من دقائق حيل
الآدمي كل ذلك لانه اهمه امر دنياه وذلك معين له في دنياه فلو اهمه امر آخرته فليس عليه الا عمل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويمه وتحير في ذلك
وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس كذلك ولو اصبح وهمه هذا الهم الواحد لسهل عليه
وليس هذا من جنس ما يعجز عنه فلم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج
الى عشر تعبه في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت فقد قربت الامر فيه مع انك اكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو
العبد من الغرور فاعلم انه ينجو منه بثلاثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة امور لا بد منها اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية
والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ

عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منهما في اصل الفطرة وهذا اذا لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن
تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وآله تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا
ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل
من العقل واليقين وعن ابي الدرداء انه قال قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في
سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
انما يجزى على قدر عقله وقال انس اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا خيرا فقال صلى الله عليه وآله كيف عقله فقالوا يا رسول الله
نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال صلى الله عليه وآله كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يتقرب الناس على
قدر عقولهم وقال ابو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سال عن عقله فاذا قالوا حسن
قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال صلى الله عليه وآله لن يبلغ وذكر له شدة عبادة رجل فقال صلى الله عليه وآله
كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون **اقول** وقد صنفنا اخبارا من طريق اهل البيت عليهم السلام في
كتاب العقل من ربع العبادات **قال** والذكاء وشدة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت بلادة
وحماقة فلا تدارك لها الثاني المعرفة واعني بها ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف
نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى
والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب
القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس ووصف جلال الله تعالى ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة
وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليه بما ذكرناه
في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة
ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير اهم اموره ما يوصله الى الله تعالى وينفعه
في الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء حاجة كان قصده منه الاستعانة
على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك
هو المفسد للنية وما دامت الدنيا احب اليه من الآخرة وهوى نفسه احب اليه من رضا الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على
قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه الى
الله تعالى وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات
شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذه بادب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات
يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعرف طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات

الصفات المحمودة التي لا يمكن ان ينتزع خلقا من الاخلاق الذميمة الا بعد مجاهدة [illegible] فاذا انقطع ذلك [illegible] من الانواع التي [illegible] من العلم [illegible] صلاح
كله ان يغلب حب الله تعالى على القلب ليسقط حب الدنيا [illegible] الارادة فيصح فيه النية [illegible] الا بامر [illegible] كما قلنا فان
قد اعان [illegible] في ذلك [illegible] فلم يكن له الشيطان [illegible] من العلم ودعوة الناس الى الله عز وجل
الله عز وجل فان المريد المنفصل الفارغ من تهذيب الاخلاق ومراقبة القلب [illegible] عن جميع الكدورات [illegible] المستقيم وصفوت
الرياء [illegible] وانقطع [illegible] ثم [illegible] الاثم [illegible] الله [illegible] الشوق الى لقائه
وقد يجد الشيطان [illegible] من حب الدنيا وشهوات النفس [illegible] الطبيعة [illegible] الدين [illegible] الشفقة عليهم
[illegible] النصح لهم [illegible] العبد [illegible] الحسد [illegible] المرض [illegible]
لا يشعرون [illegible] الحسد [illegible] الشيطان [illegible] وقد كان عنده [illegible] المعرفة [illegible]
الاسعاد [illegible] فاذا [illegible] الشيطان [illegible]
[illegible]
فاستعمل [illegible] الليل [illegible] النهار [illegible] العاقبة
بعد طول السقام ثم [illegible] المسلمين [illegible] العظمة [illegible]
ان [illegible] الذي [illegible] بقدر [illegible] الرقة [illegible]
[illegible] جعلها [illegible] العبد [illegible] الطريق [illegible] القلوب [illegible] فضل
[illegible] الشيطان [illegible] رجاء
ان يجد [illegible] الفتنة فلما [illegible] الشيطان [illegible] الفتنة [illegible] المريد
فلم [illegible] الحديث [illegible] التصنع [illegible] الالفاظ [illegible]
فاقبل [illegible] الملوك [illegible]
فصار [illegible] العجب [illegible]
[illegible] الملوك والسلاطين [illegible] النفس [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible] الشيطان [illegible]
[illegible] الطبع [illegible] الشيطان [illegible]
[illegible] الغضب [illegible] الشيطان [illegible]
ذلك [illegible]
[illegible] الطبع [illegible]

ورد بازاده [illegible] الاوراد [illegible] الشيطان [illegible] ذلك [illegible] الطريق [illegible]
[illegible] الرياسة [illegible]
[illegible] القلوب [illegible] الاستدراك [illegible]
[illegible]
[illegible]
اخوانه [illegible] فان كان [illegible] الناس [illegible]
[illegible] الشيطان [illegible]
القلوب [illegible] القلوب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الظالم [illegible]
[illegible] الوعظ [illegible] القلوب [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
العلم [illegible] القلوب [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] النصح [illegible]
بالشهوات [illegible] الرياسة [illegible] الوعظ [illegible]
حرام [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] القلب [illegible] النفس [illegible]
[illegible]
[illegible] النصح [illegible]
الصدق والاخلاص [illegible] الشيطان [illegible]
[illegible]
[illegible] التيقظ [illegible]

من كل ذنب بلغ ذلك الشيطان ان اكرموا اذا ظننت انك بعملك تخلصت من غضبه لك فوقعت في حبائله فان تلك نعلم من مقالات غلمى
ذلك من الله تعالى لانه والرسول لا يتوقع خلاص من الشيطان منه الا بتوفيق الله وعونه ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن الثبات فاذا قدر عمل فالاكمل
العظيم علم انه لا يقدر عليه بنفسه من الله فالتواضع في عمله لا العجب فهل اصاب فيه الغرور بفضل الله والتفكر في الامور فيكره من الظن انه يعني عامه في الوثيقة
في المستقبل الا يخاف من الغرة والانقلاب فيكون حاله الا انكون ضعيفا بحكمه فقط دون ان يخاف الخوف من مكره واذا ذكر الله فهو خائف من مكره
ويكون بشر هو محمود الكمين بفضل الله ثم خائف مخافته ان يكون قد سوى معه من صفات تظهر حب الدنيا ورياء النفس والتفات الى غيره هو
غافل عنه ويكون خائفا من الشيطان في كل حال فيعين غيره من غير الله الا في خطر انه بدا خطر عظيم وخوف في حالة منه الا بعد مما فيه من الطمع
ولذلك مكائد الشيطان لمتعلق الاولياء في وقت الرجاء وان قدر النفس تعالى في الخوف بالامن فهو لا يوحد انك كمال الاس على حكمه الا العاملون
والعاملون على خطر عظيم الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم ... فاذن الغرور من الله المغرور من غير ذلك الا في
امر ولو لا العلماء الاولياء ... فانه الامر كله ... [illegible] انتهى اقول وفي كتاب مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
قال عليه السلام المغرور في الدنيا مسكين وفي الآخرة مغبون لانه باع الافضل بالادنى ولا تعجب من نفسك فربما اغتررت بمالك وصحة جسمك ان
تبقى وربما اغتررت بطول عمرك واولادك واصحابك لعلك تنجو بهم وربما اغتررت بجمالك ومنيتك واصابتك مآملك وهواك وظننت انك صادق
ومصيب وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك في العبادة ولعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اقمت نفسك على العبادة متكلفا
والله يريد الاخلاص وربما افتخرت بعلمك ونسبك وانت غافل عن مضمرات ما في علم الله وربما توهمت انك تدعو الله وانت تدعو سواه وربما حسبت
انك ناصح للخلق وانت تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك وربما ذممت نفسك وانت تمدحها على الحقيقة واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني الا
بصدق الانابة الى الله والاخبات له ومعرفة عيوب احوالك من حيث لا يوافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن الائمة وائمة الهدى وان كنت
راضيا بما انت فيه فما احد اشقى بعملك منك واضيع عمرا فاورثت حسرة يوم القيامة هذا آخر الكلام في كتاب ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات
من المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله تعالى في ربع المنجيات كتاب التوبة والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على
محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا